A-PDF Image To PDF Demo. Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك
كلية الآداب
قسم التاريخ

مراسيم الزواج في مصر وبلاد الشام

(من العصر الفاطمي حتى نهاية عصر دولة المماليك)

"دراسة تاريخية"

Marriage Rituals In Egypt And Belad El-Sham

(From The Beginning of The Fatimi Until The End of The Momluke Era)

"Historical Study"

إعداد الطالبة

فايزة محمود أحمد الزعبي

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية/جامعة اليرموك

إشراف الأستاذ الدكتور

يوسف درويش غوانمة

٢٠٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراسيم الزواج في مصر وبلاد الشام

(من العصر الفاطمي حتى نهاية عصر دولة المماليك)

"دراسة تاريخية"

إعداد الطالبة

فايزة محمود أحمد الزعبي

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية/جامعة اليرموك

إشراف الأستاذ الدكتور

يوسف درويش غوانمة

اعضاء لجنة المناقشة

أ.د. يوسف غوانمة.....(مشرفاً ورئيساً)

أ.د. محمد عيسى صالحية.....(عضو لجنة الاشراف)

أ.د. محمد خريسات.....(عضواً)

د. سليمان خرابشة.....(عضواً)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراسيم الزواج في مصر وبلاد الشام

(من العصر الفاطمي حتى نهاية عصر دولة المماليك)

"دراسة تاريخية"

إعداد الطالبة

فايزة محمود أحمد الزعبي

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية/جامعة اليرموك

إشراف الأستاذ الدكتور

يوسف درويش غوانمة

اعضاء لجنة المناقشة

أ.د. يوسف غوانمة.....(مشرفاً ورئيساً)

أ.د. محمد عيسى صالحية.....(عضو لجنة الاشراف)

أ.د. محمد خريسات..... (عضواً)

د. سليمان خرابشة.....(عضواً)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى

من أضاء في قلبي شموع الأمل وزرع في ذاتي شجرة الطموح

أخي منتص

أهدي هذا الجهد المتواضع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

لا يسعني وقد انتهيت من إعداد هذه الرسالة، إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور يوسف غوانمة، الذي أشرف على رسالتي، ولم يبخل علي بعلمه ووقته وجهده، وأفدت منه كثيراً، ولولا إرشاداته وتصويباته لما قدر لهذه الرسالة أن تخرج بما خرجت عليه.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الدكتور محمد عيسى صالحيه عضو لجنة الإشراف بتفضله بقبول الإشراف على رسالتي ومناقشتي، والأستاذ الدكتور محمد خريسات، والدكتور سليمان خرابشة، فلأساتذتي خالص الشكر والاحترام.

كما وأتقدم بشكري إلى صديقاتي وجدان العزايزة وإيناس الصمادي لمساعدتهن لي، ولصديقتي عائشة الزعبي التي قامت بطباعة وتنسيق هذه الرسالة

وختاماً تثمن الباحثة كل الجهود المخلصة التي ساهمت في إخراج هذا العمل فلهم جميعاً كل الشكر والتقدير والعرفان.

والله ولي التوفيق

الباحثة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة الاختصارات

العربية

ت	تاريخ الوفاة
ج	الجزء
مج	مجلد
ق	قسم
ط	الطبعة
ع	العدد
ص	الصفحة
م	التاريخ الميلادي
هـ	التاريخ الهجري
د.م	دون مكان نشر
د.ت	دون تاريخ النشر

الأجنبية

P/Page	الصفحة
N.D	التاريخ الميلادي No date of publication in dictated
Vol	المجلد (volume)
Ibid	المرجع نفسه (ibidem)
Op.Cit	المرجع السابق (opera citato)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المحتويات

العنوان	الصفحة
- الإهداء.	أ
- شكر وتقدير.	ب
- قائمة الاختصارات.	ج
- المحتويات.	د
-المقدمة.	و
التمهيد: الزواج في الإسلام	
- عادات وأعراف وأنواع الزواج قبل الإسلام.	١
- الخطبة في الإسلام.	١٢
- عقد الزواج.	١٦
- المهر أو الصداق.	٢١
الفصل الأول: المرأة في العصرين الفاطمي والأيوبي	
- المرأة في العصر الفاطمي.	
- نساء القصر"الألقاب والثروات".	٢٦
- زينة المرأة "اللباس والمصاغ".	٢٣
- المرأة في العصر الأيوبي"دورها السياسي والاجتماعي وألقابها".	٤١
الفصل الثاني: مراسيم الزواج في العصرين الفاطمي والأيوبي	
- الخطبة.	٤٧
- المهر أو الصداق.	٤٩
- عقد الزواج.	٥٣
- الجهاز والأفراح.	٥٨
- مراسم الزواج عند اهل الذمة	٦٦
الفصل الثالث: المرأة في عصر المماليك	
- حريم السلطان.	٧١
- المرأة والحياة العامة "دورها الاجتماعي والسياسي".	٨٧
- زينة المرأة "اللباس والمصاغ".	٩١
الفصل الرابع: مراسيم الزواج في عصر دولة المماليك	

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

*مراسيم الزواج عند الخاصة"السلاطين والأمراء والأكابر".
- الخطبة. ١٠٦
- المهر. ١٠٩
- عقد الزواج. ١١٢
- الجهاز. ١١٦
- الزواج السياسي. ١٢١
- احتفالات الزواج. ١٣١
*مراسيم الزواج عند عامة الناس.
- الخطبة. ١٣٢
- المهر. ١٣٣
- عقد الزواج. ١٣٦
- الجهاز. ١٣٧
- الاحتفالات. ١٣٩
*ضمان المغاني. ١٤٣

- الخاتمة. ١٥٢
- *قائمة المصادر والمراجع.* ١٥٧
- *الملاحق:* ١٧٠
- *ملحق رقم (١) خطبة زواج الملك السعيد.* ١٧١
- *ملحق رقم (٢) عقدا زواج من عصر دولة المماليك.* ١٧٢
- *ملحق رقم (٣) عقد زواج من عصر دولة المماليك.* ١٧٥
- *ملحق رقم (٤) وثيقة جهاز من عصر دولة المماليك.* ١٧٧
- *الملخص باللغة العربية.* ١٧٨
- *الملخص باللغة الإنجليزية.* ١٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

تهـدف الدراسة إلى الكشف عن الأحوال الاجتماعية للمرأة عامة ومراسيم الزواج خاصة في العصـور الإسـلامية الوسطى في الفترة الممتدة من سنة (٣٥٨-٩٢٣هـ) (٩٦٩-١٥١٧م) والحديث عن مراسيم الزواج يتطلب دراسة الأحوال الاجتماعية للمرأة نساء القصر أو حريم السـلطان أو الأمير "الزوجات، الحظايا، والجواري" حيث كانت مجتمعات العصور الإسلامية الوسـطى تتميز بوجود هذه الفئات الثلاثة والتي تختلف فيها كل فئة عن الأخرى ونساء الفئة العامة وأواسط الناس.

وتحاول هذه الدراسة إلقاء الضوء على مراسيم الزواج"الخطبة، المهر، أو الصداق، والجهاز، والاحـتفالات بالعـرس" وإبـراز التقاليد والأعراف الاجتماعية الخاصة بكل ذلك، وتوضيح الفروقات الموجودة لدى كل فئة من فئات المجتمع. كما أنها تبين إلى أي مدى وصلت تكاليف الـزواج لدى الفئات الاجتماعية المختلفة ومدى أثر ذلك على الحياة الاجتماعية والاقتصادية عند الأفراد. بالإضافة إلى رسم صورة للعرس في المجتمع الإسلامي في هذه الفترة.

وقد شملت الدراسة خمسة فصول:

فـي **التمهـيد:** تناولـت الدراسة عادات وأعراف وأنواع الزواج قبل الإسلام، بالإضافة إلى الـزواج الصـحيح، الـذي يقوم على الخطبة والمهر. وعرف العرب أنواعاً وأشكالاً مختلفة للـزواج مـنها: المخادنـة، والمضامدة، ونكاح المقت أو الضيزن، والاستبضاع، والشغار، والـبدل، والمـتعة، وزواج المسبيات ، بالإضافة إلى بعض الظواهر الاجتماعية السيئة التي عـرفها العـرب قـبل الإسلام ومنها الزنا، والجمع بين الاختين ثم الحديث عن الزواج في الإسـلام، والمـراحل الأساسـية التـي يمر بها الزواج من الخطبة، والمهر، ثم عقد الزواج الإسلامي وشروط صحته، وإعلانه بالاحتفالات والولائم.

أمـا **الفصل الأول:** فقد تطرق إلى الحديث عن المرأة في العصر الفاطمي والأيوبي من حيث الحديث عن نساء القصر والمكانة العالية التي تمتعت بها المرأة، حيث منحت الألقاب الكثيرة وحازت الثروات الطائلة. كما أن ثراء بعضهن اتاح لهن الفرصة ي أن ينفقن الكثير. ويتناول الفصـل أيضاً أدوات الزينة التي استخدمتها المرأة في هذه الفترة، الملابس بأنواعها والأقمشة المصنوعة منها، والحلي بأنواعها والمكاحل والعطور والمرايا..

أما **الفصل الثاني:** فيتناول مراسيم الزواج في العصرين الفاطمي والأيوبي أي الأمور المتعلقة بالزواج من الخطوبة والمهر المقدم للعروس، المعجل منه والمؤجل بالنسبة للفئات المختلفة في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجـــتمع، ثم عقود الزواج وأركانها والصيغة القانونية للعقد، والشروط التي تحتويها، والتي تدل على المكانة الرفيعة التي تمتعت بها المرأة، ومحاولة الحفاظ على حقوقها في فترة الزواج وبعـــده، ثـــم الجهـــاز وأنواعـــه ومقارنة جهاز بنات الفئة الخاصة والعامة من حيث الأقسام الرئيسية وقيمة الجهاز، ثم إقامة الأفراح في الدور التي خصصت لها في هذه الفترة، وأدوات الزينة التي استخدمتها المرأة يوم زفافها.

والفصل الثالث: يتناول الأحوال الاجتماعية للمرأة في مصر والشام في عصر دولة المماليك، وإلقـــاء الضوء على حياة نساء القصر "الزوجات، والحظايا والجواري" حيث توفرت لهؤلاء الحـــياة الـــناعمة، وحزن على الثروات الكبيرة ومنحن الألقاب العديدة، ثم الحديث عن بعض الشخصيات النسائية، حيث كان لهن دوراً سياسياً هاماً، نتيجة لما حظين من مكانة عالية لدى الســـلاطين، حـــتى أن بعضهن صارت تدبر أمور المملكة من ولاية وعزل وغيره، ويتناول الفصل أيضاً الحديث عن أدوات الزينة للمرأة، الحلي بأنواعها، والملابس الداخلية والخارجية وأغطـــية الـــرأس والوجه، والمكاحل والعطور والمرايا، والحديث عن الحمامات ودورها في حياة المرأة وزيارة النساء إليها، ثم الحديث عن مقاييس الجمال ومعاييره، أي الشروط الواجب توافرها في المرأة لكي تعد من جميلات هذا العصر.

أمـــا الفصل الرابع: فيتناول مراسيم الزواج في مصر والشام في عصر دولة المماليك، حيث يشير إلى مراسيم الزواج عند الفئة الخاصة أو الحاكمة "المماليك" ومراسيم الزواج عند العامة، ومـــن خلال هذا الفصل نتعرف على الأمور المتعلقة بالزواج من حيث الخطبة، وقيمة المهر المقـــدم للعـــروس، المعجـــل منه والمؤجل، وعقود الزواج والشروط التي تحتويها، والجهاز وقيمـــته وأنواعـــه ومراسيم نقله إلى بيت الزوج، وإقامة الولائم وما تحتويه من أنواع اللحوم المختلفة والحلويات والشراب، ثم إقامة الأفراح في الأماكن المخصصة لها، واستعداد العروس فـــي لـــيلة الـــزفاف وعن الهدايا أو التقادم والنقوط المقدم للعروسين. ثم الحديث عن ضمان المغاني وتعريفه، والمحاولات التي جرت لإبطاله أكثر من مرة.

وقـــد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من مصادر التاريخ الإسلامي، منها كتب الفقه، والأدب، والتاريخ، والتراجم، والرحلات والموسوعات وغيرها، المخطوطة منها والمطبوعة، كمـــا اعـــتمدت علـــى عدد من المراجع الحديثة العربية والأجنبية، وسأعرض أهم المصادر والمراجع التي تتصل إتصالاً مباشراً بموضوع البحث أو الدراسة ومنها:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١- **مخطـــوط**، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، للمؤرخ ركن الدين بيبرس الدوادار المتوفي ســـنة (٧٢٥هـــ/١٣٢٤م)، ويبحث في تاريخ مصر والشام في العهد المملوكي، وهو منظم حسب السنوات ويبدأ سنة (٦٢٨هـــ/١٢٣٠م) وينتهي سنة (٦٩٣هـــ/١٢٩٣م). ومؤلفـــه مـــن أمـــراء المماليـــك وحكم مملكة الكرك فترة من الزمن، وقد أمدني هذا المخطـــوط بمعلومات وافرة عن خطب النكاح وعقود الزواج، وقد اعتمدت عليه عند الحديـــث عن زواج الملك السعيد، والملك الصالح علاء الدين قلاوون من ابنة الأمير سيف الدين نوكيه ولماذا اختارت له زوجة أبيه الزواج من ابنة هذا الأمير.

٢- **مخطوط**، درة الأسلاك في دولة الأتراك، للمؤرخ ابن حبيب بدر الدين الحسن بن علي عمـــر الحلبي توفي سنة (٧٧٩هـــ/١٣٧٧م)، وهو من ثلاثة أجزاء، ويعد من الوثائق الهامـــة، إذ يعتبر مصدراً رئيسياً لكل من يبحث في تاريخ الدولة في العصر الأيوبي وعصر دولة المماليك، ويحتوي على الكثير من المعلومات السياسية والاجتماعية، وقد ذكـــر المؤلـــف معلومات وافية عن قيمة المهر والعقد والجهاز والاحتفالات السلطانية بالـــزواج ومـــا يارفقها من عمل الولائم، وقد أفدت منه عند الحديث عن زواج الأمير أنوك ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من ابنة الأمير بكتمر الساقي.

ومن الكتب المنشورة التي اعتمدت عليها:

٣- كـــتاب **كـــنز الدرر وجامع الغرر**، لمؤلفه الدوادار أبو بكر بن عبدالله بن ايبك صاحب صـــرخد توفي في القرن الثامن الهجري بعد سنة (٧٣٦هـــ/١٣٢٥م)، ويتألف الكتاب من تسعة أجزاء يتحدث فيها المؤلف عن تاريخ الدولة الإسلامية، وقد أفدت من الجزء الســـادس الـــذي حققـــه صـــلاح الدين المنجد بعنوان "الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية" والجزء السابع بعنوان "الدر المطلوب في أخبار بني أيوب" تحقيق سعيد عبد الفـــتاح عاشـــور، يـــتحدث فيه المؤلف عن الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية وأخـــبار متـــناثرة عن الحياة الاجتماعية للدولة الأيوبية. والجزء الثامن بعنوان "الدرة الزكـــية فـــي أخـــبار الدولة التركية" تحقيق اوليرخ هارفان، ويتحدث فيه المؤلف عن الدولة في عصر دولة المماليك، أما الجزء التاسع فعنوانه "الدر الفاخر في سيرة الملك الناصـــر" تحقـــيق هـــانس روبرت رويمر، وقد أفدت منه عند الحديث عن زواج ابن الأمـــير بكتمر الساقي من ابنة الأمير تنكز نائب الشام، وما رافق هذا الفرح من عمل الولائم الكبرى، وعمل تماثيل النفط وحمل الشموع وغيره، وقد انفرد المؤلف في هذا الجـــزء من الكتاب بذكر تدوين عقود الزواج الخاصة بالسلاطين والأمراء على أنواع مختلفة من الأقمشة الحريرية الغالية الثمن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- مؤلفـــات العلامة المؤرخ تقي الدين المقريزي المتوفي سنة (٨٤٥هـ/١٤٤١م)، وهي **المواعـــظ والاعتـــبار بذكر الخطط والآثار**، كتاب **السلوك لمعرفة دول الملوك**، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين**، **والمقفى الكبير**، وقد تحدث المؤلف في هذه المؤلفات عـــن الأحوال السياسية والاقتصادية والإدارية لمصر والشام في العصور الإسلامية، وقـــد أفـــاض بالحديـــث عن النواحي الاجتماعية للدولة في العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي، وقد أفدت من هذه المؤلفات في كل فصول هذه الدراسة، عند الحديث عن ثـــروات النســـاء، واللـــباس، وقـــيمة المهـــور، وعقود الزواج بالإضافة إلى العادات والأعراف المرافقة للزواج، وقد انفرد عن غيره من المؤرخين بذكر الأقسام الرئيسية لجهـــاز المرأة، وما يجب أن يحتوي الجهاز عند النساء من الفئة الخاصة من الخلفاء والســـلاطين والأمراء والأكابر والأعيان، وعند النساء من الفئة العامة في عصر دولة المماليك.

٥- كـــتاب **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، لمؤلفه جمال الدين أبي المحاسن بن تغـــري بردي الاتابكي المتوفي سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م). ويقع الكتاب في ١٦ جزءاً، وقـــد أتاحت الظروف لهذا المؤلف أن يتعرف على النواحي السياسية والإدارية للحكم مـــن خلال والده الذي كان اتابكاً للعسكر بمصر ثم كافلاً للديار الشامية، فيتناول ذكر مـــن ولي مصر من الملوك والسلاطين من عام (٢٠-٨٧٢هـ) (٦٤٠-١٤٦٧م) مع ذكر الحوادث الهامة التي وقعت في كل سنة، فهو يعني بالتاريخ الإداري والاجتماعي والسياســـي لمصر، وقد ذكر بعض العادات والتقاليد الخاصة بالزواج في هذه الفترة، وقـــد أفـــدت من هذا الكتاب عند الحديث عن زواج السلطان الناصر فرج بن برقوق، والأمـــير قوصـــون، والأمير أبي بكر بن أرغون، وعند الحديث عن جهاز خوند بنت الملك الأشرف شعبان وغيرها، هذا بالإضافة إلى كتابه المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي في التراجم، وقد أفدت منه عند الترجمة لبعض الشخصيات الأيوبية والمملوكية حيث يقع الكتاب في سبعة أجزاء.

٦- **الـــدارس في تاريخ المدارس**، للمؤلف عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي المتوفي ســـنة (٩٧٨هـــ/١٥٧٠م)، والكـــتاب في جزئيين يتحدث فيه المؤلف عن المدارس والخانقـــاوات ودور الحديـــث، والمســـاجد والـــربط والزوايا، في العصرين الفاطمي والأيوبـــي والمملوكي، وكانت الإفادة من هذا الكتاب عند الحديث عن هذا المجال في هذه الدراسة وخاصة المدارس التي قامت ببنائها نساء من العصر الأيوبي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، للمؤلف محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المتوفي سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م، ويقع الكتاب في خمسة أجزاء، يبحث في تاريخ مصر من بدء التاريخ إلى سنة ٩٢٨هـ/١٥٣١م، ويتناول أخبار البلاد العربية المجاورة، ويسرد الأخبار في حوليات يوماً بعد يوم، ويذكر تفاصيل عن الأحوال السياسية، والعسكرية، والإدارية، والاقتصادية، والثقافية، والأدبية والفنية، والمواسم والأعياد والعادات، وغير ذلك من نواحي الحياة الاجتماعية، وقد كان الكتاب من المصادر الرئيسية التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة، حيث ذكر المؤلف أخباراً عن زواج كثير من السلاطين والأمراء، وقيمة ما دفعه هؤلاء من مهور، ومكان عقد الزواج ومراسيم نقل الجهاز من بيت أهل الزوجة إلى بيت الزوج، وكيفية الاحتفال بالعرس. وقد أفدت منه أيضاً عن الحديث عن المغاني وضمان المغاني، وقد كان معاصراً لبعض الأحداث التاريخية ويتميز بالدقة في سرد الأخبار والحوادث، وقد نقل عن الصفدي، وابن دقماق وغيرهم..

٨- ومن المصادر الهامة التي اعتمدت عليها، **مجموعة أوراق البردي العربية**، التي نشر نصوصها وعلق عليها أدولف جروهمان، وتقع في ستة أجزاء، ولهذه الأوراق أهمية كبيرة في دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمالية، وقد أفدت من الأوراق الخاصة بعقود الزواج، فقد أوضحت الكثير من عادات وتقاليد الزواج في العصر الفاطمي وما قبله، من حيث قيمة المهر بما فيه من مقدم ومؤجل، وعن الشروط التي تضمنته بعض عقود الزواج، ووصايا بالعقد بالعشرة وحسن المودة بين الزوجين وذلك عند الفئة العامة وأواسط الناس في المجتمع.

٩- ومن المراجع الأجنبية الحديثة التي أفادت الدراسة كتاب "***Amediterranean Society***" لمؤلفه ***S.D.Goitein*** ويتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء يتناول الأحوال الاجتماعية بصفة عامة ومراسيم الزواج عند أهل الذمة "اليهود والنصارى" بصفة خاصة، إذ يعتمد المؤلف في هذا الكتاب على "أوراق الجنيزة" وهي وثائق خطية وجدت في مصر القديمة، وعرفت لعلماء الغرب في القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت قبل اكتشافها محفوظة في حجرة خصصت للأوراق المهملة في معبد يهودي بالفسطاط، وقد كتبت هذه الأوراق باللغة العربية بحروف عبرية ويرجع تاريخها إلى الفترة ما بين القرن الرابع والسابع الهجريين/العاشر والثالث عشر الميلاديين، وتتكون في معظمها من خطابات متبادلة بين اليهود وذويهم، بالإضافة إلى عقود الزواج، التي قام بدراستها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض علماء الغرب وأشهرهم غواتين[1]، وفي هذا الكتاب يعرض غواتين وبإفاضة من خلال هذه الوثائق أحوال المرأة اليهودية، الاجتماعية والاقتصادية، من خلال عقود الزواج، ثم الحديث عن جهاز العروس ومكوناته، وقوائم الجهاز، كما يشير إلى الأفراح والاحتفالات بالعرس.

كما أفادت الدراسة من كثير من المخطوطات والمصادر والمراجع العربية الحديثة والمعربة والمراجع الأجنبية، ومجموعة من المقالات في الدوريات العربية سيرد ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

(١) أحمد، نريمان عبد الكريم، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٢، ص ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزواج في الإسلام

- عادات وأعراف وأنواع الزواج قبل الإسلام.
- الزواج في الإسلام.
- الخطبة.
- عقد الزواج.
- المهر أو الصداق.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عادات وأعراف وأنواع الزواج قبل الإسلام

لم يكن العرب قبل الإسلام يسيرون على طريقة واحدة في عقد الزواج، بل عرفوا أنواعاً وأشكالاً مختلفة منها:

المخادنـــة، والمخادنـــة لغة المصاحبة[١]، والخدن: إتخاذ أخلاء بالسر، اتفاق وتراض بين الطرفيـــن، ذات الخـــدن، مـــن اتخـــذت صديقاً واحداً بالسر[٢]، قال تعالى: {وآتوهن أجورهن بالمعروف مُحصنات غير مسافحاتٍ ولا متخذات أخدان}[٣].

وعرفوا نوعاً آخر من العلاقات بين الرجل والمرأة وهو ما يطلق عليه زواج **المضامدة**: مـــن الضـــمد وهو اللَّف والغصب[٤]، والضمد: "الخِل" وهو أن تصادق المرأة رجلاً غير زوجها أو رجلين، وكانت تلجأ المرأة إلى هذا في أيام القحط، فيضطرها الجوع لذلك لتأكل عند هذا وهذا لتشبع[٥].

ومـــن أنـــواع الزواج التي عرفها العرب في الجاهلية، نكاح **المقت أو الضَيزن**[٦]: أي أن يـــتزوج الولـــد امرأة أبيه، وكان من عادة العرب في الجاهلية، إذا مات الرجل قام أكبر أولاده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض أخوته بمهر جديـــد، فكانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المال[٧]. وإن شاؤوا زوجوها لمن أرادوا وأخذوا

---

(١) ابـــن منظور، الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، مج ١٣، ص ٢٥٧.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النيضة، بغدا، ١٩٧٠، ج٥، ص١٤١.

(٣) النساء، آية ٢٥.

(٤) ابن منظور، المصدر السابق، مج٢، ص ٢٦٥.

(٥) علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٥، ص١٤١-١٤٢.

(٦) المقت: الأمر القبيح، انظر: ابن منظور، المصدر السابق، مج٢، ص ٩٠.

(٧) الـــنويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة العامة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ج٣، ص ١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صـــداقها، وإن شاؤوا لم يزوجوها، بل يحبسوها حتى تموت فيرثوها أو تفتدي نفسها[١]، وكانوا يسمون هذا الولد ضيزن، قال ابن حبيب: "وهو أشنع ما كانوا يفعلون"[٢].

وعرف العرب نوعاً آخر من أنواع الزواج وهو نكاح الاستبضاع[٣]:

وهو أن يدع الزوج زوجته تتصل برجل عظيم لتأتيه بأولاد نجباء ينسبون إلى الزوج من الناحية الشرعية ويعتبرون من أولاده، ولكن تتوافر فيهم صفات الرجل العظيم الذي جاؤوا من صـــلبه، فهـــو مجرد أداة استخدم في إنجابهم على صورة ما[٤]. وهذا الأمر يتم برغبة الزوج، والغاية من ذلك الحصول على أولاد نجباء أي أصحاء وأقوياء وشجعان مثل أبيهم الذي اتصل بـــتلك المرأة. وقد روي أن عبدالله بن عبد المطلب، والد الرسول ﷺ مرّ بامرأة من بني سعد، تـــنظر وتعتاف "أي تتفرس" فرأت في وجه عبدالله نوراً فدعته أن تستبضع منه وتعطيه مئة من الإبل لتنال منه ولداً على مثال أبيه فأبى ذلك[٥].

وعـــرفوا أيضـــاً نوعاً آخر من أنواع الزواج وهو نكاح الشِّغَار[٦]: وهو أن يزوج الرجل ابنـــته أو أخـــته لشخص وبالمقابل يزوجه الآخر ابنته أو أخته، ليس بينهما مهر أو صداق كأن

---

(١) كحالة، الزواج، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٩٨٨، ج١، ص ١٨٥.

(٢) المحـــبر، ص ٣٢٥. انظر: الجاحظ، أبي عثمان بن عمر، البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي، بيروت، ١٩٧٥، ط٤، ج٣، ص٢٥٦.

(٣) الاستبضـــاع لغة: هو طلب المباضعة، وهو المجامعة مشتقة من البضع وهو الفرج، ابن منظور، لسان العرب، مج٨، ص ١٤.

(٤) وافي، عبد الواحد، قصة الزواج والعزوبة في العالم، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧،ص ٤٦.

(٥) ابن حبيب، كتاب المنمق، تحقيق: عليه خورشيد أحمد فارق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥، ص ٢٢١. انظـــر: ابـــن الأثـــير، عـــز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥، مج٢، ص ٨.

(٦) الشـــغار فـــي اللغـــة: وهو الرفع، ويراد به الزواج الذي رفع المهر وخلافه، مادة شغر، ابن منظور، المصدر السابق، م ٤، ص ٤١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقــول الرجل زوجني ابنتك وأزوجك ابنتي وتكون كل واحدة مهراً للأخرى[١]. وهذا النكاح هو نوع من أنواع نكاح البدل، ظل متبعاً في العصور الإسلامية ولا زال متبعاً حتى وقتنا الحاضر.

ومن العادات والأعراف التي عرفها العرب قبل الإسلام البغاء، ويطلق على زنا المرأة إذا كان لقاء أجر، أي بدافع الكسب، إذا دعت الحاجة إليه، وفيه تستجيب البغي لكل طالب يدفع لها أجــراً، وكــان تعاطــي البغاء في الجاهلية مقصوراً على الإماء المجلوبات من بلاد أخرى أو المولــدات، وكانــت تقــام للبغايا في ظاهر المدن بيوتات تدعى "المواخير"[٢]، أما في الأسواق الموسمية كسوق عكاظ[٣] فكانت تقام لهن بيوت من الشعر، تدوم مدة قيام السوق[٤]. وكان تجار الرقيق يدفعون إماءهم دفعاً لتعاطي البغاء، ويفرضون على كل واحدة منهن ضريبة تؤديها إليهم مــن كســبها وســعيها، لذلــك كــان الــبغاء يسمى "المساعاة"[٥] وتسمى البغي "المساعية" أو المؤاجــرة[٦]. وكانــت تــرفع على بيوت البغايا رايات حمر تدل عليها. فكن يدعين أصحاب الــرايات. وإذا ما حملت إحداهن ووضعت يلحقون ولدها ممن يشبه ممن أصابها، ويرعى ابنه ولا يمتــنع من ذلك هذا إذا كان المولود ذكراً، أما إذا كان أنثى أو كان ذكراً ولم يجر استلحاقه بأحد فيكون لمالك الامة الباغية. وكان ملاّك الاماء يتاجرون بأولاد الاماء ويجنون من تجارتهم

---

(١) ابــن حــزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار البــنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ج٩، ص ١١٨. انظر: ابن قيم الجوزية، الفقيه شمس الديــن أبــي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، زاد العاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب وعبد القادر الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩، ج٩، ص ١١٨.

(٢) المواخير في اللغة: جمع ماخور، وهو بيت الريبة ومجمع أهل الفسق ومجلس الخمارين، مادة "مخر"، ابن منظور، لسان العرب، مج٥، ص ١٦١.

(٣) سوق عكاظ: من أسواق العرب في الجاهلية وموسم من مواسمهم، وكان العرب يجتمعون بها كل سنة فيقيمون شهراً يتبايعون ويتفاخرون وينشدون الأشعار، ابن منظور، المصدر السابق، مج٧، ص ٤٤٧.

(٤) الترمانيني، الزواج عند العرب، ص ٢٧.

(٥) المساعاة: ضريبة تؤديها الأمة البغي التي أباحت نفسها بأجر مادة "سعا"، ابن منظور، المصدر السابق، م٤، ص ٣٨٧.

(٦) ابن منظور، المصدر السابق، م٤، ص ٣٨٧. انظر: الترمانيني، المرجع السابق، ص ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ربحاً وفيراً إذا كانت الامة جميلة أو حملت من رجل وسيم وجاء مولودها من مثالها أو مثاله[١]. وكانت سمية أم زياد ابن أبيه من بغايا العرب ذوات الرايات بالطائف تؤدي الضريبة إلى الحارث بن كلدة وكانت تنزل بالموضع الذي تنزل فيه البغايا بالطائف خارجاً من الحصن في محلة يقال لها حارة البغايا[٢].

ومارس العرب في الجاهلية نكاح المسبيات: فإذا غزوا قوماً نهبوا أموالهم وأسروا رجالهم وسبوا نساءهم، فكانوا يتخذون من الرجال عبيداً ومن النساء سراري وإماء، وكانوا يقتسمون النساء المسبيات بالسهام، فمن وقعت امرأة في سهمه أخذها وحل له الاستمتاع بها، لأنه ملكها بحق السبي، وتسمى الأخيذة، ويسمى أولادها "أولاد الأخيذة" أو أولاد السبية[٣]، ويمكن لمن وقعت السبية في سهمه أو نصيبه أن يبيعها إذا لم يجد من يفتديها من قومها. ومما يروى أن عمراً بن العاص كان يعير بأنه ابن سبية، فقد سبيت أمه، وهي سلمة بنت حرملة من بني عنزة، فكانت تلقب بالنابغة، وبيعت في سوق عكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبدالله بن جدعان وكان نخاساً "أي تاجراً للرقيق" فباعها إلى العاص بن وائل فتزوجها وولدت له ولداً سماه عمراً[٤].

إلا أن السبية مهما لقيت من خاطفها المحبة فلا تنس أنها خطفت أو سلبت وتم الاستيلاء عليها بالقوة فإن شعورها بالهوان يلازمها وتعمل الحيلة للعودة إلى اهلها، وقد روى أن عروة بن الورد وكان من صعاليك العرب، سبى امرأة من بني عامر بن صعصعة، يقال لها سلمى، فأقامت عنده بضع عشرة سنة وولدت له، ثم استزارته أهلها فحملها حتى انتهى إليهم، فطلبوا أن

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٤. علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٥، ص١٣٩. الترمانيني، الزواج عند العرب، ص ٢٨.

(٢) المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: شارل بلا، الجامعة العربية، بيروت، ١٩٧٠، ج٣، ص ١٩٢.

(٣) الترمانيني، المرجع السابق، ص ٣٨.

(٤) انظر: ابن عبد البر، أبي عمر بن يوسف بن عبدالله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البيجاوي، مكتبة نهضة مضر، القاهرة، ١٩٦٠، ج٣، ص ١١٨٤-١١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشتروها منه، فرفض، فسقوه خمراً، ثم ساوموه عليها، فقال إن اختارتكم فقد بعتها، وكان يظن أنها ستختاره، فلما سألوها اختارت أهلها، وطلبت منه أن يرجع إلى أهله[١].

وعرف العرب أيضاً نكاح المبادلة أي تبادل الزوجات، أي مبادلة الرجال زوجاتهم، فكان البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك[٢]. وغالباً ما تكون هذه المبادلة مؤقتة، وتعتبر في هذه الحالة من مظاهر الود والصداقة[٣].

وهناك نوع آخر للزواج عرفه العرب قبل الإسلام وهو الزواج **المؤقت أو زواج المتعة:** وهو النكاح إلى أجل، فإذا انقضت المدة وقعت الفرقة، وقد ظل هذا النوع متعارفاً عليه في صدر الإسلام، وكان غالباً ما يعقده التجار في أسفارهم والغزاة في غزواتهم، ويسمى زواج المتعة لأن القصد منه الاستمتاع بالمرأة مدة من الزمن فإذا انقضت المدة تخلى الرجل عن المرأة وغادر موطنها ولذلك كان الأولاد الحاصلون منه ينسبون في الغالب إلى أمهاتهم أو عشيرتها[٤].

ومن الأمور الخاصة بالزواج والتي عرفها العرب قبل الإسلام، ظاهرة الجمع بين الأختين، وقد جمع "أبو احيحه" سعيد بن العاص بن أمية بين صفية وأختها هند ابنتي المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وجمع "قسي" وهو ثقيف بن منبه آمنة وأختها زينب ابنتا عامر بن الضرب في نكاح واحد[٥]. وتطلق النساء الرجال في الجاهلية فكان طلاقهن أن كن في بيوت من شعر أو غيره، حوّلن بابه، فإذا كان بابه في الشرق حولنه إلى الغرب أو العكس، فإذا جاء الزوج ورأى ذلك عرف أنها طلقته فيمتنع عنها، وكانت ماوية من أجمل نساء زمانها، فأتاها

---

(١) انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، م ٥، ص ٤٣٦.

(٢) كحالة، الزواج، ج١، ص ١٨٥.

(٣) الترمانيني، الزواج عند العرب، ص ٣٦.

(٤) الترمانيني، المرجع السابق، ص ٤٤.

(٥) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٣٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاتم فوجدها قد حولت خباءها فأنكر ذلك من شأنها فهبط حاتم إلى بطن واد من الأودية فنزل به واغتم لذلك غماً شديداً، ولم تتهيأ له حيلة منها[١].

وكانت ظاهرة تعدد الزوجات منتشرة عند العرب قبل الإسلام ولا توجد قاعدة تحد من الزوجات اللآتي يحق للرجل التمتع بهن، فكان لهم عدة نساء. فقد أسلم غيلان بن سلمة الثقفي وعنده عشر نسوة، وقال نوفل ابن معاوية أسلمت وتحتي خمس نسوة[٢].

أما الزواج الأكثر شيوعاً وانتشاراً في العصر الجاهلي فهو زواج البعولة أو الزواج الصحيح وهو زواج البعولة فهو زواج منظم، رتب الحياة العائلية، وكان منتشراً في شبه الجزيرة العربية وخاصة عند ظهور الإسلام وذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها وأطلق عليه اسم النكاح الصحيح. وهو الذي قال عنه النبي ﷺ:"ولدت من نكاح لا من سفاح"[٣].

وزواج البعولة هو الزواج الذي يقوم على الخطبة والمهر. وكانوا يخطبون المرأة إلى أبيها أو أخيها أو عمها أو بعض من بني عمها. فكان ولي الخاطب يقول إذا آتاهم "أنعموا صباحاً ثم يقول: نحن أكفاؤكم ونظراؤكم، فإن زوجتمونا أصبنا رغبة وأصبتمونا وكنا لصهركم حامدين، وإن رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين"[٤]، ولا تخطب المرأة في الجاهلية إلا لمن يساوي أباها في الحسب والنسب ولا يجوز أن تقل مرتبة والد الزوجة عن الخاطب أو أبيه في السيادة والشرف.

وكان الأب يستشير أبنته في الخاطب، من ذلك أن الحارث بن عوف بن أبي الحارثة قدم إلى أوس بن الطائي وهو سيد من سادات العرب يريد أن يخطب إحدى بناته الثلاث. فدخل أوس يستشيرهن فدعا الكبرى فرفضته، ثم دعا الوسطى فأجابت بمثل ذلك، فدعا الصغرى فأجابت بالقبول فخرج إليه فقال له: قد زوجتك "بهيسة" وهي إبنته الصغرى، فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها، فارتحل إلى أهله ولما وصل بلاده لم تشأ أن يمسها قبل أن ينحر

---

(١) ابن بكار، الزبير، الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٦، ط٢، ص ٣٥٢.

(٢) ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد الدمشقي الصالحي، المغنى، تحقيق: عبدالله بن عبد الحسن التركي، عبد الفتاح الحلو، القاهرة، ١٩٩٢، ط٢، ج٩، ص ٤٧٢.

(٣) الأسيوطي، شمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي، جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود، مطبعة السند المحمدية، السعودية، ١٩٥٥، ج٢، ص ٣.

(٤) ابن حبيب، المحبر، ص ٣١٠. انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص ٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلـــيه فزوجه إياها، على مائة ألف درهم وألف من الإبل[١]. فلما حان أن تحمل إليه دخلت إليها أمها تبين لها ما ينبغي أن تكون عليه من خلق في معاملة زوجها وتوصيها فقالت: أي بنيه انك فارقت بيتك الذي منه خرجت إلى رجل لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشرة يكن لك ذخراً. أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع والطاعة. وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع عينة وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح. وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه. وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله ورعاية أبنائه. وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً ولا تفشين له سراً فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتماً والكآبة بين يديه إذا كان فرحاً[٢].

ويعتـــبر الزواج حدثاً مهما في حياة الجاهليين، فقد أعلنوا عنه بفرح وسرور وذلك بعمل ولـــيمة، للأقـــرباء والجـــيران والأصـــدقاء، وتقـــترن هذه الوليمة عادة بالغناء والضرب على الدفوف[٣]، وكانوا ينثرون في وليمة العرس على الحاضرين "النثار"[٤] وكان نثارهم في الغالب من التمر[٥]. وترتدي العروس ملابس جديدة، وتزف إلى زوجها ليلاً أو نهاراً، ويرافق العروس موكباً مؤلفاً من نساء ورجال على الإبل المزينة بسير والنيران بين يدي العروس. أي أنه كان حدثاً له معناه ومكانته لديهم يفرحون لحدوثه، ويتقبلون التهاني من الأهل والأصدقاء فهي مناسبة للمشاركة الاجتماعية والتواصل والتوادد والمحبة.

---

(١) ابن الجوزي، أحكام النساء، ص ٣١٤.

(٢) انظر: التفاصيل، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص ١١٠-١١١.

(٣) كـــان الرســـول عليه السلام في الجاهلية قد سمع عزفاً في دار بمكة وعندما سأل عن ذلك قالوا عرس فلان بفلانة، انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٢، ص ٤٨.

(٤) وافي، قصة الزواج، ص ١٠٩.

(٥) النـــثار: بكسر النون، ما ينثر في العرس للحاضرين من السكاكر والنقود، دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠، ص ٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخِطْبة في الإسلام

الخِطْبة أول مراحل الزواج، وهي طلب الرجل الزواج من امرأة معينة لا يحرم عليه أن يتزوجها، فإذا أجيبت هذه الرغبة بقبول من المرأة، أو من يتولى أمرها فقد تمت هذه الخطبة، وهي تواعد متبادل بعقد الزواج في المستقبل[١].

أما حكمها، فهي جائزة[٢]، وهي ليست ركن من أركان العقد وليست شرطاً من شروط صحته، فلو تم العقد بدونها كان عقداً صحيحاً[٣].

لم تحدد الشريعة الإسلامية سناً معينة للخطوبة، عن عائشة رضي الله عنها قالت:"تزوجني النبي ﷺ، وأنا بنت ست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين"[٤]. والصحابي الجليل قدامة بن مضعون يخطب جارية صغيرة قد ولدت الآن ولم يمض على ولادتها زمن يسير يخطبها من أبيها الزبير بن العوام[٥] رضي الله عنه، قال الزبير:"وما تصنع بجارية صغيرة وأنت على هذا الحال؟ قال: بلى إن عشت فابنة الزبير، وإن مت فأحب من ورثني، قال: فزوجه إياها"[٦].

وإذا عزم المسلم على الزواج، واتجهت نيته لخطبة امرأة معينة أجاز له الشرع أن ينظر إليها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت عند النبي عليه السلام فأتاه رجل فأخبره أنه

---

(١) عتر، عبد الرحمن، خطبة النكاح، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥، ص ٥٣.

(٢) النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف الدمشقي (ت ٦٧٦هـ/١٣٧٤م)، روضة الطالبين، المكتب الإسلامي، د.م، ١٩٦٦، ج٧، ص ٣٠.

(٣) الأسيوطي، جواهر العقود، ج٢،ص ١٩.

(٤) مسلم، صحيح، ص ٦٥٧. الدينوري، عيون الأخبار، ج٤، ص ٣. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص ٢٥٣.

(٥) الزبير بن العوام: هو بن خويلد بن الأسدي القريشي أبو عبدالله الصحابي الشجاع، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من سل سيفه في الإسلام قتل في معركة الجمل، ولد سنة ٢٨هـ/٦٤٨م، وتوفي سنة ٣٦هـ/٦٥٦م. الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، ١٩٦٩، ط٣، ج٣، ص ٧٤.

(٦) عتر، خطبة النكاح، ص ٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تـــزوج امـــرأة من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: أنظرت إليها قال: لا، قال: فانظر إليها[1]، وقال: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما[2].

وقد اختلف الفقهاء في المقدار الذي يباح فيه النظر إذا لم يحدد الرسول ﷺ المدة الزمنية التـــي تبيح له رؤيته من المخطوبة، ويرى بعضهم إنما يباح النظر إلى الوجه والكفين فحسب، ولكن الوجه والكفين تجوز رؤيتهما بدون شهوة الخطبة وفي غير الخطبة وما دام ظرف الخطبة مســـتثنى يجوز له أن يرى منها أكثر مما يجوز في الظروف المعتادة الأخرى[3]، وقد جاء في الحديث "إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل"[4]. قال جابـــر بن عبدالله: "فخطبت امرأة من بني سلمة فكنت اتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحهـــا"[5]. ولا بأس من النظر إليها بإذنها وغير إذنها لأن النبي ﷺ أمر بالنظر وأطلق[6]. كما أن للمرأة أن تنظر إلى خاطبها، فالمرأة ترغب أن تقترن برجل يعجبها ويناسبها هذا ما أكد علـــيه عمـــر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال:"لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فإنهن يحببن ما تحبون"[7]، فللمرأة أن تنظر إلى خاطبها، بل هي أولى منه في ذلك لأنه يمكنه مفارقة من لا يرضاها بخلافها[8].

وتجوز الوكالة في النظر، فقد يريد الخاطب أن يعرف، ما لا يحل النظر إليه من أعضاء المـــرأة التي يريد خطبتها، ويتأكد من سلامتها من العيوب الخفية، وقد تقوم بهذه المهمة امرأة تدعـــى الخطابـــة، وتتميز هذه بالفهم والظرف والذكاء وطلاقة اللسان وتحسن التشبيه وضرب

---

(١) ابن حنبل، المسند، ج٧، ص ٥٠١. البخاري، صحيح، ص ١١٢٨. مسلم، صحيح، ص ٦٩٨.

(٢) ابن حنبل، المصدر السابق، ج١٤، ص ٨٨. النووي، روضة الطالبين، ج٧، ص ٢١. يؤدم بينكما: أي يلائم ويوقف ويصلح، ومنه الادم الذي يصلح به الخبز. ابن منظور، لسان العرب، مج١٢، ص ٩.

(٣) القرضاوي، الحلال والحرام، ص ٣٣٦.

(٤) ابن حنبل، المسند، ج١١، ص ٤٩٠. ابن قدامة، المغنى، ج٩، ص ٤٨٩.

(٥) ابـــن حزم، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي، المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار الجنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ج٩، ص ١٦١.

(٦) ابن قدامة، المصدر السابق، ج٩، ص ٤٨٩.

(٧) ابن الجوزي، أحكام النساء، ص ٣٠٢. الدينوري، عيون الأخبار، ج٤، ص ١١.

(٨) ابـــن عابدين، محمد أمين، حاشية المحتار لخاتمة المحققين ابن عابدين على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، ط٢، ج٣، ص ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأمثال[1]. وروي عن الرسول ﷺ أنه أرسل إحدى هؤلاء عندما أراد أن يتزوج بإحدى نسائه فقال لها:"شمي عوارضها[2] وانظري إلى عقبيها"[3]. والخاطبة تصف للخاطب ما دون الوجه واليدين مما يمتنع عليه رؤيته. فالوجه واليدين لم يحجبا عن النظر. وظلت المرأة العربية طيلة العصر الأموي تظهر للناس وتتحدث إليهم وخاصة المترفات من النساء، إذ ظلت الأخلاق الكريمة تسود المجتمع، فلما تبدل حال المجتمع في العصر العباسي، وساد العنصر التركي والفارسي وشاع الفسق والفجور مع أفواج الاماء المجلوبات بالشراء أو الاستيلاد[4]، فرضت العزلة على الحرائر وأضحى النظر إليهن حراما، فلزمن البيوت لا يخرجن منها إلا في حالات الضرورة الملحة، وكان يغمرها حجاب كثيف يسترها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، بحيث لا يقدر أحد على تمييزها[5]. فكانت الخاطبة تنهض بدور كبير في إتمام مهمة الخطوبة، حيث كانت تتظاهر ببيع الطيب والبخور وغير ذلك من لوازم النساء، وبذلك يباح لها دخول البيوت والإطلاع على أسرار الحريم. فتستطيع أن تأتي للعريس بالعروس التي تتفق مع رغباته وميوله[6]. ولم تكن مهمتها البحث عن زوجة لرجل فحسب بل كانت تدعى للبحث عن زوج لفتاة كاسدة أو يخشى كسادها. فإذا وجدت رجلاً أو غريباً يبحث عن زوجة أحاطت به واستهوته بما تبتدع من أوصاف لمحاسن الفتاة أو المرأة، وبسحر قولها تدفعه إلى القبول، وقد

---

(١) الترمانيني، الزواج عند العرب، ص ٩٤.

(٢) العوارض الأسنان التي في عرض الفم، أراد أن يطلع على راحة فمها ليعلم طيبه أو خبثه. والعقب: مؤخرة القدم. الدينوري، عيون الأخبار، هامش(١)، ص ١٠.

(٣) ابن حنبل، المسند، ج١١، ص ١٧٧.

(٤) انظر التفاصيل، أمين، أحمد، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ج١، ص ٧٠٩.

(٥) الترمانيني، الزواج عند العرب، ص ٩٢. وحول الحجاب والأسباب التي أدت إلى فرضه على النساء في العصور الإسلامية وارتباطه بالظروف السياسية والاجتماعية. انظر: بهيم، محمد جميل، المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة. بيروت، ١٩٦٢، ص ١٠٥-١٠٦.

(٦) عاشور، سعيد عبد الفتاح، بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تكـون المرأة قبيحة أو عجوزاً، فإذا زفت إليه وكشفت عن وجهها فيا هول ما يرى[1]. وهناك حكايـات تـروى عمن وقع في احبولة الخاطبات، قال أعرابي في امرأة تزوجها وذكر له أنها شابة طرية، ودسوا له عجوزاً متصابية، فكانت كلما تزينت له ازدادت قبحاً فيقول:

(بحر الطويل)

عجـوزٌ تـرجّى أن تكـون فتـيّة ... وقـد نَحَـلَ الجنـبانِ واحـدودبَ الظّهرُ
تـدسُّ إلـى العطـارِ سـلعةَ أهلِهـا ... وهـل يصـلحُ العطـارُ ما أفسَدَ الدهرُ؟
ولا تسـتطيعُ الكحـلُ من ضيقِ عينيها ... فـإن عالجـتهُ صـارَ فـوقَ المحاجـرِ

ويقول في وصف أعضائها:

(بحر الطويل)

ولهـا جسـمُ بـرغوثٍ وسـاقا نعامـةٍ ... ووجـهٌ كوجـهِ القـردِ بـل هـو أقبحُ
إذا عايـنَ الشـيطانُ صـورةَ وجهِهَـا ... تعـوَّذَ مِـنها حيـن يُمسـي ويصبحُ[2]

وعن حكم ذلك، فقد ورد في أخبار القضاة، أن امرأة ذكرت وذكروا منها جمالاً فتزوجها، فوجدها عمشاء"أي عمياء" فخاصمهم إلى القاضي فقال:"إن دلس إليك لم يجز"[3].

وتخطـب المرأة ممن يتولى أمرها، ويجب أن تحل له شرعاً، ولا يخطب المرأة المحرمة علـيه تحريماً مؤبداً بنسب أو رضاع في أي زمن من الأزمان، أما إذا كانت محرمة مؤقتاً بأن كانـت مشركة مثلاً، فإنه يحرم عليه خطبتها ما دامت مشركة، فإذا أسلمت أو اعتنقت أي دين

---

(١) انظر: قصة الأمير وصال، ابن دانيال، شمس الدين، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، تحقيق: إبراهيم حمادة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٦٠-١٦٢.

(٢) انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص ٤٥٧.

(٣) وكيع، محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣، ج٢، ص ٣٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سـماوي جاز له أن يخطبها[1]. ولا يخطب امرأة مخطوبة لغيره لقوله عليه السلام:"لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه"[2].

وتكون الخطبة مباشرة يقوم بها الخاطب بنفسه، أو يوكل أحداً من أقاربه أو أصحابه. وقد تخطـب المـرأة من نفسها مباشرة، أو من وليها. ونضرب على سبيل المثال الصور التاريخية التالـية للخِطْـبة. جـرت العادة في أكثر الحالات، أن يتوجه الخاطب بخطبته إلى ولي الفتاة، فالرسول ﷺ خطب عائشة من أبيها أبو بكر الصديق وزوجه إياها أبوها[3]. وقد تخطب المرأة من نفسها، فالرسول ﷺ خطب جويرية بنت الحارث[4]، مباشرة دون وساطـة، وهي من سبايا بنـي المصـطلق وقد وقعت في سهم ثابت بن قيس[5]، فبعثت للرسول ﷺ بأن تشتري نفسها وتحرر وتعتق فقال لها ﷺ:"فهل لك ما هو خير، قالت: ما هو يا رسول الله، قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك، قال: قد فعلت"[6].

والمرأة قد تخطب الرجل مباشرة، فخديجة بنت خويلد وهي من سيدات قريش، أرسلت إلى محمد ﷺ أن يخطبها من عمها عمرو بن أسد، فخطبها له عمه أبو طالب وتزوجها[7].

---

(١) الشافعي، احمد محمود، الزواج في الشريعة الاسلامية، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، ، ص ٣٣-٣٤.

(٢) الشـافعي، الإمـام أبـي عبدالله محمد بن إدريس، الأم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣، ج٥، ص ١١٤.

(٣) القضـاعي، أبـي عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق عبد الرحيم محمد بن عبد الحميد، دار الينابيع، عمان، ١٩٩٧، ص ١١٠.

(٤) جويرية بنت الحارث: يقال أن اسمها برة بنت الحارث من سبايا بن المصطلق، وكان أبوها سيد قومه في الجاهلية، اشتراها الرسول عليه السلام واعتقها وتزوجها، وقيل جاء أبوها بفدائها، فأسلم وأسلمت، تـزوجها عليه السلام سنة خمس هجرية، توفيت سنة ٥٦هـ، القضاعي، عيون المعارف، ص ١١٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م٢، ص ١٩٢.

(٥) ثابـت بـن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري، كان خطيب رسول الله عليه السلام، شهد أحد وما بعدها من المشاهد، استشهد في خلافة أبي بكر سنة ١٢ هـ/٦٢٢م). الزركلي، الاعلام، ج٢، ص ٨٢

(٦) الطـبري، محـب الدين أبو العباس أحمد بن عبدالله، السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، نسخة مصـورة مـن مكتـبة تشـستربيتي، إيرلندا، دبلن، مخطوط في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، ميكروفلم رقم (٣٩٧) عدد الأوراق ٤٦، ص

(٧) ابن حبيب، المحبر، ص ٧٩. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٢، ص ٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يخطب الرجل لابنته، فالتاريخ الإسلامي يرينا أن والد الفتاة كان يخطب لابنته أحياناً، فيروى أن عمر بن الخطاب ذهب إلى عثمان بن عفان يعرض عليه ابنته حفصة[1]، ولكن عثمان سكت ولم يرحب بالعرض. فذهب عمر إلى رسول الله عليه السلام يشكو له الأمر، وفي هذا اللقاء حصل عرض جديد على عثمان فقد قال الرسول ﷺ لعمر رضي الله عنه: يتزوج ابنتك من هو خير لها من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير له من ابنتك، وبهذا خطب الرسول حفصة لنفسه، وخطب عثمان لابنته[2].

وقد توكل المرأة من يخطب لها، كما فعلت السيدة خديجة رضي الله عنها، حيث أرسلت إحدى النساء وتدعى "نفيسة" إلى الرسول ﷺ تخطبه، وقد كانت خديجة من أكثر النساء مالاً وأعظمهن شرفاً ونسباً، وكثيرون من قومها كانوا حريصين على نكاحها لو قدروا على ذلك[3].

عقد الزواج

بعد الخِطْبة والموافقة على الزواج يتوجب عقد قرآن الزواج وهناك عدة شروط لعقد الزواج منها، أن لا تكون المرأة محرمة على الرجل تحريماً فيه شبه، أي خلوها من موانع النكاح، منها أن تكون المرأة منكوحة أو معتدة عن غيره، أو مشركة، أو صغيرة، أو خامسة، إذ لا يجوز للرجل الزواج بأكثر من أربعة...الخ[4].

ثم يكون الإيجاب والقبول، فيقول الولي زوجتك أو انكحتك، ويقول الزوج: تزوجت أو نكحت أو قبلت تزويجها أو نكاحها، ولا ينعقد الزواج بغير لفظ التزويج والنكاح[5].

---

(١) السيدة حفصة زوجة الرسول عليه السلام، زوجه إياها أبوها في شعبان سنة ثلاث من الهجرة وكانت قبله تحت خنيش السهمي، وأصدقها الرسول عليه السلام أربعمائة درهم، وماتت في خلافة عمر سنة ٢٧هـ، وقيل في سنة (٢٧هـ/٦٤٧م) (٢٥هـ/٦٤٥م). القضاعي، عيون الخلائف، ص ٢١٠.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص ٨٩.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص ٨٩. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٢، ص ٤٠.

(٤) انظر: مالك، عبدالله بن أنس الاصبحي، الموطأ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٩٢، ط٢، ج١، ص ٥٣٢-٥٣٧. الشافعي، الأم، ج٥، ص ٣٤-٧٥.

(٥) الشافعي، الأم، ج٥، ص ٦٠-٦١. ابن عابدين، فقه الإمام أبي حنيفة، ج٣، ص ٩. الأسيوطي، جواهر العقود، ج٢، ص ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يصح النكاح عند الشافعي إلا بولي ذكر فإن عقدت المرأة النكاح لا يصح لقوله تعالى: ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾[1]، ولقوله ﷺ :"لا نكاح إلا بولي"[2]. وعلى المرأة أن تكون راضية بالزواج، فلو أكرهت لا يصح، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ: لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا: يا رسول الله فكيف اذنها قال: أن تسكت"[3]. ولا بد من استشارة المرأة في الزواج قال ﷺ:"اشيروا على النساء في أنفسهن"[4]، ويجب أن تكون صيغة العقد مؤبدة غير مؤقتة، ولا ينعقد النكاح لفترة زمنية محددة[5]. ويشترط في كل واحد من الزوجين أن يكون معيناً. قال الشافعي:"ولا يكون التزويج إلا لامرأة بعينها ورجل بعينه"[6].

أما الشروط في النكاح، فمسألة مختلف عليها بين العلماء، ويرى بعضهم بطلانها والآخر جوازها، وروي عن عمر رضي الله عنه، أن رجلاً أتاه فأخبره أن تزوج امرأة وشرط لها دارها، فقال له عمر لها شرطها وقال المسلمون على شرطهم. وروي عنه أيضاً أن رجلاً تزوج فشرط لها أن لا يخرجها، فوضع عمر عنه الشرط وقال: المرأة مع زوجها[7]. فالشروط أنواع قد تكون مطلقة غير مقيدة بشيء، أو مقيدة بتمليك أو طلاق فإنها لازمة عند مالك، فإذا شرطت طلاق ضرتها أو أن لا يتسرى عليها ولا يتزوج عليها أو شرطت نقداً معيناً أو زيادة في مهرها صح فإن خالفه فلها الفسخ[8]. ويجوز التوكيل في النكاح سواء كان الولي حاضراً أو غائباً،

---

(١) النساء، آية ٢٥.

(٢) بن حنبل، المسند، ج٣، ص ٢٨. الشافعي، الأم، ج٥، ص ٢١-٣١.

(٣) مالك، الموطأ، ج١، ص ٥٢٤. بن حنبل، المسند، ج١، ص ٥٣٧. الشافعي، الأم، ج٥، ص ٢٩.
-الأيم: كل امرأة لا زوج لها صغيرة أو كبيرة بكراً أو ثيباً، والمراد بالثيب المرأة المتوفي زوجها أو المطلقة.

(٤) بن حنبل، المسند، ج٥، ص ٢٠٨.

(٥) الشافعي، الأم، ج٥، ص ٦١.

(٦) الشافعي، المصدر السابق، ج٥، ص ٦١. انظر: ابن عابدين، فقه أبي حنيفة، ج٣، ص ١٥.

(٧) مالك، الموطأ، ج١، ص ٥٣٠. انظر: وكيع، أخبار القضاة، ج٥، هامش(١)، ص ٢٦٦.

(٨) مالك، المصدر السابق، ج١، ص ٥٢٧. انظر: ابن تيمية، تقي الدين، الفتاوي الكبرى، تحقيق: أحمد مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، مج٤، ص ١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولأنـــه عقد معاوضة فجاز التوكيل فيه كالبيع[١]. روي عن النبي ﷺ أنه وكل عمراً الضمري في تزويجه أم حبيبة[٢] بنت أبي سفيان[٣].

أما عن الكفاءة في الزواج، وهي أن يكون الزوج مساوياً للمرأة في حسبها ودينها ونسبها وبيـــتها وغير ذلك، وتعتبر الكفاءة من جانب الزوج لا من جانب المرأة فيجوز أن تكون أدنى مـــنه في الشروط[٤]. والكفاءة عند الشافعي في خمسة: سلامة عيب نكاح، كجنون أو مرض أو غـــيره، وحـــرية فمن مسه الرق ليس كفؤ حرة، ونسب وعفة بدين وصلاح، وحرفة فليس ذو حرفة دنيئة كفؤ لحرفة أرفع منه[٥].

ولا يصـــح النكاح إلا بحضور شاهدين حرين، وروي عن الرسول ﷺ قال:"لا نكاح إلا بشـــاهدي عـــدل وولي مرشد". وأتي عمر بنكاح لم يشهد عليه إلا رجل وامرأة فقال: هذا نكاح الســـر ولا أجـــيزه ولـــو كنت تقدمت فيه لرجمت[٦]. وتكون الشهادة يوم العقد[٧]. أما الصفات الواجب توافرها في الشاهد فهي الإسلام، الحرية، العدل والبلوغ[٨].

والحكمة في لزوم الشهادة عند الزواج عظيم الأثر في الحياة الاجتماعية، لما يترتب عليها من الآثار الدينية، وما يستتبع ذلك من حقوق الزوجين ومن واجبات تفرض عليهما. وفي إشهار

---

(١) ابن قدامه، المغنى، ج٩، ص ٣٨٧-٣٩١.

(٢)أم حبيـــبة: هـــي بنـــت أبي سفيان، قرشية اسمها هند، كانت تحت عبدالله بنت جحش، فولدت له حبيبة فكنيـــت بهـــا. وتنصـــر فـــي أرض الحبشة بعد الإسلام فوجه رسول الله عليه السلام عمرو بن أمية الضمري إلى خالد بن سعيد بن العاص، فخطبها له فزوجه إياها، فأصدقها النجاشي أربعمائة دينار عند الرســـول عليه السلام. وهي أول امرأة أصدقت في الإسلام بهذا المبلغ، توفيت سنة (٤٤هـــ/٦٦٤م). القضائي، عيون المعارف، ص ١١٢.

(٣) ابن قدامة، المغنى، ج٩، ص ٣٦٣.

(٤) كحالة، الزواج، ج١، ص ٢٦٢.

(٥) انظر: الشافعي، الأم، ج٥، ص ٢٥. الأسيوطي، جواهر العقود، ج٢، ص ١٠.

(٦) مالك، الموطأ، ج١، ص ٥٣٥. ابن حزم، المحلى بالآثار، ج٩، ص ٤٨.

(٧) الشافعي، الأم، ج٥، ص ٣٥. ابن قدامة، المصدر السابق، ج٩، ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٨) الشافعي، المصدر السابق، ج٥، ص ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــنكاح تميز له عن السفاح فإن الزنا عادة لا يكون إلا سراً فمست الحاجة إلى رفع تيمة الزنا عن الزوجين فلا تبقى ثمة شبهة ولا ريبة[١].

ولذلك دعا النبيﷺ إلى إعلان الزواج فقال: إعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا علـــيه بالدفوف[٢]، ويستحب ذلك حتى يشتهر ويعرف وقال ﷺ:"فصل ما بين الحلال والحرام، الصـــوت والـــدف في النكاح"[٣]. هذا وإن الغناء بكلمات طيبة مستحب في الأعراس، فلا بأس بالغـــزل في العرس بمثل قول النبي ﷺ للأنصار:"أتيناكم أتيناكم، لولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم ولولا الحنطة الحمراء ما سمنت عذاريكم"[٤].

وغالباً ما كان المسلمون يتزوجون في شهر شوال ويستحبون الدخول فيه[٥]، وعن عائشة رضـــي الله عـــنها قالـــت:" تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأي نساء رسول الله ﷺ كان أحظى عنده مني"[٦]. وأضحى بعد ذلك شهر شوال من أحب الشهور لإقامة الأعـــراس، واســـتحبوا عقد النكاح يوم الجمعة، لأن جماعة من السلف استحبوا ذلك، لأنه يوم شـــريف ويـــوم عـــيد. والمســـاء به أولى، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال:"مسو بالأملاك فإنه أعظم للبركة، ولأنه أقرب إلى مقصوده وأقل لانتظاره"[٧]. ولأنهم ذهبوا إلى تأويل القرآن واتباع السنة في الفأل لأنه الله سبحانه سمى الليل في كتابه سكناً وجعل النهار نشـــوراً. وقال ﷺ في الطيرة:"أصدقها الفأل، فآثر الناس استقبال الليل لعقد النكاح تيمناً لما فيه

---

(١) الشافعي، الزواج، ص ٧٢. كحالة، الزواج، ج٢، ص ٦١.

(٢) ابن حنبل، المسند، ج١٢، ص ٤٦٤.

– الـــدف: بالفتح، والمراد بالدف الدائر المفتوح شبه الغربال. بن طولون، شمس الدين محمد بن علي الدمشـــقي الصـــالحي، فص الخواتم فيما قيل في الولائم، تحقيق: نزار أباضة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣، ص ٩٧.

(٣) ابن حنبل، المصدر السابق، ج١٢، ص ١٨٣.

(٤) البخاري، صحيح، ص ١١٣٥. ابن قدامة، المغنى، ج٩، ص ٤٩٨.

(٥) مســـلم، صحيح، ص ٦٥٨. يشول المرأة: شال الشيء وارتفع، وشالت نعامة القوم أي تفرقت كلمتهم، وكـــان العرب في الجاهلية يكرهون الزواج في شهر شوال ويتطيرون به. ابن منظور، لسان العرب، مـــج١١، ص ٣٧٧. انظـــر: ***Willam Lane, Edward, Arabian Society in the Middle Ages, London, New Jersey,1987, P, 230.***

(٦) مسلم، صحيح، ص ٦٥٨.

(٧) ابن قدامة، المغنى، ج٩، ص ٤٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــن الهـــدوء والاجتماع، على غرر النهار لما فيه من التفرق والانتشار"[١]. ويستحب أن يقال للمتزوج بارك الله لك وبارك عليك، وجمع بينكما في خير وعافية[٢]. وروي عن الرسول عليه السلام إذا دعا أحدكم للمتزوج قال:"على اليمن والسعادة والطير الصالح والرزق الواسع والمودة عند الرحمة"[٣]. وكان الرسول ﷺ ينهي أن يقال:"بالرفاء والبنين[٤]، لأنها من ألفاظ الجاهلية[٥]، وللعرب أدعية كثيرة للتهنئة بالزواج، يدعون فيها للمتزوج بالسعادة والمسرة والأنس والبركات والولـــد... منها"وصل الله هذا الاتصال السعيد، والعقد الحميد، بأكمل المواهب، وأحمد العواقب، وجعـــل شمل مسرتك ملتئماً، وسبب أنسك منتظماً..ولا أخلاك الله من هذه الوصلة بكثرة العدد، ووفور الولد، وانبساط الباع واليد، على القدر والجد"[٦].

ومـــن مظاهر إعلان الزواج الوليمة: والوليمة طعام العرس، وفي الحديث الشريف "أولم ولو بشاة"[٧]، وعندما تزوج الرسول ﷺ صفية بنت حي بن أخطب جعل وليمتها التمر والسمن والاقط[٨].

والوليمة كما هو معروف لحادث سرور، فلا تجب كسائر الولائم، ولو كان الأمر للوجوب لوجبـــت الشـــاة، وقـــد أجمع العلماء على عدم وجوبها، فالرسول ﷺ أولم على صفية بن حي

---

(١) الطيرة: من التطير، تفاؤلاً وتشاؤماً، الدينوري، عيون الأخبار، مج٢، ج٤، ص ٧٢.

(٢) مالك، الموطأ، ج١، ص ٥٤٧. ابن حنبل، المسند، ج٩، ص ٥٨.

(٣) ابن قتيبة، أبي عبد الله مسلم الدينوري، عيون الأخبار، مج٢، ج٤، ص ٧٨.

(٤) الدينوري، المصدر السابق، مج٢، ج٤، ص ٧٨.

- والرفاء الالتحام والاتفاق، أي تزوجت زواجاً يحصل به الاتفاق والالتحام بينكما والبنون، فيهنئون سلفاً وتعجـــيلاً، ولا ينبغي للرجل أن يهنىء بالابن ولا بالبنت بل يهنىء بهما، ويترك التهنئة بها ليتخلص من عادة الجاهلية. الاستانبولي، تحفة العروس، ص ١٨١.

(٥) القيروانـــي، أبي اسحاق الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٩٠، ج٣، ص ١٩٩.

(٦) ابن طولون، الولائم، ص ٤٠. ابن منظور، لسان العرب، م.١٢، ص ٦٤٣.

(٧) مالك، الموطأ، ج١، ص ٥٤٥. مسلم، صحيح، ص ٦٧٩. ابن حزم، المحلى بالآثار، ج٩، ص ٩٩.

(٨) البخاري، صحيح، ص ١١٣٦. مسلم، المصدر السابق، ص ٦٦٢. ابن طولون، الولائم، ص ٤١.

-الأقط والإقط والأُقط والأُقط: شيء يتخذ من ألبان الإبل خاصة. ابن منظور، المصدر السابق، مج٧، ص ٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيســاً[١] مع أنها سيدة قريظة والنظير مع جمالها ونسبها[٢]. فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ :"وأولم على بعض نسائه بمدين[٣] من شعير"[٤]. وأولم على زينب بنت جحش رضي الله عنها بشــاة[٥]" فالمستحب في الوليمة للقادر شاة، وأن لم يتمكن اقتصر على ما لديه، اقتداءً بالرسول ﷺ، والإجابــة إلى دعوة الوليمة مستحبة لقوله ﷺ:"إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرساً كان أو نحــوه"[٦]. وقيل وليمة العرس فرض كفاية إذا أظهرها الواحد في عشيرته ظهوراً منتشراً سقط فرضــها عــن سواه وإلا جرحوا بتركها أجمعين"[٧]. واختلف في وقتها هل هي قبل الدخول أو بعده؟ والأصح عند مالك فعلها بعد الدخول. وعن جماعة من المالكية استحبابها عند العقد. وعن حبيب المالكي استحبابها عند العقد وعند الدخول. ومنها أن يدعو في اليوم الأول فلو أولم ثلاثة أيــام، فالإجابــة فــي الــيوم الثالث مكروهاً، وفي اليوم الثاني لا تجب، ولا يكون استحبابها كالاستحباب في اليوم الأول[٨].

---

(١) الحــيس: الخلــط ومنه سمي حيساً وهو التمر يخلط بالسمن والأقط فيعجن بالسمن عجناً شديداً ثم يندر منه نواة. ابن منظور، لسان العرب، مج٦، ص ٦.

(٢)البخاري، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، المسمى الحسن الصحيح المختصر مــن امــور الرسول ص، وسننه وايامه، تحقيق: محمد نزار رستم، دار الارقم، بيروت، ١٩٩٥ ص ١١٣٦.

(٣) المــد: نــوع مــن المكايــيل وهو ربع صاع وهو قدر مد النبي عليه السلام. والصاع خمسة أرطال، والــرطل اثنا عشر أوقية. والاوقية اثنا عشر درهماً، هذا لا خلاف فيه، والاختلاف فيه أنه يختلف في الأمصــار والــبلدان من بلد لآخر، والجمع أمداد. وقيل أن أصل مقدار المد بان يمد الرجل يديه فيملأ كفــيه طعامــاً. انظر: ابن الاخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، معالم القربة في أحكام الحسبة. تحقــيق: روبن ليوي، دار الفنون، كيمبرج، ١٩٣٧، ص ٨٠-٨١. ابن منظور، المصدر السابق، مج ١٣، ص ٤٠٠.

(٤) ابن طولون، الولائم، ص ٤٢.

(٥) زينــب بنــت جحــش: هي ابنة عمة رسول الله ﷺ، وكانت تحت زيد بن حارثة، فطلقها وتزوجها الرســول ﷺ، بولاية أخيها سنة خمس هجرية، وأصدقها اربعمائة درهم، وتوفيت في خلافة عثمان سنة عشرين من الهجرة. القضاعي، عيون المعارف، ص ١١١.

(٦) مسلم، صحيح، ص ٦٦٦. ابن حزم، المحلى بالآثار، ج٩، ص ٢٤.

(٧) ابن حزم، المحلى بالآثار، ج٩، ص ٢٤.

(٨) ابن طولون، الولائم، ص ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهر أو الصداق

وهو ما أوجبه الشرع من المال أو المنفعة التي تقوم بالمال حقاً للمرأة على الرجل في عقد الزواج الصحيح[1]، فهو حق يقدمه زوجها إليها في مقابل حقه في معاشرتها وحبس نفسها عليه[2]. وهو حكم من أحكام الزواج، أي أثر من آثاره، وليس شرطاً في صحته، ولذا ينعقد الزواج من غير ذكر المهر، بل ينعقد الزواج ويلزم الزواج ويلزم المهر، ولو اتفق الزوجان على أن لا مهر[3]، وقد ثبت هذا التشريع بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾w[4]. وقوله تعالى:﴿وآتوهن أجورهن بالمعروف﴾[5].

ودعا الإسلام المهر "صداقاً" لإشعار الزوج بصدق رغبته في الزواج، ودعاه "نحله" وهو العطاء بغير عوض، ودعاه "حباء" وهو ما يعطى من مال تكريماً لصاحبه، ودعاه "العليقة" علاقة لأنه يربط بين الزوجين[6]. وقال الرسول ﷺ لرجل أراد أن يتزوج وليس لديه مال:"التمس ولو خاتماً من حديد"[7]، أي وجود المهر على الزوج حتى لو كان شيئاً رمزياً.

وقد وضع الفقهاء حداً أدنى للمهر، واختلفوا في هذا الحد، فأقله عند المالكية ربع دينار أو ثلاثة دراهم فضية أو ما هو بقيمة أحدهما[8]. وأقله عشرة دراهم، هذا ما قاله الحنفية[9]، ولا حد لأقله عند الشافعية، فكل ما يسمى مالا، قل أو كثر، يصح أن يكون مهراً، لقوله تعالى:﴿أن تبتغوا

---

(١) عثمان، أحمد، آثار عقد الزواج في الشريعة الإسلامية، الرياض، ١٩٨١، ص ١٢٢.

(٢) الترمانيني، الزواج عند العرب، ص ١٦٦.

(٣) أبو زهرة، محاضرات في عقد الزواج، ص ٢٢٨.

(٤) النساء، آية ٤.

(٥) النساء، آية ٢٥.

(٦) انظر: الشافعي، الأم، ج٥، ص ٨٧-٨٨. ابن عابدين، فقه أبي حنيفة، ج٣، ص ١٠١.

(٧) مالك، الموطأ، ج١، ص ٥١٦. البخاري، صحيح، ص ١١٢٠. مسلم، صحيح، ص ٦٥٨.

(٨) مالك، المصدر السابق، ج١، ص ٥٢٨.

(٩) ابن عابدين، فقه أبي حنيفة، ج٣، ص ١٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأموالكم محصنين غير مسافحين﴾[1]، فأطلق المال ولم يحدده، قال الشافعي: أقل ما يتمول الناس به يجوز أن يكون مهراً[2].

وقد خفض الإسلام المهر وجعله رمزياً، روى أنس بن مالك أن الرسول ﷺ رأى عبد الرحمن بن عوف فقال له: أنه تزوج امرأة على وزن نواة من ذهب[3]، فقال له الرسول ﷺ: بارك الله لك أولم ولو بشاة[4]. ويروى أن شاباً فقيراً جاء إلى رسول الله ﷺ، فذكر له أنه تزوج على أربعة أواق أي مائة وستين درهماً، فاستكثرها الرسول وقال:"كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل"[5]. أما أعلى قيمة للمهر، فالفقهاء متفقون على أن لا حد لأكثره، لأنه عطاء يمنحه الرجل لزوجته، ولم يزد صداق الرسول ﷺ لأزواجه أكثر من خمسمائة درهم[6].

ولما بدأت الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق واتسعت في عهد عمر بن الخطاب، أثرى المسلمون من الغنائم، فارتفعت المهور وغالى الناس فيها. فأراد عمر بن الخطاب أن يحد من ارتفاع المهر تيسيراً للزواج، وحدد أعلى مهر باربعمائة درهم. فخطب بالناس وقال: أيها الناس لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ ، ما أصدق امرأة من نسائه، ولا بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية "من الفضة" فمن زاد على أربعمائة شيئاً جعلت الزيادة في بيت المال، فبرزت له امرأة، وقالت: ليس ذلك إليك يا عمر، فقال: ولم؟ قالت: لأن الله تعالى يقول:﴿وآتيتم

---

(١) النساء، آية ٢٤.

(٢) الشافعي، الأم، ج٥، ص ٨٨.

(٣) النواة: قيل هي ثلاثة دراهم، وقيل خمسة. أي أن عبد الرحمن تزوج على قطعة ذهب زنتها ثلاثة دراهم وعند البعض خمسة. الشافعي، الأم، ج٥، هامش(٣)، ص ٩٠.

(٤) مالك، المصدر السابق، ج١، ص ٥٤٥-٥٤٦. ابن حنبل، المسند، ج١١، ص ٣٠٣.

(٥) مسلم، المصدر السابق، ص ٦٥٨. انظر، ابن حنبل، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٨١.

(٦) ابن حنبل، المسند، ج١، ص ٣٠١. الشافعي، الأم، ج٥، ص ٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استبدال زوج مكان زوج، وآتيتم إحداهن قنطاراً[1]، فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً﴾[2]، فقال عمر اللهم عفوك كل الناس افقه منك يا عمر، وفي رواية أخرى قال: اخطأ عمر وأصابت امرأة، ثم رجع إلى المنبر فقال: إني كنت نهيتكم أن لا تزيدوا في صداق النساء على أربعمائة درهم فمن شاء أعطى من ماله ما أحب[3].

والمهر أو الصداق يجوز أن يكون أي شيء، أي مالاً نافعاً طاهراً، مقدوراً على تسلمه معلوماً ليس فيه جهالة أو فاحشة متفق عليه بين الزوجين، روى الشافعي عن الرسول عليه السلام قوله:"أدوا العلائق، فقالوا وما العلائق؟ فقال: ما تراضى به الأهلون"[4]. والرسول عليه السلام اعتق "جويرية بنت الحارث" وتزوجها فكان عتقها من الرق صداقها[5]، وقد يكون الصداق تمراً، عن الرسول ﷺ قال:" من أعطى في صداق ملء كفيه سويقاً أو تمراً فقد استحل"[6]. ويصح أن يكون علماً فالرسول ﷺ زوج امرأة من رجل فقير بسورة من القرآن الكريم[7]، وأجاز ﷺ نكاحاً على نعلين، وأن عمر بن الخطاب أجازه في ثلاث قبضات من زبيب، وقد يكون درهماً أو أقل كحبة حنطة أو قبضة من الحنطة[8]، وقال الشافعي: يجوز أن تنكح المرأة على أن يخيط لها ثوباً أو يبنى لها داراً أو يخدمها شهراً، أو يعمل لها عملاً أيا كان، أو يعلمها قرآناً مسمى، أو يعلم لها عبداً أو ما شابه ذلك[9]. فها هي أم سليم تزوجت بن

---

(١) القنطار: عند معاذ بن جبل، القنطار: ألف ومائة أوقية، وعن أنس بن مالك اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار، وقد يكون سبعون ألف دينار، وقد يكون ثمانون ألفاً. ابن الأخوة، معالم القربة، ص ٨٠. الشافعي، الأم، ج٥، هامش (٤)، ص ٨٨.

(٢) النساء، آية ٢٠.

(٣) ابن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٥٠٧. انظر: وافي، قصة الزواج، ص ١٠٥.

(٤) الشافعي، الأم، ج٥،ص ٩١. عثمان، عقد الزواج، ص ١٣٧.

(٥) ابن حنبل، المسند، ج١٨، ص ٢٠٥. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مج٢، ص ١٩٢.

(٦) ابن قيم الجوزيه، الفقيه شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: شعيب وعبد القادر الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩، ج٩، ص ١٧٧.

(٧) مالك، الموطأ، ج١، ص ٥٢٦.

(٨) الشافعي، الأم، ج٥، ص ٩١-٩٢.

(٩) الشافعي، الأم، ج٥، ص ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحـــان، أبا طلحة الأنصاري على أن يسلم فأسلم، فأسلم فكان مهرها إسلامه، وكان أكرم مهر في الإسلام[١].

ويصح تعجيل المهر كله ويصح تأجيله إلى أجل قريب أو بعيد، أو تأجيل بعضه وتعجيل الآخـــر، أو تأجيله إلى أقرب الأجلين الطلاق أو الوفاة[٢]. وقد جرت العادة في زماننا أن يكون معجـــل المهـــر مبلغاً رمزياً من المال أو قطعة ذهبية، وأن يؤجل كامل المهر. ويجب للزوجة شـــرعاً بمجرد العقد الصحيح عليها سواءاً سمى الزوج أو الولي المهر عند العقد أو لم يسم أو نفـــاه أصـــلاً. فإن لم يسمّ لها مهراً كان من حقها مهر مثلها ولا يجوز للزوج أن يتزوجها بلا مهر[٣]، ومهر المثل هو: الذي لم يذكر في العقد فيعتبر مهرها بمن يساويها من مهر أقاربها[٤]. وفـــي رأي الحنفية أي مهر امرأة تماثلها من قوم أبيها لا أمها إن لم تكن من قومه[٥]. وتسمى المـــرأة التـــي تزوجـــت بدون مهر مسمى في العقد "المفوضة" لأنها بسكوتها عن المهر كأنها رضيت أن تفوض الزوج أو وليها أن يقدر لها المهر[٦].

وبذلـــك جـــرد الإسلام المهر أو الصداق من عنصر الثمن والمادية، فخفضه حتى جعله رمـــزياً، وإذا كان الخليفة عمر قد غلبته امرأة بحجة القرآن، فقد كان الباعث الذي دعاه لتحديد أعلـــى مهر مستمداً من روح الشريعة الإسلامية، وهو تيسير الزواج[٧]، غير أن الطبقة الثرية التـــي نشـــأت مـــع الفتوح، ومنها الطبقة الحاكمة من خلفاء وأمراء وولاة، قد أسرفت في بذل المهـــور. فقـــد أصدق مصعب بن الزبير أمير العراق، عائشة بنت طلحة التيمية خمسمائة ألف درهم[٨]. وأصدق سكينة بنت الحسين بن علي ألف ألف درهم[١]. وفي عهد بني العباس ارتفعت

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص ٩١.

(٢) ابن الجوزي، أحكام النساء، ص ٤٣٥. الدينوري، عيون الأخبار، ج٤، ص ٦٩.

(٣) الشافعي، الزواج، ص ٩٠.

(٤) كحالة، الزواج، ج٢، ص ٢١. الشافعي، الزواج، ص ١٨٨.

(٥) ابن عابدين، فقه أبي حنيفة، ج٣، ص ١٣٧.

(٦) عثمان، آثار عقد الزواج، ص ١٤٨.

(٧) الترمانيني، الزواج عند العرب، ص ١٦٨-١٦٩.

(٨) عائشـــة بنـــت طلحـــة: كانت من أندر نساء عصرها حسناً وجمالاً وعفة وأدباً، وكانت لا تحتجب عن الرجال، تزوجت عدة أزواج، وكانت تقيم بمكة سنة والمدينة سنة، وتخرج إلى مال لها عظيم بالطائف وقصـــر كـــان لها متنزه، وكانت عالمة بأخبار العرب وأشعارها وأيامها توفيت بعد نيف ومائة سنة،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المهور إلى مائة ألف دينار، وبهذا القدر من المهر تزوج الخليفة المأمون بن الرشيد بوران بنت الحسن سنة (٢١٠هـ/٨٢٥م) [٢].

وتـزوج الخليفة المعتضد بالله، ابو العباس بن جعفر المتوكل (٢٧٩-٢٨٩هـ) (٨٩٢-٩٠١م)، قطر الندى[٣] بنت خمارويه[٤]، وكان هذا الزفاف فريداً لم يعرف في التاريخ مثيله، فقد

المالقي أبي الحسن علي بن محمد المعافري خطيب المسجد الأقصى، الحدائق الغناء في أخبار النساء. تحقيق: عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٥، ص ٦١. ابن الجوزي، أحكام النساء، ص ٤٤٦.

(١) سكينة بنت الحسين: كان يجتمع إليها الشعراء والأدباء والمغنون فيحتكمون غليها في مناقشة علمية، كانت ذات بيان وفصاحة وسعة بالإطلاع، توفيت سنة ١١٧هـ/٧٣٠م. ابن الجوزي، أحكام النساء، ص ٤٤٥-٤٤٦. بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص ٥٠٧.

(٢) بوران: يقال أن اسمها خديجة، وبوران لقب لها وقد اشتهرت به، تزوجها المأمون واحتفل أبوها بأمرها، وعمل من الولائم والأفراح ما لم يعهد مثله، وقد فرش للمأمون يوم زواجه من ابنته حصيراً منسوجاً من الذهب، ونثر عليه ألف لؤلؤة من كبار اللؤلؤ وانتهى أمره إلى أن نثر على القواد والكتاب بنادق مسك، فكانت البندقة إذا وقعت في يد رجل فتحها، فيقرأ ما في الرقعة، فإذا علم ما فيها مضى إلى الوكيل بذلك، ويتسلم ما فيها سواء كانت ضيعة أو ملكا آخر أو فرسا أو جارية أو مملوكا، ثم نثر بعد ذلك على سائر الناس الدنانير والدراهم..الخ، وكان مولدها سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م، وقد توفيت في بغداد سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م. وعمرها ثمانون سنة. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م.٦، ص ٣٩٥. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩، مج١، ص ٢٨٧-٢٩٠.

- الحسن بن سهل: استوزره المأمون بعد أخيه الفضل، وهو أبو محمد الحسن بن سهل بن عبدالله السرخس، وحظي عنده، وكان المأمون شديد المحبة له، وكان الحسن كثير العطاء للشعراء، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٢، ص ١٢٠.

(٣) قطر الندى: اسمها أسماء بنت أبي الحسن خمارويه، اتصفت بالجمال والكمال، توفيت سنة ٢٨٧هـ/ ٨٤١م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٢، ص ٢٤٩.

(٤) خمارويه: أبي الحسن بن أحمد بن طولون، ولي أمرة دمشق ومصر بعد أبيه، وكان جواداً غنياً مسرفاً في الانفاق، ولد سنة ٢٥٠هـ/ ٩٩١ م، وتوفي سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، كتاب الوافي بالوفيات، باعتناء محمد الحجيري، ١٩٨٤، ص ٤١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلـــغ مـــن الضـــخامة حداً أدى لإفلاس وخراب الدولة الطولونية في مصر[١] كما تذكر بعض المصادر. فأراد خماوريه بهذه المصاهرة أن يدعم استقلاله في مصر، وأن يكسب تأييد وموافقة الخلـــيفة العباسي في بغداد، وقد بالغ في تجهيز ابنته قطر الندى، حتى جر الخراب على دولته، فقـــد جمـــع من كل مستحب وجميل ونادر وظريف في أرض مصر. وكان مع الجهاز دكة من الذهـــب المشبك، في كل عين فيها قرط معلق فيه جوهرة لا تقدر بثمن. ومائة هاون من الذهب يـــدق فـــيها العود والطيب، وفي جهازها عشرون صينية ذهب وعشرون فضة[٢]، وإضافة إلى ذلـــك فقد قال ابن الجصاص الذي كلف بالتجهيز، حُمّل معه إلى بغداد مائة ألف دينار ليستكمل شراء ما نقصه في مصر وما سوف يجده من تحف العراق تكملة للجهاز[٣]، وقد أمر خمارويه ببـــناء سلسلة من القصور الفخمة على طول الطريق، أي المسافة ما بين مصر وبغداد عاصمة العباسيين، لتنزل فيها ابنته خلال رحلتها، وقد جهزت جميع القصور بالخدم والحشم والجواري والموائـــد وكـــل مـــا يحتاج إليه الملوك حتى تظل قطر الندى متمتعة بكل وسائل الراحة خلال الطريق[٤]، فإسراف خمارويه هذا استهلك جزءاً كبيراً من ممتلكاته، حتى أن كلفة الجهاز بلغت حداً فاق التصور، ولم يكن من السهل تعويض كل هذه النفقات بمدة وجيزة، مما أدى إلى فراغ خزينة الدول والى ضعف الدولة والسلطة[٥]، وكان ذلك بداية لنهاية الدولة الطولونية في مصر.

---

(١) ويقال أن المعتضد أراد بزواجها إفقار الدولة الطولونية. ابن خلكان، الوافي بالوفيات، مج٢، ص ٢٥٠ . بـــن تغـــري بـــردي، جمـــال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهـــرة، تحقـــيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ص ٣، ص ٧٤. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص ٢٥١

(٢)انظـــر: المسعودي، مروج الذهب، ج٥، ص ١٢٧. بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٧٤. والصـــفدي، الوافـــي بالوفيات، ج٢١، ص ٢٥١. تحقيق: علي بن الحسين المسعودي، علي بن محمد الرضا،، باعتناء: محمد الحجيري، فرانز–فيسبادن، شتوتغارت، دار صادر، ١٩٨٨، ج٢١، ص ٢٥١

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص ٢٥١.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص ٧٤.

(٥) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨، ص٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

المرأة في العصرين الفاطمي والأيوبي

- المرأة في العصر الفاطمي.
- نساء القصر (الألقاب والثروات).
- زينة المرأة (اللباس والمصاغ).
- المرأة في العصر الأيوبي (مكانتها والقابها).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة والحياة العامة في العصر الفاطمي

نساء القصر (الألقاب والثروات)

تميزت الحياة الاجتماعية في بلاط الخلفاء والأمراء والخاصة بالترف والغنى في مصر وبلاد الشام في العصر الفاطمي الذي يمتد من (٣٥٨-٥٦٧هـ) (٩٦٩-١١٧١م) وكان هناك فئتان متميزتان، الخليفة ورجال دولته وأهلوهم وأتباعهم هم فئة الخاصة وعددهم قليل بالنسبة لعدد السكان. وبقية الناس وهم الأكثر يمثلون فئة العامة، وهم العلماء والصناع والمزارعون، وأغلب هؤلاء فقراء إلا من اتصل منهم بالخلفاء والأمراء[١]. وكانت الأسرة الحاكمة في المجتمع المصري في عصر الدولة الفاطمية تمثل قمة هذا المجتمع، فقد كان لها الحكم والسيادة، وتتمتع بالثراء العريض والنفوذ القوي، وعلى رأسها الخليفة والأمراء والأميرات، وكان للفاطمين خزائن يختزنون بها أدوات الترف والبذخ، بعضها للفرش وهناك خزائن أخرى للطيب والسلاح والسرج والكسوات والشراب والتوابل، وكان الخليفة يذهب لزيارة تلك الخزائن لتفقدها، وقد توسع المؤرخون في وصف هذه وما حوته من الآلات والرياش والثياب والجواهر والأطياب[٢].

وكانت القصور الفاطمية في مصر تضم أعداداً كبيرة من النساء لا يمكن تقديره[٣]، وقد تنوعت مكانتهن الاجتماعية، لما يقمن به من وظائف ومهام داخل القصر، فكان على رأسهن زوجات الخليفة وحظاياه وجواريه وأخواته وكرائمه وعماته، ويطلق على نساء القصر بصفة عامة كلمة "حريم"[٤]، يتضح هذا من اسم القصر الذي كان مخصصاً لسكناهن وهو قصر الحريم، الذي كان يتصل بغرفة الخليفة الفاطمي عن طريق سرداب، وكان ذلك تبعاً في أغلب القصور الإسلامية[٥]، بالإضافة إلى الخادمات الآتي يسند إليهن أعمال مختلفة في القصر[٦].

---

(١) أمين، أحمد، ظهر الإسلام، مكتبة النيضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ج١، ص ١١٤-١١٥.

(٢) انظر: ابن الطوير، أبو محمد المرتضي عبد السلام بن الحسن القيسراني، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد السيد، بيروت، ١٩٩٢، ص ٣٦ -٣٧. والمقريزي، الإمام العلامة تقي الدين أحمد بن القادر بن محمد، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٨، ج٢، ص ١٦٥-١٦٨. زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي. تعليق: حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، د.ت، ج٥، ص١٢٦-١٤٦.

(٣) ناصر خسرو، أبو معين الدين القبادياني المروزي، سفرنامة، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩١، ط٢، ص ١٠٤.

(٤) حريم: الحرم..الحرمة: ما لا يحل انتهاكه. الرازي، مختار الصحاح، ص ١٣٢.

(٥) أحمد، المرأة في مصر، ص ٣٥.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن النساء اللآتي أحرزن مكانة هامة، هن زوجات الخليفة وحظاياه[١]، ولقد كانت عادة تعـدد الـزوجات موجودة عند معظم الخلفاء الفاطميين، على الرغم من أن الخليفة الفاطمي المعـز[٢] اكتفى بزوجة واحدة، وكان يحث رعاياه على ذلك وخاطبهم قائلا: وألزموا الواحدة التي تكون لكم، ولا تشرهوا إلى التكثر منهن، والرغبة فيهن، فينغص عيشكم، وتعود المضرة علـيكم، وتنهكوا أبدانكم، وتذهب قوتكم، وتضعف نحائركم، فحسب الرجل الواحد الواحدة[٣]، ولمـا توفيـت زوجـة العزيز بالله[٤] وأم أولاده، ولما توفيت السيدة العزيزية أم ولد العزيز، حملـت إلى القصر وصلى عليها الزيز، وكفنت بما مبلغه عشرة آلاف دينار، وأخذت الغاسلة ما كان تحتها من الفرش وعليها من الثياب. فكان مبلغ ذلك ستة آلاف دينار، ودفع للفقراء في سبعة أيام ألفا دينارن وأعطى للفقراء الذين قرأوا على قبرها ثلاثة الاف دينار، ورثاها جماعة مـن الشعراء، فأطلق لهم الجوائز، وأجيز بعضهم بخمسمائة دينار، ثم فرق على الشعراء بعد ذلك مبلغ الفي دينار[٥]. ٦٠٧٠٠٨

كمـا انتشـر التسري واتخاذ الجواري في القصر الفاطمي، للتمتع بهن واستيلادهن[٦]. وتكاثر الاتجار بالجواري وتربيتهن وتهاديهن في هذا العصر وكثيراً ما يعقب التسري التزوج بـالجواري، فـيعقوب بـن كلس وزير الدولة الفاطمية، فكان له ثمانمائة حظية غير جواري الخدمة[٧]، وذكر ناصر خسرو أن عمدة الدولة أمير الطالبين، كان يملك الأموال الكثيرة التي لا تحصـى، ومـن جملتها ثلاثمائة جارية أكثرهن كالبدور، وبعضهن سرارية[٨]. أما يأنس

---

(١) الحظايـا: مفـردها محظـية، وهي أن يكون للخليفة أو الرجل جارية قد تحظاها وجعلها سريته. الرازي، مختار الصحاح، ص ١٤٣.

(٢) المعز لدين الله، الخليفة الفاطمي الرابع، والأول في مصر، أبو تميم معد، الملقب بالمعز لدين الله، تولى الخلافة في نهايـة شوال سنة ٣٤١هـ/٩٥٣م، توفي سنة ٣٦٥/٩٧٥م. الأنطاكي يحيى بن سعيد بن يحيى، تاريخه المعروف "بصلة تاريخ أوتيخا". تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، ١٩٩٠، ص ٨١-٨٢.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٤.

(٤) العزيـز بالله، أبو منصور نزار ابن الخليفة المعز، الخليفة الفاطمي الخامس والثاني في مصر، تولى الخلافة من (٣٦٥-٣٨٦هـ)(٩٧٦-٩٩٦م). الأنطاكي، تاريخه، ص ٢٣٥-٢٣٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١٢٨.

(٥) ابـن ميسـر، تـاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب، انتقاه تقي الدين المقريزي، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٨٤، ص ١٧٢.

(٦) التسـري: بالضم في اللغة الجماع، والسرية الجارية، وجمعها سراري، وهي الامة يتسراها صاحبها. الجرجاني، علي بن محمد السيد شريف، كتاب التعريفات، تحقيق، عبد المنعم الحفني، دار الرشيد، القاهرة، ١٩٩١، ص ٦٦.

(٧) العيني، بدر الدين، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد"شيخ المحمودي" تحقيق: فهيم شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٥٤.

(٨) سفرنامه، ص ١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجـواري وصـلن إلـى أعلى المراتب بزواجهن من الخلفاء، فأصبحن زوجات خلفاء وأمهـات خلفاء، وكان لهن تأثيرهن على أمور الدولة من هذا الطريق، وأصبح الاستكثار من الجواري عادة مألوفة، حتى صار النساء يقتنين الجواري للزينة[١]، فكانت السيدة الشريفة ست الملك تملك ثمانية آلاف جارية منهن ألف وخمسمائة من البنات الأبكار[٢].

وبلغت الجواري في المجتمع الفاطمي شأناً عظيماً، وكلما كانت الجارية جميلة أو مغنية، ارتفـع شأنها واستحوذت رضا الخليفة أو الوزير أو الأمير، وبذلت المبالغ الكبيرة للحصول علـيها[٣].وقـد أكثر الفاطميون من استخدام "الخصيان أو الطواشي"[٤]، السود أو البيض في قصـور النساء وكان غالبيتهم من الصقالبة أو الروم، ووصل بعض هؤلاء الخدم إلى مراتب عالـية في الدولة. فيانس الصقلي كان خصياً ارتقى إلى مرتبة الولاية، وعظم شأنه حتى راح يـتدخل فـي الشـؤون السياسية للدولة. وبرجوان الخادم الخصي كان هو الآخر وصياً على الحاكم بأمر الله وتسلم الوزارة في أيامه سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، وتلقب بأمير الدولة، وهو أول من لقب بذلك في الدولة الفاطمية[٥].

وكان للنساء شأن كبير في عصر الدولة الفاطمية، وقد منحت زوجات الخلفاء وأخواتهم وبـناتهم الألقاب التي تدل على المكانة العالية التي تمتعت بها المرأة في هذا العصر ومنها ما كـان يطلـق علـى زوجة الخليفة التي كانت تتمتع بمكانة مرموقة في القصر، وكانت تلقب "بالجهـة العالية" أو "الجهة المعظمة" ويبدو أن زوجات وحظايا الأمراء وكبار رجال الدولة لم يكن من حقهن هذا اللقب بل كانت يطلق عليهن "الجهة" فقط[٦]، وكان اللقب المنتشر بين نساء القصـر مـن الأمـيرات بـنات الخلفاء وأقاربهن هو لقب "السيدة الشريفة"[٧]، وأحياناً لقب

---

(١) زيدان، التمدن الإسلامي، ج٥، ص ١٣٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٧٢.

(٣) أيوب، إبراهيم رزق، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٩.

(٤) خصـيان: مفردها خصي، وهو الشخص الذي نزع منه أعضاؤه التناسلية، ولم يعد قادراً على معاشرة النساء، والغاية من ذلك اسـتخدامهم فـي قصور النساء بصفة خدم وحراس، وعرفت هذه الطريقة منذ أقدم العصور، ومع أن الإسلام حرمها تحريماً قاطعـاً، إلا أن السـلاطين والملوك أبقوا عليها، ولعب هؤلاء دوراً هاماً في الحياة السياسية، ونبغ منهم أعيان ومشاهير، وقد توسـع نفوذهـم فـي العصـر العثماني وكان لهم رئيس متميز في صلاحياته أطلق عليه لقب: باشا آغا الخصيان. الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٦٣.

(٥) ابـن القلانسـي، حمـزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي، تاريخ دمشق (٩٢٠-١١٦٠م). تحقيق: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣، ص ٧٤-٧٥.

(٦) المقريـزي، اتعـاظ الحـنفا بإخبار الأئمة الفاطميين، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٧٣، ج٣، ص ٨٦. الخطـط، ج٢، ص ١٦٨-١٦٩، انظـر، سلطان، عبدالمنعم، المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر، ١٩٨٥، ص١١٦.

(٧) المسـبحي، الأمـير المختار عز الملك محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، تياري بيانكي، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٧٨، ج٤، ص ١١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"السيدة"[١]، وأحياناً يقترن هذا اللقب بالانتساب إلى الخليفة الزوج مثل:"السيدة علم الآمرية"[٢]، "والسيدة العزيزية"[٣]. و "سيدة الملك"[٤]، ومنها "الملكة" وهو يعبر عن الجليلات من النساء من أفراد البيوت المالكة وكان من ألقاب أم الخليفة المستنصر كما لقبت به ابنة الخليفة الظاهر[٥].

وحازت زوجات الخلفاء والأميرات وكبار نساء القصر الثروات الضخمة، واشتهر كثير منهن بالثراء والبذخ، وذكرت المصادر الثروات الكثيرة التي خلفتها بعض الأميرات الفاطميات، والتي تمثلت في الجواهر والتحف الثمينة، وهذا يوضح مدى الثراء الذي كانت عليه الدولة الفاطمية، فقد ذكر المقريزي أن بنتين للخليفة المعز تركت إحداهما عند وفاتها سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م واسمها رشيدة ما قيمته ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار[٦]، أي ما يقرب من مليون وثلاثة أرباع المليون من العملة الذهبية[٧]. من جملته ثلاثون ثوب من الخز، وإثنا عشر ألفاً من الثياب المختلفة الألوان، ومائة قطرميز مملوءة كافوراً قيصورياً، بالإضافة إلى الكثير من المعممات المرصعة بالجواهر، وكان من الخلفاء الذين تولوا بعد والدها ينتظرون وفاتها فلم يقض ذلك إلا للمستنصر بالله فحازه في خزائنه[٨]. أما الأخرى واسمها "عبده" توفيت في نفس السنة تركت ثروة لا تحصى ولا تقدر بمال، حتى أنه استخدم في الختم على تركتها أربعون رطلا من الشمع[٩]، منها أربعمائة قمطرة وألف وثلاثمائة قطعة مينا[١٠] فضة زنة كل واحدة منها عشرة آلاف درهم، وثمان وعشرون صينية مينا مغطاة بالذهب قومت كل منها بثلاثة آلاف دينار. وثلاثون ألف شقة صقلية، ومن الجوهر مالا يحد كثرن وزمرد كيلة أردب واحداً، وقد وجد الوزير أبا محمد اليازودي في موجوداتها طستاً وأبريقاً، فلفرط استحسانه لهما سأل المستنصر فيهما فهوبهما له. وأربعمائة سيف محلى بالذهب، ومن الجواهر والزمرد ما لا يحد كثرة، وتسعون طشتاً وتسعون إبريقاً من صافي البلور، ووجد في

---

(١) المقريزي، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١، ج٣، ص ٣٦٧. الخطط، ج٢، ص ٣٣٤. ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٢٦٧.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٤٤٦. كحالة، أعلام النساء، ج٣، ص ٢٢٩.

(٣) ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٧٠.

(٤) ابن ميسر، المصدر السابق، ١٧٣.

(٥) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة الغربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٥٠٦.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٦-١٧٧.

(٧) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية مصر وسورية وبلاد المغرب، دمشق، ١٩٥٨، ص ٦٤٥.

(٨) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٧.

(٩) الرطل: وحدة من وحدات الوزن، والرطل إثنا عشر أوقية والأوقية اثنا عشر درهماً والرطل فيه اختلاف كثير في الأمصار والبلدان. ابن الاخوة، معالم القربة، ص ٨٠.

(١٠) المينا: مادة كالزجاج نصف شفافة تذاب وتستخدم في الأكاسيد لإكسابها ألواناً مختلفة. أحمد، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، هامش (٦٢)، ص ١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصر خزائن مملوءه من سائر أنواع الصيني منها أجاجين صيني كبار كل واحدة منها على ثلاثة أرجل على صورة الوحوش والسباع قيمة كل قطعة منها ألف دينار وهي معمولة لغسل الثياب فيها[١]، ووجد عدة أقفاص مملوءة ببيض صيني فيها ماء البيض النيمبرشت[٢]، وحصير ذهب وزنها ثمانية عشر رطلاً يعتقد أنها الحصير التي جليت عليها بوران بنت الحسن على المأمون. ووجد عدة صناديق مملوءة مرايا منها ما هو مصنوع من الحديد الصيني أو من زجاج المينا وجميعها محلى بالذهب والفضة والجواهر وسائر أنواع الحرير والخيزران وذات مقابض من العقيق وغيره[٣]. بالإضافة إلى خمسة أكياس من الزمرد، وثلثمائة قطعة من الفضة، وثلاثين ألف ثوب صقلي وغير ذلك من الذخائر والتحف[٤]. ومن التحف الثمينة الشيء الكثير منها: قطع من الشطرنج والنرد مصنوعة من سائر أنواع الجوهر. وأربعمائة قفص كبار مسبوكة بالجواهر، وأربعة آلاف تحفة نرجسية مصنوعة من الذهب، وستة وثلاثون ألف قطعة من بلور قيمتها ستة وثلاثون ألف دينار، وإثنان وعشرون ألف قطعة من العنبر. وأخرجت من القصر "الكلوته" المرصعة بالجوهر وكان وزن ما فيها من الجوهر سبعة عشر رطلاً وكانت من غريب ما في القصر ونفائسه، وقيمتها مائة وثلاثون ألف دينار. ومن التحف أيضاً طاووس وديك وغزال من ذهب ومرصعة بسائر الدر والجوهر. وتحفة على شكل شجرة نخيل مكللة بالجوهر والدر، لا تقدر بقيمة، بالإضافة إلى أشجار أي تحف أخرى ثمارها من العنبر. بالإضافة إلى الكثير من الأدوات منها العشاري الفضي ويبدو أنه ماعون يحتفظ فيه المال، حيث كان فيه مائة وعشرون ألف درهم نقرة[٥]، بالإضافة إلى الكثير من الأدوات المنزلية من البلور والمرصعة بالجوهر[٦]. ومن خزائن الطيب، كميات كبيرة من العود الهندي والكافور والند، وكلها محفوظة بأواني مرصعة بالجوهر والبلور[٧].

أما "ست الملك" أخت الخليفة الحاكم بأمر الله فقد تركت ثروة ضخمة، منها ثمانمائة جارية، وثلاثون جرة ملأى بالمسك، وكثير من الأحجار الكريمة، منها قطعة من الياقوت تزن

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٧.

(٢) النيمبرشت: كلمة فارسية معناها بيضة نصف مسلوقة. دوزي، تكملة المعاجم، ج١٠، ص ٢٤٦.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٧٧. حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٦٤٥.

(٥) النقرة: دراهم ثلثاها فضة وثلثها من نحاس. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٥٠٩.

(٦) المقريزي، الخطط، ص ١٧٨-١٧٩.

(٧) المقريزي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٧٩-١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمانـــية مثاقـــيل[١]، وكان إقطاعها في كل سنة يغل خمسين ألف دينار[٢]، وأهدت ست الملك أخاهـــا الحاكم بأمر الله هدية ثمينة جداً من جملتها ثلاثون فرساً بمراكبها ذهباً، ومن ضمنها مركـــب مرصـــع، ومركـــب من حجر البلور، وتاج مرصع بنفيس الجوهر، وبستان مزروع بأنواع الشجر[٣].

ويروي المسبحي، أن إقطاع السيدة زوجة حسين بن جوهر أحد قادة الخليفة الحاكم بأمر الله يغل في كل سنة ما مقداره ستمائة دينار أجره في كل شهر، وخلفت حين وفاتها سنة ٤١٢ هـــ/١٠٢١م مـــا لا يوصف من المال والجواهر والتحف والثياب المثقّل والأمتعة والآلات والفـــروش[٤]. وكانت الجواري في الدولة الفاطمية يحتفظن بأملاك خاصة وثروات كبيرة من أمثلة ذلك عائشة جارية عبدالله بن المعز التي توفيت سنة ٤١٥هـــ/١٠٢٤م "وكانت من وجوه عجائـــز القصـــر وخلفت أربعمائة ألف دينار"[٥]. وفي عام ٤١٥هـــ/١٠٢٤م توفيت "تقرب" جارية السيدة العزيزية، وذكر المسبحي أنه كانت لها حالة حسنة، ووجد لها مال كبير وثروة ضخمة[٦]، كما كان بعضهن يملكن العقارات والدور والاقطاعات، وكانت هذه الأملاك تؤجر لحسابهن على ريعها[٧]، وإذا كانت هذه ثروة بنات الخليفة وأخواته وجواريه، فكم تكون ثروة الخليفة نفسه؟

وكـــان لنســـاء القصر رعاية خاصة، فهناك من يشرف على شؤونهن، ومن يقوم بهذا العمـــل يعرف باسم زمام القصر وهو الذي كان يشرف على القصر وخاصة نسائه[٨]، وكان لنســـاء القصر أطباء يطلق عليهم أطباء الخاص للجهات ولحواشي القصر[٩]، ويبدو أن بعض النســـوة ممـــن كـــان لهن درجة عالية مميزة كان لكل واحدة منهن طبيب خاص[١٠]. أما عن أحـــوال المعيشـــة فقد كان يوزع عليهن في بعض المناسبات مثل موسم أول العام، الملابس والمجوهـــرات، وهـــذا يشمل نساء القصر حتى العاملات فيه، وكانت كسوة عيد الفطر كثيرة

---

(١) المـــثقال: وحدة من وحدات الوزن، وكان وزنه أربعة وعشرين قيراطاً وكل قيراط ١٩٥غم، والمثقال يعادل ٤,٦٨ غرامات. ابن الاخوة، معالم القربة، ص ٨١.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٧٢. اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٣٣.

(٣) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٧٢. واتعاظ الحنفا، ج١، ص ٣٣٣.

(٤) أخبار مصر، ص ٩٢-٩٣.

(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ١٧٣. المسبحي، أخبار مصر، ص ١٠٥.

(٦) أخبار مصر، ص ١١١.

(٧) الأنطاكي، تاريخه، ص١٩٥. سلطان، المجتمع المصري، ص١١٦.

(٨) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٦٩. الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣١٢.

(٩) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٦٤.

(١٠) انظر: *Goitein, S.D, A mediterranean Society, London, 1967, Vol,2, P,352*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بصفة عامة حتى أطلق عليه "عيد الحلل" أي الكسوات، وهذه الكسوات كانت تخرج لكل امرأة حسب درجتها، فمثلاً زوجات الخليفة كن في أعلى القائمة يليهن العمات وبنات الأعمام[١]، وتجدر الإشارة أن ما يخرج لنساء القصر وغيرهن من الأنعام والعطايا والرتب والكسوات كان يدون بدفتر خاص له مكان في ديوان القصر[٢]، وكانت نساء القصر يحضرن مجالس الشعر التي تقام بالقصر ويغدقن الأموال على الشعراء كلما سمعن شعراً يقال في مدح الخلفاء[٣].

زينة المرأة "اللباس والمصاغ"

شمل الترف كل نواحي الحياة في العصر الفاطمي، من حيث الأثاث والرياش والثياب، وأدوات الزينة ومنها الملابس والمصاغ والمكاحل والعطور وغيرها، وقد أقبلت المرأة عليها في هذه الفترة، وتعبر الملابس عن مستوى الحياة الاقتصادية، وذلك من خلال الأقمشة المستعملة فيها[٤] المتعددة الأنواع، ولا بد من ذكر المصانع التي تقوم بإنساجها، ويطلق عليها "دار الطراز"[٥] وكانت تتبع دار الخلافة، والمشرف عليها يطلق عليه "صاحب الطراز" ووظيفته الإشراف على شئون النسيج في البلاد، ولا يتولى هذه الوظيفة إلا أحد المقربين من الخليفة[٦]، وتوجد "دار الطراز" في تنيس[٧] ودمياط والإسكندرية[٨].

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٦٦-١٦٧.

(٢) المقريزي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٦.

(٣) عمارة اليمني، نجم الدين أبي محمد بن أبي الحسن الحكمي، النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية. تحقيق: هرتويغ درنبرغ، شالون، باريس، ١٩٩٧، ص ٣٥، ٣٧.

(٤) أحمد، المرأة في مصر، ص ١٤٥.

(٥) الطراز: كلمة فارسية معربة تعني الموشى أو المزركش، ثم أصبح يقصد بها بعد ذلك ملابس الخليفة الرسمية وأصبحت رمزاً من رموز السيادة، فمتى تولى الإمام أو سمى ولي العهد نقش اسمه على الطراز وتطلق كذلك على ملابس كبار الشخصيات المطرزة، ابن الطوير، نزهة المقلتين، هامش(٤)، ص ١٠١.

(٦) أوتاظر الطراز". القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا. تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، مصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، ص ٥٤٥. وبلال، ثناء عبد الرحمن، الملابس في العصر القبطي والإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٣٧.

(٧) تنيس: جزيرة في بحر مصر، قريبة البرجا بين الفرما ودمياط، مشهورة بصنع الثياب الملونة والغالية الثمن. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٢.

(٨) ابن الطوير، المصدر السابق، ص ١٢٨. ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٩١. وانظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمـــا عـــن أنواع الأقمشة فمنها الديباج، وهو نسيج مقصب بخيوط الحرير والذهب[١]، والســـقلاطون، وهـــو نوع آخر من الحرير الموشح بالذهب[٢]، والخز، وهو نوع من النسيج الـــناعم يصنع من الحرير[٣] والشرب، ويرى دوزي أن هذا المصطلح كما ورد في المصادر يـــدل علـــى نوع من الحرير[٤]. والمقصب الملون، وهو قماش مطرز لا ينتج إلا في كل من مديـــنة دمياط وتنيس[٥]. وعرف في هذا العصر نوع من المنسوجات يعرف باسم "البقلمون" يتغـــير لونـــه باختلاف ساعات النهار ويصدر إلى بلاد المشرق والمغرب[٦]، هذا فضلاً عن القماش الدبيقي، الذي اشتهرت مصر بصناعته أيضاً والذي ينتج في مدينة دبيق أو دابق التي تقع قريباً من دمياط[٧]، وهو نوع من القماش المزركش، وكانت الملابس المصنوعة منه غالية الثمن[٨]. وكان يطلق على الزي النسائي بصفة عامة كلمة "حلة" ومعنى ذلك أن الملابس كاملة مطـــرزه إما بالذهب أو الحرير[٩]، ويذكر المقريزي أن إحدى زوجات الخليفة العالية المكانة والمسماة "الجهة العالية" كانت تتكون ملابسها من خمس عشرة قطعة مطرزة ومذهبة وتتكون من غطاء الرأس والملابس[١٠]، أما النساء الأقل أهمية فكانت ملابسهن عبارة عن حلل مذهبة، أمـــا "المستخدمات" أي اللواتي يعملن في القصر فكان لهن حلل مذهبة أو حريرية كل حسب درجـــتها[١١]. أمـــا أنـــواع الملابس فتشمل ما يلي أغطية الرأس، أغطية الجسد، ما يلبس في الأرجل والأقدام.

---

(١) دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية. ترجمة محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والفنون العربي، ١٩٧٨، ج٤، ص ٤٩٨.

(٢) دوزي، تكملة المعاجم، ج٦، ص ٩٦. انظر، أحمد، المرأة في مصر، ص١٤٦.

(٣) دوزي، المرجع السابق، ج٤، ص ٨٠.

(٤) المرجع نفسه، ج٦، ص ٢٨١ .

(٥) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٩١.

(٦) بلال، الملابس، ص ٣٧. دوزي، المرجع السابق، ج١، ص ٧٦.

(٧) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٣-١٧٤، انظر، أحمد، المرأة في مصر، ص١٤٧.

(٨) أحمد، المرأة في مصر، ص ١٤٧.

(٩) بلال، الملابس، ص ٤٥.

(١٠) الخطط، ج٢، ص ١٦٧.

(١١) المقريزي، المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أغطية الرأس

وتتمثل بما يلي:

أ- **العصـــابة:** وهي عبارة عن شال أو قطعة من القماش على شكل مثلث تلف حول الرأس ويكون طرفاها للوراء[١].

ب- **العمامـــة:** ولقد عرف العرب العمامة قبل العصر الفاطمي، فكان الرسول عليه السلام يتعمم بعمامة إسمها السحاب، وقد أورثها أو تنازل عنها لعلي بن أبي طالب، وتستخدم العمامـــة للـــرجال والنساء[٢]، وقد كانت عمامة المرأة أقل حجماً من عمامة الرجل[٣]، وقد عرفت بأشكال متعددة فهي تعقد على الرأس فقط، وأحياناً أخرى يتدلى منها أجزاء علـــى الظهـــر، كمـــا كانت تنتهي أحياناً بجزء صغير يتدلى خلف الرأس[٤]، ويرتبط بالعمامـــة "العرضة" التي تعتبر شالاً أو قطعة من نسيج تلف حلو العمامة[٥]، أو قطعة مـــن الملابس تكون على شكل وشاح[٦]، وكانت العمامة ترصع بالجواهر والدر ووجد من هذا النوع بعض العمامات في خزائن السيدة "رشيدة" بنت المعز[٧].

ج- **الطاقـــية:** وتعنـــي "كلوتـــه" صـــغيرة تلبس تحت العمامة ولعلها من أصل فارسي[٨]، والكلوتـــه الجمـــع كلوتـــات، وهي غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة وتسمى كلفه وكلفتاه وكلفته[٩].

ح- **البخـــنق:** قطعـــة مـــن القماش تغطي به المرأة رأسها، ويتصل به قطعة على موضع الجبهة ويقال تبخنقت[١٠].

د- **الكوفـــية:** وهـــي عبارة عن شال مربع طوله يساوي عرضه، أما عن أشكالها فهي إما تعقـــد من الجانب ويتدلى طرفاها على الظهر أو تنسدل على الكتفين أو تغطي الرأس وتلف حول الوجه وتغطي الصدر[١].

---

(١) دوزي، المصدر السابق، ج٧، ص ٢٢٠.

(٢) حسين، محمود إبراهيم، الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٠، ج١، ص ٢٥١.

(٣) بلال، الملابس، ص ٤٦.

(٤) حسين، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٢٥١.

(٥) دوزي، المرجع السابق، ج٧، ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٦) ابن الطوير، نزهة المقلتين، هامش(١)، ص ١٣٠.

(٧) المقريزي، الخط، ج٢، ص ١٧٧.

(٨) دوزي، المرجع السابق، ج٧، ص ٩. حسين، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٢٥٦.

(٩) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٤٧٤.

(١٠) أحمد، المرأة في مصر، ص١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ- **التاج:** وهو نوع من أغطية الرأس والتاج كلمة فارسية، تستعمله المرأة للزينة ويكون عبارة عن طاقية عالية، وربما كانت تضعه العروس على رأسها يوم الزفاف، وتيجان النساء كانت تكلل بالدرر وترصع بالجوهر، ويبدو أنها كانت خاصة بنساء الطبقة الحاكمة وعلية القوم(٢).

و- **الخمار:** وهو عبارة عن غطاء تغطي به المرأة رأسها ويلتف حول عنقها(٣).

ز- ومن أغطية الرأس المشهورة في هذا العصر "**المعجر**" وقد ارتدته المرأة من كل الفئات، وهو عبارة عن غطاء يصل إلى القدم، والمعجر الخاص بالمرأة الفاطمية مطرز بالذهب والرسومات وله طرف، وكان خاصاً بإحدى زوجات الخليفة المسماة الجهة العالية، ولقد وصل سعره إلى خمسين ديناراً(٤).

ح- **المنديل:** ويستعمل كشال للعمامة، وتلفه المرأة حول رأسها ويعقد من الجانب أو يغطي الرأس ويتدلى في شكل زخرفي، كما تزدان جوانبه بشريط من الزخرفة(٥)، وارتدت المرأة الطرحة بحيث تتسدل على الصدر وكانت تلف حول الطرحة أحياناً العصبة التي تصنع من الحرير أو من قماش مرصع بالجواهر(٦).

أما عن الملابس التي كانت ترتديها المرأة فمنها:

- **السروال:** وهو مشتق من الكلمة الفارسية"شلوار" واختلفت أشكاله فهو أحياناً ضيق ويصل إلى القدم وأحياناً واسع(٧)، ويبدو أن السراويل التي ارتدتها المرأة في هذا العصر واسعة للغاية، حتى تدخلت الدولة في تحديد أشكالها، ومنعت لبس السراويل الواسعة(٨)، وتشده السيدة على وسطها بتكة من الحرير أو الحرير المطرز بالجواهر وتختلف أقمشة السراويل والتكك تبعاً للفئات(٩).

---

(١) أحمد، المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٧٢. حسين، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٢٥٦. انظر، أحمد، المرأة في مصر، ص١٥١.

(٣) دوزي، المرجع السابق، ج٤، ص ٢٠٤. حسين، المرجع السابق، ج١، ص ٢٥٧.

(٤) المقريزي، ج١، ص ٤٠. أحمد، المرأة في مصر، ص ١٥٢.

(٥) حسين، الفنون الإسلامية، ج١، ص ١٦٠. دوزي، تكملة المعاجم، ج١، ص ١٢١.

(٦) بلال، المرجع السابق، ص ٤٦.

(٧) حسين، المرجع السابق، ج١، ص ٢٥٨.

(٨) ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٦٦.

(٩) بلال، المرجع السابق، ص ٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **القميص:** ويلبس فوق الجسد مباشرة[١]، أو فوق السروال، ويصنع من أقمشة رقيقة، كما كانت ملابس نساء القصر تتضمن قميصاً يسمى "دراعة" وكانت أكمامها واسعة ويتدلى القميص إلى منتصف الساقين[٢].
- **الثوب:** فهو عبارة عن رداء واسع فضفاض، يصنع من الحرير، تلبسه المرأة فوق ملابسها الداخلية حين تريد الخروج[٣]، وأكمامه متسعة قليلاً ومزخرفة، أما عن شكل الثوب من أعلى فمنها ما يكون له حافة عالية ومنها ما له فتحه توازي الرقبة[٤]، ويطلق عليه أحياناً اسم "جلباب" وهو الملحفة الهائلة التي تلتحف بها النساء في الشرق من الرأس إلى القدمين حين يردن الخروج من منازلهن[٥].

وقد استخدمت المرأة في العصر الفاطمي "النطاق" أو الحزام، ويكون رفيعاً في الوسط وينتهي في الأغلب بعقدة ويتدلى طرفاه من الأمام أو على الجانب[٦].

ولما كان يتحتم على المرأة عندما تخرج من منزلها أن تلف جسدها بغطاء فنجد أن هذه الأغطية تنوعت نذكر منها:

- **الملاءة:** وهي عبارة عن غطاء يتكون من قطعتين من القماش ويكون قماش الملاءة مرسوماً على هيئة مربعات ملونة، وذكر دوزي أنها غطاء كبير تلف به المرأة كل جسدها[٧].
- **الأزار:** وهو رداء واسع[٨].
- **الجبة:** وهي ضرب من مقطعات الثياب، وهي لباس واسع تشمل الجسم كله ولا تغطي الرأس، وقد أشارت التصاوير الفاطمية على الخزف إليها، فهي تارة ضيقة الأكمام تحيط هذه الأكمام باليد فلا يظهر منها أي أثر للطيات وأحياناً نراها واسعة الأكمام لها طيات كثيرة وتستخدم الجبة للرجال والنساء[٩].

أما عن **الحجاب** الذي كانت تضعه المرأة على وجهها عند الخروج من المنزل، فقد عرف منذ أن فرض النبي عليه السلام النقاب على زوجاته حتى يميزهن عن بقية النساء المسلمات[١٠]، وعرفت المرأة النقاب والحجاب في العصر الفاطمي، ومما يؤيد شيوعه أن

---

(١) المرجع نفسه، ص ٤٦.

(٢) دوزي، تكملة المعاجم، ج٨، ص ٣٨١. أحمد، المرأة في مصر، ص ١٥٤.

(٣) دوزي، المرجع السابق، ج٢، ص ١١٧.

(٤) حسين، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٢٥٩.

(٥) حسين، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٢٥٩. دوزي، المرجع السابق، ج١، ص ١٢٠.

(٦) المرجع نفسه، ج١، ص ٢٥٩.

(٧) أحمد، المرأة في مصر، ص ١٥٦.

(٨) دوزي، المرجع السابق، ج ، ص

(٩) حسين، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٢٦٠.

(١٠) أحمد، **المرأة في مصر، ص١٥٦.** بهيم، المرأة في حضارة العرب، ص ١٠٥-١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخليفة الحاكم بأمر الله أصدر أمراً سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٤م) ألا تكشف المرأة وجهها في طريق ولا خلف جنازة[١]، والنقاب فكان يغطي الوجه وبه فتحتان للعينين، ويطلق عليه أحياناً اسم البرقع[٢].

ومن الملابس التي ارتدتها المرأة داخل المنزل "**الغلالة**" وهي عبارة عن رداء واسع يغطي كل الجسم، وكانت تصنع من الأقمشة الرقيقة وخاصة من الشرب والدبيقي حتى تكشف عن جمال المرأة، ولذا حرصت العرائس على اقتنائها ضمن قطع الملابس، التي كانت تتضمن جهازهن[٣].

ولبست النساء بأرجلهن نوعاً من الخفاف، وكان لها سوق يباع فيها[٤]، وقد منع الخليفة الحاكم الخفافين من عمل الأخفاف للنساء حتى لا يستطعن الخروج من بيوتهن[٥]، والخف من أحذية النساء، كان يصنع من جلد ملون وكان يلبس فوق حذاء صغير يطلق عليه اسم "سرموزه" ووجد خف يلبس في الشوارع يطلق عليه اسم مداس[٦].

أما "الحلي" فلقد أقبلت المرأة عليها منذ العصور القديمة، واستخدم في صناعة الحلي معدنا الذهب والفضة، وكانت تطعم بالأحجار الكريمة واستمر ذلك في العصور الإسلامية، ويبدو أن المرأة في العصر الفاطمي كانت تقتني قطعاً من الحلي وذلك بالنسبة للفئات الغنية والفقيرة على السواء، وإن اختلفت من حيث القيمة[٧]. وقد اشتهرت الدولة الفاطمية "بخزائن الجوهر والطيب والطرائف"[٨]، التي تزدان بها قصورهم الكبيرة، ويحتفظ بها بالكنوز من التحف والجواهر الفريدة، وأهم أنواع الحلي التي أقبلت عليها المرأة الفاطمية:

- **الأقراط:** وهو ما علق في أسفل الأذن، هذا ويغلب على القرط أن تعلق به جوهرة أو لؤلؤة[٩]. أما الأقراط التي شاع استعمالها في العصر الفاطمي، فيغلب عليها الشكل المستدير أو

---

(١) خريسات، محمد عبدالقادر، المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الإسلامية، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٧، ص١٩٩.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، م١، ص ٧٦٨. قد ذكره الشعراء في قصائدهم ومن الأمثلة على ذلك: *(بحر المتقارب)*

لعمرك، لو نظرت مقلتاك فتور العيون من البرقع

١- الحداد، ظافر بن القاسم بن منصور بن عبدالله، الديوان. تحقيق: نصر نصار، دار مصر للطباعة، ١٩١٩، ص ٢٠٤

(٣) دوزي، تكملة المعاجم، ج٧، ص ٤١٩. انظر: *Goitein, Op, Cit, Vol, 3, P 167*

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦٠٦.

(٥) الشافعي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العاصمي المكي، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي. تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ج٣، ص ٥٥٧.

(٦) حسين، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٦٦٢.

(٧) أحمد، المرأة في مصر، ص ١٦٠.

(٨) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٢٦. المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٤.

(٩) كحالة، دراسات اجتماعية، ص ٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المثلث وهي من الذهب أو الفضة[١]. وتتدلى من أعناق النساء عقود الماس والمرمر والأحجار الكريمة الأخرى[٢]، والعقد في الغالب يتكون من حبات صغيرة تكون من اللؤلؤ أو من الجواهر الأخرى، وكان أحياناً مستديراً يوازي الرقبة[٣]، وكان في القصر الفاطمي عقد من الجوهر بلغ سعره حوالي ثمانين ألف دينار نهب في أيام الشدة المستنصرية وثورات الجند[٤]، وتلبس النساء أيضاً "السوار أو الأسورة" وهو نطاق المعصم[٥]. وتصنع من الذهب أو الفضة وتحلى بفصوص الذهب، وشاع استعمال الخواتم الذهبية والفضية المحلاة بالفصوص في تلك الفترة، ولقد تميزت الخواتم، التي أخرجت من القصر الفاطمي بعد خلافة المستنصر، بأنها مربعة الشكل وللخاتم ثلاثة فصوص[٦]، إلى جانب "الخلخال"[٧] الذي يستعمل لزينة الساق، وكثيراً ما ورد في أبيات الشعر مما يدل على شيوعه[٨]، وحرصاً على الحلي التي كانت تقتنيه المرأة كان لا بد من حفظه في علب خاصة، وكانت هذه العلب مصنوعة من العاج أو السن، وتقوم على أربعة أرجل وعليها زخارف من طيور وطواويس[٩].

ومن أدوات التجميل التي اهتمت بها المرأة في العصر الفاطمي "المكاحل" لتجميل رموش العين والحواجب وكذلك الجفون، وكانت تصنع أحياناً من الخشب، وكان للمكحلة مرود ينغمس فيها بعد أن يبلل بالماء ليسهل استعماله ويتعلق به الكحل، وهذه المراود كانت تصنع من العاج أو من البلور وأحياناً من الفضة أو تطلى بماء الذهب وترصع بالأحجار الكريمة[١٠].

وقد حرصت المرأة في العصر الفاطمي على استخدام العطور أو الطيب، كما كان القصر الفاطمي يحوي ضمن خزائنه، خزانة تسمى "خزانة الجوهر والطيب"[١١] لتخزين الروائح والعطور مثل الكافور والمسك والعنبر، وكان الطيب لسيدات القصر من ضمن جرايات القصر في كل شهر[١٢]، وكان من ضمن الثروة التي خلفتها رشيدة بنت المعز مائة قطرميز مملوءة كافوراً قيصورياً. ولاستكمال موضوع أدوات زينة المرأة، نذكر ما حدث في

---

(١) حسين، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٢٦٦.

(٢) أيوب، التاريخ الفاطمي، ص ١٠٠.

(٣) حسين، المرجع السابق، ج١، ص ٢٦٥.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٥. وعن ثورات الجند. انظر: النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٠٦.

(٥) كحالة، دراسات اجتماعية، ص ٢٤١.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٥.

(٧) الخلخال: حلية كالسوار تلبسها النساء في أرجلهن فوق كعب القدم. دوزي، تكملة المعاجم، ج٤، ص ١٦٠.

(٨) انظر: ابن المعز، تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي. تحقيق: محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠، ص ١١٠.

(٩) أحمد، المرأة في مصر، ص ١٦٦.

(١٠) المرجع السابق، ص ١٦٧.

(١١) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٢٦. المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٤.

(١٢) المقريزي، المقفى الكبير، ج٩، ص ٤٨٤-٤٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زمـــن الخلـــيفة المستنصر فقد أخرج من القصر الفاطمي أيام الشدة المستنصرية صناديق بها مـــرايا من حديد وزجاجي محلاة بالذهب والفضة والجواهر، مغلفة بأنواع مختلفة من الحرير وبها مقابض من العقيق[١].

وتعـــد الحمامـــات مظهراً آخر من مظاهر الزينة، للمرأة في هذا العصر، حيث وجدت فـــيها الماشطة والبلانة[٢]، اللتان تقومان بجميع وسائل التجميل سواء تصفيف الشعر أو إزالته من جسم السيدات، كما كانت توجد مجموعة من الجواري يقمن بعملية التدليك لجسم السيدات أثناء الاستحمام[٣]، ومن الحمامات التي وجدت في العصر الفاطمي حمام السيدة العمة وحمام الساباط ويعرف أيضاً بحمام الصنيمة، وكذلك حمام الذهب[٤]، وحمامات الصالحية منها، حمام العقيق وحمام العرايس[٥].

وكانت النساء في العادة يذهبن لزيارة الحمامات مرة في الأسبوع وكذلك في المناسبات الاجتماعية مثل حفلات الزواج والولادة أو عندما يردن ترك منازلهن لكي يشاهدن صديقاتهن، إذ أن زيـــارة الحمامـــات كانت في تلك الفترة عاملاً من عوامل استنفاذ أوقات الفراغ بالنسبة لبعض النساء[٦]، وقد أمر الخليفة الحاكم بأن لا تدخل امرأة الحمام إلا بمئزر[٧].

أمـــا السمات العامة لجمال المرأة فقد كانوا في هذه الفترة يميلون إلى المرأة النحيلة من الأعلى والجسيمة من الأسفل[٨]. فالمرأة عندهم هيفاء "أي ناحلة الخصر" معتدلة القد، مستديرة ومشـــرقة الوجـــه فاتـــرة العينيـــن، وضيئة الأسنان عذبة الريق، وردية الخد وسوداء الشعر طويلته[٩].

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٧٦.

(٢) البلانة: وهي تدلك البدن بالكيس، وتصبغ الشعر الأبيض. القاسمي، محمد سعيد، جمال الدين، خليل العظم، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي، دار طلاس، دمشق، ج١، ص١٠٨.

(٣) أحمد، المرأة في مصر، ص ١٧٢.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٥٣٦-٥٤٠.

(٥) ابـــن كنان، محمد بن عيسى الصالحي الدمشقي، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية. تحقيق: حكمت إسماعيل، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢، ج١، ص ٢٣٣.

(٦) بن كنان، المواكب الإسلامية، ج١، ص ٩١. انظر: *Goitein, op, Cit, Vol, 3, P, 343*

(٧) الســـيوطي، جـــلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٨، ج٢، ص ٢٨٣. الأنطاكي، تاريخه، ص ٢٥٦-٢٥٩.

(٨) النويري، نهاية الأرب، ج٢، ص ٣١،٣٥. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ١١.

(٩) ولقد ذكر الشعراء بعض هذه الصور: *(بحر السريع)*

ولاحَ بـــرقُ الـــثغرِ مـــن بســـمِ المـــــــــــــــ ... ســـــــــكِ والقهـــــــــوةُ مجـــــــــناه

وبـــــــــــتلُ الأردافِ فاســـــــــــــــتقلتْ ... وأرهـــــــفُ الخصـــــــرِ وأضـــــــنَاهُ

وقـــــد عـــــلا الأفـــــقَ هـــــلالٌ بـــــدَا ... كعصـــــــفةِ الحاجـــــبِ محـــــــناهُ

– ابن المعز، ديوانه، ص ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة في العصر الأيوبي (مكانتها والقابها)

يمتد العصر الأيوبي من (٥٦٩-٦٤٨هـ)(١١٧٤-١٢٥٠م)، وقد جاءت الدولة الأيوبية من الناحية الزمنية بين دولتين إتصفتا بالبذخ، وامتازت الحياة الاجتماعية فيهما بالإسراف والمبالغة في إحياء الحفلات هما الدولة الفاطمية ودولة المماليك[١]. ولكن أحاطت بنشأة دولة الأيوبيين ظروف الحروب الصليبية، حيث هدد خطرهم بابتلاع البلدان العربية في الشام ومصر والحجاز[٢]، وكان لظروف الحرب والجهاد أثر كبير على الحياة الاجتماعية زمن السلطنة الأيوبية، فقد تغلبت فكرة الحرب والجهاد المقدس على أحاسيس الناس وعلى السلاطين أنفسهم[٣]، ولم يعد هناك متسع من الوقت لدى الجميع للتوسع في حياة الترف والقيام بالاحتفالات كتلك التي سادت عند أسلافهم الفاطميين وخلفائهم المماليك[٤].

وقد نالت المرأة حظاً وافراً في الحياة الاجتماعية في هذه المرحلة، ولعبت دوراً له تقديره كأم ومعلمة، ولم تكن معزولة سلبية لا دور لها في الحياة العامة، ولا عمل لها إلا داخل جدران البيوت، فالمرأة آنذاك قامت بدور كبير في الحياة العامة من خلال مشاركتها السياسية والاجتماعية في الدولة، أما الدور السياسي الذي لعبته المرأة فقد تمثل بقيام بعضهن بتدبير شؤون المملكة، نرى ذلك من خلال ما قامت به "غازية خاتون"[٥] حيث سيرت شؤون مملكة ولدها، الملك المنصور محمد[٦] صاحب حماة. فحفظت الملك لولدها حتى كبر وسلمته السلطنة قبل وفاتها، وقيل كانت من أحسن النساء سيرة وزهداً وعبادة[٧].

ومنهن "ضيفة خاتون"[٨] بنت الملك العادل[٩]، فلما توفي زوجها الملك الظاهر غازي[١] تملك حلب ابنها الملك العزيز[٢]، وكان صغير السن عمره ثلاث سنوات، فقامت بتدبير شؤون

---

(١) عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٣٢.

(٢) بيطار، أمينة، تاريخ العصر الأيوبي، دار الطباعة الحديثة، دمشق، ١٩٨٢، ص ٢٢٩.

(٣) عاشور، مصر والشام، ص ١٣٢.

(٤) العبادي، أحمد مختار، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٥، ص ٩٤.

(٥) غازية خاتون: ابنة الملك الكامل وزوجة الملك المظفر صاحب حماة كانت وفاتها سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٥٤.

(٦) الملك المنصور الثاني: محمد بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولي حماة سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٢ م). توفي سنة (٦٨٣هـ/١٢٨٤م). الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص ١١-١٢.

(٧) العيني، بدر العيني، عقد الجمان، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٧، ج١، ص ٢٠٤. انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء: س، ديدرينغ، فرانز، ١٩٧٤، ط٢، ج٥، ص ١١-١٢.

(٨) ضيفة خاتون: سميت بذلك لأنه كان عند أبيها يوم مولدها بحلب ضيف فأسماها ضيفة، وكان العادل والياً على حلب إذ ذاك. ولدت سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م)، وتوفيت في سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٠م). ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: حسين محمد ربيع، القاهرة، ١٩٨٠، ج٥، ص ٣١٢.

(٩) الملك العادل: سيف الدين أبو بكر بن أيوب. ولد سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م). نائب حلب، توفي سنة (٦١٥هـ/١٢١٨ م). الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب. تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شـــؤون المملكة، وكانت تعزل وتولي القادة، فقامت بتنصيب شهاب الدين طغرلبك في اتابكية الدولـــة[٣]، إلا أن ولدهـــا العزيـــز توفي بعد مدة فملكت حلب، وتصرفت تصرف السلاطين، فنهضـــت بالـــبلاد وحكمت بالعدل والحكمة وبذل الصدقات، وأزالت المظالم والمكوس[٤] في جميع بلاد حلب، وكانت مدة ملكها ست سنين إلى أن كبر ابن ابنها الملك الناصر صلاح الدين وبلـــغ مـــن العمر ثلاث عشرة سنة فأدرك الحكم وتسلم ملك حلب[٥]، علماً بأن وصول الملك العزيز إلى الحكم كان بسبب مكانة والدته "ضيفة خاتون" فقدموه لأجل جده وأخواله، فقد كان أخـــوه الملك الصالح أحمد أسن منه وأحق بحكم البلاد إلا أنهم آخروه لأنه ابن جارية والملك العزيز ابن ضيفة خاتون، وكانت أم الملك الصالح جارية سوداء تسمى "ورد المنى"[٦]، وكان الســـلاطين والأمـــراء يملكون الجواري والحظايا للتمتع بهن، فقد ذكر الصفدي أن السلطان صـــلاح الديـــن الأيوبـــي كـــرم طبيـــبه أسعد بن الياس وزوجه إحدى حظاياه وكانت تسمى "حوزه"[٧]. ووصف الملك العادل بأنه كان يكثر من اقتناء السراري، وكان غيوراً لا يدخل إلى دوره طواشـــي[٨]، أمـــا الملك الكامل محمد بن العادل فقد كان له جارية مغنية، تغني له دائماً

---

(١) الظاهـــر غازي: غازي بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شادي، من ملوك الدولة الأيوبية، ولد بالقاهرة سنة (٥٦٨هـــ/١١٧٣م)، ومات بحلب سنة (٦١٣هـــ/١٢١٦م). الحلبي، سبط ابن العجمي، كنوز الذهب في تاريخ حلب. تحقيق: شوقي شعث فالح البكور، دار القلم، حلب، ١٩٩٦، ج١، ص ١٠٦.

(٢) الملـــك العزيـــز من ملوك الدولة الأيوبية، وهو محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب، الملقب العزيز غياث الدين، توفي في حلب سنة (٦٣٤هـــ/١٢٣٦م). الحنبلي، شفاء القلب، ص ٢٥٠.

(٣)ابن العماد، شذرات الذهب، ج٥، ص ١٤٥.

-والاتابكـــية: كلمة تركية مركبة من لفظين: "اتا" معناها الأب و "تك" معناها أمير، فمعناها بالعربية الأمير الأب أو الوالد، وكانت تطلق على مربي أولاد الملوك، ثم صارت بمعنى الوصي والنائب على المملكة أو كبير العسكر. دوزي، تكملة المعاجم، ج١، ص ٨٠.

(٤)المكوس: جمع مكس، وهو ما يأخذه العشار الذي يعشر الناتج الزراعي والجباية، وما يوضع من الضرائب على كل عمل اقتصادي يقوم به الأفراد غير الزراعة ويدعى المال الهلالي، وأطلق في عيد المماليك المكس على المقرر. الصـــفدي، تحفـــة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك. تحقيق: احسان بن سعيد خلوصي، زهير حميدان، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢، ج٢، هامش(٢)، ص ٧٢.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص ٣١٢-٣١٣. الحلبي، كنوز الذهب، ج١، ص ١٠٧.

(٦) الملك الصالح: أحمد بن غازي بن يوسف بن أيوب، ولد سنة (٦٠٠هـــ/١٢٠٣م) وتوفي سنة (٦٥١هـــ/١٢٥٣م). ابـــن تغـــري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٤، ج٢، ص ٥٦. العيني، السيف المهند، ص ٢٠٢.

(٧) اسعد بن الياس، الموفق الطبيب بن جرجس بن المطران موفق. طبيب السلطان صلاح الدين وأولاده وشيخ الأطباء بالشـــام، أسلم وكان عارفاً بالعربية، وله تصانيف كثيرة، توفي سنة ٥٨٧هـــ/١١٩١م. الصفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء: يوسف فان إس، ١٩٩١، ج٩، ص ١٥-١٦.

(٨) الصفدي، الوافي بالوفيات. تحقيق: محمد بن إبراهيم بن عمر، محمد بن الحسين بن محمد، فرانز شتايز، فيسبادن، ١٩٩٠، ج٢، ص ٢٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستمتع بغنائها، وقد غنت له مرة فأمر لها بخمسمائة دينار[١]، ويذكر الصفدي أن الملك الناصر داود بن عيسى صاحب الكرك استناب ابنه المعظم على الكرك عندما سار إلى بغداد، فتألما ولداه إلا مجد والظاهر لكونه استناب أخاهما المعظم، وهو ابن جارية، وهما من بنت الملك إلا مجد ابن العادل فأمهما بنت عمه وبنت عم الصالح فاتفقا مع أمهما على القبض على المعظم واستوليا على الكرك[٢]. ويوضح هذا أن الملوك الأيوبيين ملكوا الجواري للمتعة والاستيلاد، إلا أن أبناء الجواري لم يتمتعوا بنفس المكانة التي منحت لغيرهم من أبناء الحرائر.

وقد تمتعت المرأة في العصر الأيوبي بالاحترام والتقدير وتمثل ذلك بالألقاب العديدة التي منحت إليها ومنها ما أطلق على زوجات السلاطين وأخواتهم وبناتهم وعماتهم، ولقد تنوعت هذه الألقاب، وكانت أحياناً المرأة الواحدة تتلقب بعدة ألقاب، ومن هذه الألقاب:

- **الخاتون**[٣]: وهذا اللقب قد أطلق على بنت نجم الدين أيوب وأخت الملك العادل "ربيعة خاتون"[٤]، وكان يتبع الاسم غالباً.

- **سيدة الخواتين**: للإشارة إلى الجليلات من النساء، وقد أطلق على ابنة السلطان الملك العادل "عصمة الدين سيدة الخواتين"[٥]، وعلى أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي "ست الشام"، وقد جاء في النجوم الزاهرة أنها توفيت في سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) وكانت سيدة الخواتين في زمنها[٦].

- **الجهة الاتابكية**: وقد أطلق على زوجة الملك الأشرف[٧] تركان خاتون الجهة الاتابكية، والتي توفيت في سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م[٨].

---

(١) المنصوري، بيبرس المنصوري، نائب السلطنة في مصر، مختار الأخبار، تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ. تحقيق: صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٧-٦. المقريزي، السلوك، ج١، ص ٢٠٩.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ٤٨٦.

(٣) الخاتون: لفظ تركي دخل العالم الإسلامي عن طريق الاتراك، ويجمع على صيغة خاتونات أو خواتين للتعبير عن الحريم. الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣٦٤-٢٦٥.

(٤) النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس. تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت، ١٩٣٦، مج ٤، ج٢، ص ٢٤٠.

(٥) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات. تحقيق: قسطنطينة زريق، بيروت، ١٩٣٦، مج ٤ج، ج٢، ص ٢٤٠.

(٦) ابن تغري بردي، ج٦، ص ٢١٧.

(٧) الملك الأشرف: ابو الفتح مظفر الدين موسى بن شاه أرمن بن الملك العادل بن أيوب، ولد سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م. وملك دمشق سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م. ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص ١٤٤-١٤٥. الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج٢، ص ١٢٤.

(٨) ابن الفرات، تاريخه، م٤، ج٢، ص ٢٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– **ألستر**[١]: وهناك أمثلة كثيرة لاستعمال "الستر" كلقب للمرأة، وكان الغالب فيه وصفه "بالرفيع" و"العالي"، وكان يقصد به المبالغة في الاحترام والإكرام.

ومن أمثلة ذكر "ألستر العالي" إطلاقه على فاطمة خاتون بنت الملك الكامل وزوجة الملك العزيز صاحب حلب، وأطلق كذلك على "غازية خاتون" بنت الكامل وزوجة الملك المظفر[٢] صاحب حماه، بمناسبة توجهها من القاهرة ووصولها إلى حلب وحماه، وأطلق على "ضيفة خاتون" بنت الملك العادل التي قامت باستقبالهما في حلب وحماة[٣]. وأما "ألستر الرفيع" فقد أطلق أيضاً على ضيفة خاتون ابنة الملك العادل[٤]، كما كان الخطباء يلقبون شجر الدر بهذا اللقب حين الدعاء لها على المنابر أثناء سلطنتها سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، فكان الخطباء يقولون بعد الدعاء للخليفة "واحفظ اللهم الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدين والدنيا ذات الحجاب الجميل والستر الرفيع"[٥].

– **الصاحبة**[٦]: وقد ورد ذكره في كثير من المصادر، قال ابن واصل: وفيها أي سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وصلت "الصاحبة" ضيفة خاتون إلى حلب والتقاها زوجها الملك الظاهر وأمراء حلب واكابرها[٧].

– **الست**: وهو لقب عام يطلق على المرأة، مثل السيدة[٨]، ومن الأمثلة عليه ما أورده المقريزي حيث أطلق على عصمة الدين مؤنسه ابنة الملك العادل[٩].

– **عصمة الدين**: وهو لقب خاص بالنساء وأطلق لقب عصمة الدنيا والدين بنت الأمير معين الدين أنر زوجة السلطان صلاح الدين التي تزوجها سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦م)[١٠].

---

(١) ألستر: في اللغة بمعنى الستارة، وقد استعمل كلقب للتعبير عن الخليفة ثم أطلق كلقب إشارة إلى المرأة الجليلة. الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣١٧.

(٢) الملك المظفر: تقي الدين محمود بن قلج أرسلان، ولي حكم حماة في الفترة (٦٢٦-٦٤٢هـ)(١٢٢٩-١٢٤٠م) الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٥٠.

(٣) الحموي، شمس الدين أحمد بن محمد الزيني، تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك، مخطوط مصور من المكتبة الوطنية بباريس، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، ميكروفلم رقم (٣٠٠)، ص ٢٨٢.

(٤) الحموي، تاريخ الواصلين، ص ٣٠١.

(٥) الكرمي، مرعي بن يوسف، نزهة الناظرين في تاريخ مصر من الخلفاء والسلاطين، مخطوط مصور من جامعة برنستون، مجموعة جارين (٦٠٧)، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، ميكروفلم رقم (١٥١)، ص ٧٣.

(٦) الصاحبة: لقب مؤنث يعبر عن المرأة تلقب به أميرات البيت الأيوبي، وكان يأتي أحياناً بمعنى الزوجة. الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣٧٦.

(٧) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص ٣١٧.

(٨) الباشا، المرجع السابق، ص ٣١٧.

(٩) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٥٠٩.

(١٠) ابن طولون، محمد بن طولون الصالحي، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية. تحقيق: محمود أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٧، ج١، ص ١٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك أطلقت الألقاب على النساء اللواتي وصلن إلى درجة عالية من المعرفة والعلوم ومن الأمثلة على ذلك: "العالمة" وقد أطلق على فاطمة بنت سهل بن بشر الاسفراييني[١]. "وشيخة" وأطلق على المحدثة أم الفضل ابنة عبد الوهاب التي توفيت سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م[٢]. وعلى حبيبة بنت محمد بن أحمد المقدسي[٣]، و"شيخة العالمات" أطلق على العالمة المعروفة بدهن اللوز[٤]. ومنها "ست الكتبة" الذي أطلق على المحدثة نعمة بنت علي الدمشقية التي توفيت سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م[٥]. ومنها "شرف النساء" وتلقبت به أمة الله بنت أحمد بن عبدالله الابنوسي الراوية والمحدثة والتي توفيت سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م[٦].

وكانت زوجات السلاطين والأميرات يحزن الكثير من الثروات على الرغم من كثرة الحروب التي أثقلت كاهل الناس وأرهقتهم: ومن هؤلاء ست الشام بنت أيوب، وكان شقيقها الملك المعظم[٧] يتهمها أن عندها من الجواهر والأموال ما لا يحصى قيمته، وكان يرجو أن تكون وفاتها عنده ليستولي على أموالها وأملاكها[٨]، أما "ربيعة خاتون" فكان لها أموال جمة[٩]. وخدمتها أمة اللطيف العالمة، وحصل لها من جهة ربيعة خاتون الأموال الكثيرة، ولما توفيت أمة اللطيف بدمشق ظهر لها من الأموال والذخائر والجواهر واليواقيت وغير ذلك ما يساوي ستمائة ألف درهم غير الأملاك والأوقاف[١٠]. ولم تقتصر الثروة على نساء الأسرة الأيوبية وإنما امتدت إلى الجواري ومربيات السلاطين، ومنهن "أرغون الحافظية" التي سميت

---

(١) كحالة، أعلام النساء، ج٤، ص ٦٥.

(٢) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي الدمشقي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف "بالذيل على الروضتين". تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤، ط٢، ص ١٧٩.

(٣) كحالة، أعلام النساء، ج١، ص ٢٤٣.

(٤) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٠٨.

(٥) أبو شامة، المصدر السابق، ص ٦٣.

(٦) الذهبي، ذيول العبر في خبر من عبر. تحقيق: أبو هاجر محمد سعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ج٣، ص ١٣٧.

(٧) الملك المعظم: شمس الدولة توران شاه بن أيوب، وهو أخ السلطان الأكبر صلاح الدين الأيوبي، توفي في الاسكندرية. ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص ٩٦.

(٨) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١١٩. الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٢٢١.

(٩) ربيعة خاتون: بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي، تزوجها أولا سعد الدين بن معين الدين أنر، وبعده صلاح الدين مظفر صاحب أربل، ثم قدمت دمشق وماتت فيها سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م. ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد العلاي، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (٦٢٨-٦٥٩هـ)(١٢٣٠-١٢٦١م). تحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٦٢.

(١٠) أمة اللطيف العالمة: ابنة الناصح الحنبلي، ولما ماتت ربيعة خاتون لقيت أمة اللطيف شدائد كثيرة، وصودرت وطولبت بالأموال، واعتقلت بقلعة دمشق ثلاث سنين، ثم أطلقت وتزوجت الملك الأشرف، توفيت سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص ٩٨. النويري، نهاية الأرب. تحقيق: محمد ضياء الدين الريس، محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٥، ج٢٩، ص ٣١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بهـذا الاسـم لخدمـتها وتربيتها للملك الحافظ[١] صاحب قلعة جعبر[٢]، كان لها أموال كثيرة وعظـيمة، وقـد صـادر أموالهـا الملك الصالح إسماعيل، وأخذ منها أربعمائة صندوق من المال[٣].

وكـان لحركة الجهاد تأثير كبير على الحياة الاجتماعية في العصر الأيوبي، وقد فرض الوضع العام في المنطقة، على الحكام والناس الاهتمام بأمر دينهم والتعمق فيه، يدل على ذلك كـثرة المصـلين والمتعبدين، وكثرة المؤسسات الدينية وعلى رأسها المساجد، حتى أن مدينة دمشـق وحدهـا حفلت في تلك الفترة بمائتين واثنين وأربعين مسجداً[٤]. وقد شاركت المرأة الـرجل فـي بناء المساجد: فالسيدة "حوزة" بنت مسجداً سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م وكانت امرأة صالحة زاهدة عابدة[٥]، و "ربيعة خاتون" عمرت جامعاً وأقيمت فيه الجمعة[٦]. بالإضافة إلى أن السيدة أرغون الحافظية اشترت أحد البساتين وجعلت فيه تربة ومسجداً[٧].

---

(١) الملـك الحافظ: أرسلان شاه ابن أبي بكر بن أيوب توفي سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م، ودفن في حلب. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص ٣٤٢.

(٢) قلعة جعبر: تقع على نهر الفرات، مقابل صفين، كانت تعرف بدوسر، فتملكها رجل من بني نمير يقال له جعبر بن مالك، فغلب عليها وسميت باسمه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٢.

(٣) العيني، عقد الجمان، ج١، ص ٥٠. الدمشقي، الدارس، ج٢، ص ١٨٩.

(٤) بيطار، العصر الأيوبي، ص ٢٣١.

(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص ٤٠-٤١.

(٦) بن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص ١٠٦.

(٧) العيني، عقد الجمان، ج١، ص ٥٠. النعيمي، الدارس، ج٢، ص ١٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

مراسيم الزواج في العصرين الفاطمي والأيوبي

- الخطبة.
- المهر أو الصداق.
- عقد الزواج.
- الجهاز والأفراح.
- مراسيم الزواج عند أهل الذمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراسم الزواج في العصرين الفاطمي والأيوبي

١- الخِطْبة

وهي من مقدمات الزواج، لم تذكر المصادر التاريخية المعلومات الخاصة بمراحل الزواج الأولى، ونعني بها مرحلة الخطوبة، ومن المحتمل أن الفتاة كانت تتزوج في سن مبكرة تقريباً أي عند سن البلوغ، فالخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين تزوج وهو في الحادية عشرة من عمره[١]، ولا بد أن تكون العروس في هذا السن أو دونه، وغالبا ما كانت الفتاة تتزوج في الثانية عشرة من عمرها[٢]، واختيار العروس كان يتم عن طريق الأهل الذين يقومون بتعيين عدة فتيات للرجل على أن يختار إحداهن[٣]، أما الخاطبة فقد وجدت في هذا المجتمع كوسيط بين العروسين ووسيلة للاختيار، إذ أنها كانت من السمات العامة التي تتعلق بهذا الجانب في العصور الوسطى الإسلامية[٤]، لأنه لم يكن من السهل رؤية الفتيات بحرية قبل الزواج، وكان الرجل لا يرى الزوجة إلا في ليلة الزفاف بسبب تقاليد المجتمع المتمثلة بالحجاب والفصل بين الرجل والمرأة، وعدم السماح للرجل برؤية العروس إلا بعد الزفاف.

وكانت الخاطبة تنهض بدور كبير في إتمام مهمة الخطوبة، وكانت كثيراً ما تبالغ في المعلومات التي تمد بها كلا الطرفين، وكثيراً ما أوقعن بالرجال، فقد ذكرت لعز الدين أبي العساكر عم أسامة بن منقذ امرأة فبعث عجوزاً تبصرها، وعادت تصف جمالها وعقلها، فخطبها فلما أدخلت عليه رأى غير ما وصف له منها، فقد وجدها خرساء، فما كان منه إلا أن أعطاها مهرها وردها إلى أهلها[٥].

والغالب أن الفتاة لم يكن لها رأي في اختيار شريك حياتها، بل ظل الرأي الأول والأخير لوالدها، وربما شاركته في ذلك الأم[٦]، بل دون استشارة العريس أيضاً، فكان يقوم كل من ولي الزوجة ووكيل الزوج بعملية الاختيار بالنسبة للعروسين[٧]، وعموماً كان الرجل يحرص

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م١١، ص ٢٣٥.

(٢) *Goitein, a Mediterranean society , Vol,3, PP, 71-72, 102.*

(٣) عمارة اليمني، النكت العصرية، ص ١٤٧.

(٤) عاشور، دراسات في تاريخ الحضارة، ص ٢٧٣.

(٥) ابن منقذ، أسامة بن منقذ الكناني، من كتاب الاعتبار. تحقيق: عبد الكريم الأشتر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٨٠، ص ١٢٥.

(٦) عاشور، دراسات في الحضارة، ص ٢٧٣.

(٧) أحمد، المرأة في مصر، ص ١٢٢. انظر: *Poole-Lane, Staniley, Cairo, Sketches of it's "History, Monuments and Sociale Life. Arno Press, New York, 1973, P, 160.*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علـــى اختيار فتاة حرة عند الزواج، ولعلها كانت الصفة السائدة في تلك الفترة، وهو أن لا بد من وجود امرأة حرة مهيبة في كل منزل[١]، وهذا ما كان عليه في فئات السكان المختلفة.

أمـــا الفئة الحاكمة والأمراء والأكابر، فقد كان والد الزوج يبعث بأحد المقربين إليه إلى والـــد الفـــتاة المـــراد خطبتها ويعرض عليه الأمر، ففي سنة (٣٨٧هـــ/٩٠٠م) بعث صاحب ميافارقيـــن[٢] الأمير أبا علي الكردي إلى حلب، الحسن بن مروان فخطب له ست الناس ابنة الأمير سعد الدولة شريف بن سيف الدولة بن حمدان[٣]. وتخطب المرأة عادة من وليها، أبيها أو أخيها أو أحد أقاربها، فها هو الحسين بن السلار خطب السيدة "بلارة"[٤] من ابنها عباس بن يحيى بن باديس الصنهاجي، الذي وصل لتوه من أفريقيا فسمع ابن السلار خبرها فأرسل إليها وخطـــبها لنفسه وتزوجها[٥]، ويقال أن الخليفة الفاطمي الآمر بالله كان قد بلي بعشق الجواري العربيات وصارت له عيون في البوادي، فبلغه أن جارية بالصعيد من أكمل العرب واظرفهم شاعرة جميلة، فتزيا بزي بداة الأعراب وكان يجول في الأحياء إلى أن انتهى إلى حيها، وبات هناك في ضائقة، وتحيل حتى عاينها هناك، فما ملك صبره ورجع إلى مقر ملكه وأرسل إلى أهلهـــا يخطـــبها وتـــزوجها[٦]، ولما قصد الخليفة الآمر باحكام الله الزواج من ابنة الأفضل، اســـتدعى زمام القصر[٧]، ويقال له تاج الدولة وفاوضه في ذلك، ثم بعثه إلى الأفضل ليخطب له ابنته[٨].

واســـتمر الحال في العصر الأيوبي، وقد يقوم والد العريس بطلب العروس مباشرة من وليها، فهذا صلاح الدين الأيوبي طلب المصاهرة من صاحبة ميافارقين، فخطب إحدى عقائلها لأحـــد أبـــنائه وقـــد تم له ذلك[٩]. أو أن يقوم الخاطب بتوجيه رسول إلى ولي المرأة لتحقيق

---

(١) عمارة اليمني، النكت العصرية، ص ١٤٧.

(٢) ميافارقين: مدينة بديار بكر، وهي أقوى تحصيناتها، ويظن أنها من بناء الروم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٣٥.

(٣) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٦٥.

(٤) وقد ذكرها الصفدي "بلازة". الوافي بالوفيات، ج ٢١، ص ١٣٩.

(٥) الســـلار: علي أبو الحسن الملقب بالعادل وزير الخليفة الفاطمي الظافر وكان من أهل الصلاح والعلم. ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٥٨. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢١، ص ١٢٨.

(٦) الطهشواري، الفرج بن مصطفى، تاريخ مصر والنيل، مخطوط مصور عند النسخة الموجودة في جامعة ييل رقم (٣)، مجموعة لاندبيرج، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، ميكروفلم رقم (١٠) ص ٧٨.

(٧) زمام: المشرف، وكان يتولى هذه الوظيفة شخص من الخدم والخصيان، لأن مهمة صاحب الوظيفة الإشراف على الحريم. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، هامش(١)، ص ٢٢. الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣١٢.

(٨) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٦٠٥. ابن خلدون، تاريخه، مج٣، ق١، ج٧، ص ١٤٦.

(٩) ابن شاهنشاه الأيوبي، محمد بن تقي الدين عمر، مضمار الحقائق وسر الخلائق. تحقيق: حسين حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكـــان يدفـــع جزءاً من الصداق كمقدم والباقي يؤجل إلى أجل معلوم، ومن الملاحظ أن قيمة المؤخـــر كانت أكبر من قيمة المقدم، فعندما تزوج الخليفة الفاطمي الآمر السيدة علم الآمرية سنة (٥٢٦هـــ/١١٣١م) كتب صداقها وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار ذهباً[١].

وكـــان الخلـــيفة يقدم أحياناً لبعض رجال دولته الصداق أو المهر كهدية من بيت المال، فعند زواج ابنتي قائد القواد الحسين بن جوهر سنة (٤٠٣هـــ/١٠١٢م) دفع الخليفة الحاكم بالله عنهما المهر ومقداره ألفا دينار[٢]، وعندما زوج القاضي عبد العزيز بن محمد[٣] ولديه سنة (٣٩٤هـــ/١٠٠٣م)، عقد قرانهما بالقصر، ودفع الحاكم بالله عنهما المهر وقيمته أربعة آلاف ديـــنار من بيت المال[٤]، وكان القاضي عبد العزيز قد تزوج من ابنة القائد جوهر سنة (٣٧٥ هـــ/١٩٨٥م)، على صداق قيمته ثلاثة آلاف دينار[٥].

أمـــا فـــيما يتعلق بقيمة المهر أو الصداق في العصر الأيوبي، فقيمة المهر كانت كبيرة بالنســـبة للفئة الحاكمة من أفراد الأسرة الأيوبية السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة، ففي سنة (٥٨٧هـــ/١١٩١م) تزوج معز الدين قيصر من ابنة الملك العادل على صداق قيمته مائة ألـــف دينار[٦]، وفي سنة (٦٠٧هـــ/١٢١٠م) تزوج نور الدين[٧] من إحدى بنات الملك العادل على صداق قيمته ثلاثون ألف دينار[٨]، وفي سنة (٦٠٩هـــ/١٢١٢م) عقد الملك الظاهر عقده

– طمندي وأشنين: وهما قريتين متجاورتين غربي النيل بصعيد مصر. ابن الطوير، المصدر السابق، هامش(٢)، ص ٦.

(١) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٦٥٢.

(٢) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٩٩. سلطان، المجتمع المصري، ص ١٩٠.

(٣) القاضـــي عـــبد العزيـــز: عبد العزيز بن محمد بن النعمان المغربي القيرواني، ولي القضاء على الديار المصرية والحرميـــن وأجناد الشام وأضيف إليه النظر في المظالم بعد والده سنة ٣٩٤هـــ/١٠٠٣م. الكندي، أبي عمر محمد بن يوسف، كتاب الولاة وكتاب القضاة. تصحيح، رفن كست، بيروت، ١٩٨٢، ص ٦٠١.

(٤) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٦١٠.

(٥) الكندي، المصدر السابق، ص ٥٩٢.

(٦) معز الدين: قيصر شاه بن قلج أرسلان سلطان الروم صاحب ملطية، وقد قدم على السلطان صلاح الدين مستنصراً على ابيه وأخوته، أرادوا انتزاع بلده منه، فأقام بالخدمة السلطانية مدة، وتزوج بابنة العادل، وقوي بهذه المصاهرة وعـــاد إلـــى بلـــده مستنصراً بالسلطان على إخوته في هذه السنة. أبو شامة، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الـــنورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧، ج٤، ص ٢٨١. الأصفهاني، أبو عبدالله محمـــد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن نفيس الدين أبي الرجاء حامد بن عبدالله القرشي، الفتح القسي في الفتح القدسي. تحقيق: محمد صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٠، ص ٢٥٢.

(٧) نـــور الدين: أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن الأتابك صاحب الموصل، ولد سنة ٥٩٠هـــ/١١٩٢م وتوفي سنة ٦٠٧هـــ/١٢١٠م. ابن طولون، القلائد الجوهرية، ج١، ص ١٦٦.

(٨) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علـى ضـيفة خاتون وكان المهر خمسين ألف دينار[١]، وكان إذا تصاهر الملوك وتزوج كل مـنهم بابنة الآخر، تكون قيمة المهر لإحدى العروسين مساوية للأخرى، ففي سنة (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) كانـت المصـاهرة مـا بين أسد الدين والملك المعظم إذ زوج كل منهما ابنه بابنة الآخر، وكان مهر كل منهن ثلاثين ألف دينار[٢]، وفي سنة (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) تزوج السلطان غـياث الدين كيخسرو ابنة الملك العزيز "غازية خاتون" وتزوج بالمقابل الملك الناصر أخت غـياث الديـن "ملكـة خاتون"[٣]، وكان العقد على صداق قيمته خمسون ألف دينار لكل من العروسـين[٤]، وفـي سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) عقد الملك العزيز عقده على ابنة الملك الكامل "فاطمة خاتون" وكانت قيمة الصداق خمسين ألف دينار[٥]، وفي سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م) عقد للملـك المنصـور على ابنة الملك العزيز، على صداق قيمته خمسون ألف دينار[٦]، إن هذه المبالغ الباهظة، بلا شك تشير إلى المكانة الرفيعة التي أقلتها المرأة في العصر الأيوبي.

أمـا فـيما يـتعلق بالمهر أو الصداق فيما يخص فئة العامة وأواسط الناس في العصر الفاطمي والأيوبي فهو مبالغ ضئيلة وقد وصلت إلينا معلومات عن ذلك في العقود البردية التي يـرجع تاريخهـا إلى القرن الثالث والرابع والخامس الهجري ومقدار الصداق دينار واحد[٧]، وأحـياناً ديناران[٨]، وفي بعض الأحيان أربعة دنانير[٩]، ويكون هذا في الفئات الفقيرة، فهناك مـن النسـاء من وصل صداقهن إلى عشرين ديناراً[١٠]، وأحياناً أربعين دينارا[١١]، ولعل هذا المبلغ الأخير كان في الفئة المتوسطة من الناس.

---

(١) السـدواداري، أبـو بكر بن عبدالله بن أربيل الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر "والدر المطلوب في أخبار بني أيوب". تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٧٢، ج٧، ص ١٧٨. الحموي، تاريخ الواصلين، ص ١٧٠.

(٢) الذهبـي، الحـافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩، حوادث (٦١١-٦٢٠هـ)، ص ٣٥.

(٣) ملكة خاتون: ابنة بن كيخسرو ملك الروم، كان المعظم قد تزوج أخته فأتت بملكة خاتون منه، وقد تزوجها الناصر ابن الظاهر غازي، وهو ابن خالتها ضيفة خاتون ابنة الملك العادل وقدمت عليه دمشق عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م. الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٥١.

(٤) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص ١٨٤-١٨٥. الدواداري، الدر المطلوب، ج٧، ص ٣٣٠.

(٥) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٦٦٥. الحموي، تاريخ الواصلين، ص ٢٥٥.

(٦) عائشـة خاتون: ابنة العزيز بن العزيز محمد بن الظاهر، تزوجها الملك المنصور محمد بن المظفر محمود، وصلت إلى حماة في سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م. الحنبلي، شفاء القلوب، ص ٣٧٥. ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص ٣٥٧.

(٧) جروهمان، ادولف، الأوراق العربية "أوراق البردي"، القاهرة، ١٩٣٤، ج١، وثيقة رقم (٤٤)، ص ٩٧، ١٠١.

(٨) جروهمان، أوراق البردي، ج١، وثيقة رقم (٤٩)، ص ١١٩.

(٩) جروهمان، المصدر السابق، وثيقة رقم (٤٥)، ص ١٠٢.

(١٠) المصدر نفسه، وثيقة رقم (٤٢)، ص ٩٢.

(١١) عمارة اليمني، النكت العصرية، ص ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الملاحظ في عقود الزواج، أن العريس يدفع جزءاً من الصداق كمقدم والباقي يؤجل إلى أجل معلوم ويسمى ذلك "المؤخر"[١]. وكان يحدد في عقد الزواج المدة التي يدفع فيها الزوج هذا المؤخر، وكانت أحياناً تحدد بعدة سنوات[٢] ونجد في أحد العقود أنه اشترط على الزوج أن يدفع المؤخر بعد خمس ليال من العقد[٣]، وعادة ما تكون قيمة المؤخر أكبر من قيمة المقدم[٤]، ولعل السبب في ذلك هو تأمين المرأة اقتصادياً بعد انفصالها عن زوجها أو وفاته، ولذا كان يكتب بالمؤجل أو المؤخر من الصداق سند للزوجة[٥]. وكان الزوج أيضاً يحصل على إيصال "إقرار" من زوجته بقيمة ما دفع لها من صداق يوقع عليه عدد من الشهود[٦]، وعند وفاة الزوج كان مؤخر الصداق يعتبر ديناً واجب الأداء ويجب أن يستوفى كاملاً قبل أن تقسم التركة بين الورثة[٧].

أما عن المهر عند أواسط الناس والعامة في العصر الأيوبي، فلم نجد معلومات وافية عن ذلك في المصادر التاريخية، ويظهر أن المبالغ الباهظة للمهور قد اقتصرت على أفراد الأسرة الحاكمة فقد ذكر ابن الفرات أن القاضي بهاء الدين بن شداد تزوج ابنة الشيخ عبد الرحمن بن الأستاذ المحدث، على صداق قيمته خمسمائة درهم[٨]، ولا يشترط أن يكون المهر مالا، فالعالمة الفاضلة والفقيهة المحدثة فاطمة بنت محمد بن أحمد السمرقندي كان مهرها "كتاباً" وقصة زواجها بالكاساني صاحب البدائع المتوفي سنة (٥٧٨هـ/١٢٨٢م)، معروفة وهي أن جماعة من الملوك طلبوها للزواج، فقد كانت من حسان عصرها فامتنع والداها، فجاء الكاساني ولزم والدها وبرع في علوم الأحوال والفروع وصنف كتاب البدائع وهو شرح التحفة وعرضه على شيخه فازداد فرحاً به وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك الكتاب، فقال الفقهاء في عصره: "شرح تحفته وزوجه ابنته"[٩].

---

(١) العسلي، كامل جميل، وثائق مقدسية تاريخية، منشورات الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٩، وثيقة رقم (٤١)، ص ٥٦.

(٢) جروهمان، أوراق البردي، ج١، وثيقة رقم (٤٠)، ص ٨٣.

(٣) جروهمان، المصدر السابق، ج١، وثيقة رقم (٤٥)، ص ١٠٢.

(٤) المصدر نفسه، وثيقة رقم (٤٥)، ص ١٠٢.

(٥) *Coitein, Op, Cit, Vol, 3, O, 120.*

(٦) جروهمان، المصدر السابق، ج١، وثيقة رقم (٤٩) ورقم (٩٨)، ورقم (٤١)، ص ٤٩، ٨٨، ١١٨.

(٧) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٣٤٥.

(٨) ابن الفرات، تاريخه، مج٥، ج١، ص ١٥٢.

(٩) كحالة، أعلام النساء، ج٤، ص ٩٤-٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقـد وصـل صـداق البعض إلى أربعين ديناراً كما أسلفنا ولعل هؤلاء كن من أواسط الناس، وهذا ما جاء في كتاب النكت العصرية الذي عاش مؤلفه في بداية هذا العصر[١].

٣- عقد القران

فـإذا انتهى دور الخطوبة والاتفاق على المهر بين الطرفين جاء دور عقد القرآن، لأن الـزواج يتم طبقاً لعقد مكتوب بين الطرفين، وعن عقود الزواج في العصر الفاطمي، فإن ما يلفـت الـنظر، هو احتواء العقد على مقدمة تعرف بخطبة النكاح التي كانت ولا تزال تشكل جـزءاً من مراسيم الزواج، حيث يلقيها من يتولى كتابة العقد، وتحتوي على البسملة والحمد والتشـهد وبعـض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على الزواج وتبين أهميته. وكانـت تختلف في الطول والقصر بحسب مكانة صاحب العقد، فهي تطول للملوك والخلفاء والأمـراء والأكابـر وتقصر لمن دونهم[٢]، وكان العرب يستحبون من الخاطب الإطالة ومن المخطـوب إلـيه الإيجاز[٣]، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في إحدى الوثائق الخاصة ببيت المقدس والتي يرجع تاريخ هذه الوثيقة إلى سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م)، وهي عقد نكاح "نور الله" ابـن الشيخ عبد الرحمن على آمنة خاتون ابنة الشيخ محمد العسلي، وقد تولى العقد والخطبة الحاكم الشرعي علي أفندي[٤]، وجاء فيها:"الحمد لله الذي لا نقتبس أنوار السعود إلا من مشكاة نـوره المنير ولا يلتمس التوفيق إلا من حسن توفيقه النظير ولا تجتمع الآداب إلا لمن جمعهم علـى الهدى وهو على جمعهم إذا يشاء قدير أحمده أن شرع النكاح لهذه الأمة وأعلى مقامها فاتسقت به عقود الألفة والازدواج على أحسن نظامها وتألفت به قلوب فوق القرابات واجتمعت على إحكام قواعد أحكامها سبحانه جعل النكاح أحسن قران تقترن به الكواكب بالسعود وتتصل بـه أحـبال السعادة فتنتظم جواهر العقود وصيّره وسيلة إلى الايتلاف وحفظ الأنساب وجمع الشتات ويخرج من كامن الغيب ما قدر وجوده من البنين والبنات وتساق به الطيبات للطيبين والطيـبون للطيـبات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد لم يزل يجتني من ثمـرات الاقبال يانع غرسها ويجتلي في حضرات اليمن عروس أنسها وأشهد أن سيدنا محمداً عـبده ورسـوله الذي جعل النكاح من سنن شرعته وحث عليه ليباهي الأمم يوم القيامة بأمته وأنـزل عليه في الكتاب العلي قدراً وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أهل الفلاح ما جرت أقلام الأفاضل في طروس النكاح وبعد[٥].

---

(١) عمارة اليمني، النكت العصرية، ص ١٤٧.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٠٠.

(٣) القيرواني، زهر الآداب، ج١، ص ١٤٣-١٤٤.

(٤) العسلي، المرجع السابق، م٣، وثيقة رقم (٤١)، ص ٥٦.

(٥) العسلي، وثائق مقدسية، وثيقة رقم (٤١)، م٣، ص ٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتأتـــي الصيغة القانونية للعقد من حيث أداء الصداق وقيمة المقدم والمؤخر منه، ثم اسم العـــريس والعروس كاملين[١]، وبيان حال العروس إذا كانت ثيباً أو بكراً[٢]، ويذكر في العقد وهـــو من شروطه أن تكون العروس بالغاً[٣]، ولعل بعض العقود كانت تكتب دون التأكد من هـــذا الشرط، مما يجعل بعض الشهود يرى أنه لا بد من فسخ العقد، وقد حدث ذلك في عهد الخليفة العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـــ)(٩٧٦-٩٦٩م)، ورفعت إليه هذه الشكوى، ولما تأكد من صـــحة مـــا جاء به الشاهد أمر بفسخ العقد[٤]، وتحتوي عقود الزواج على ذكر ولي ووكيل الـــزوجة أبيها أو أخيها أو أحد أقربائها[٥]، فمن تعاليم الإسلام ليس للمرأة أن تزوج نفسها ولا غـــيرها وإنما الذي يزوجها وليها[٦]، يحتوي العقد كذلك اسم من تولى عقد الزواج، بالإضافة إلى تاريخ العقد باليوم والشهر والسنة[٧].

وغالـــباً مـــا ينص عقد الزواج على أمور تشترطها الزوجة على زوجها أثناء حياتهما المشـــتركة، ومن هذه الشروط التي وردت في الوثائق البردية نجد أن الزوجة تلزم الزوج في حالـــة اقـــترانه بـــزوجة أو أكـــثر غيرها أن تكون لها اليد العليا في شؤون الدار ولها الأمر والتدبـــير[٨]. كما تشترط إحدى الزوجات على زوجها في حال اتخاذه لجارية أو حظية يكون أمرها بيدها "إن شاءت عتقت وإن شاءت بيعت، فعتقها وبيعها جائز ولازم له"[٩]. أي في حالة أن يـــتخذ الـــزوج جارية أو حظية يكون أمر هذه الجارية بيد الزوجة إن شاءت باعتها وإن شاءت عتقتها، فبيع أو عتق الجارية لازم عليه إذا طلبت منه الزوجة ذلك وأن يكون للزوجة حق طلاق أي امرأة يتزوجها الزوج بعدها[١٠]. كما كانت هناك شروط أخرى لصالح الزوجة مـــثل اشـــتراطها على زوجها ألا يمنعها من زيارة أهلها ولا يمنع أهلها من زيارتها[١١]. وأن

---

(١) جروهمان، أوراق البردي، ج١، وثيقة رقم (٣٨)، ورقم (٤١)، ورقم (٤٤)، ص ٦٧، ٨٦، ٩٧.

(٢)العســـلي، المـــرجع الســـابق، وثـــيقة رقـــم (٤١)، م٣، ص ٥٦. جـــروهمان، المصدر السابق، وثيقة رقم (٤١) ص ٨٦-٨٧.

(٣) ***Goiten, a Mediterranean society, Vol, 3, P, 76, 103.*** جروهمان، المصدر السابق، ج١، وثيقة رقم (٤٢)، ص ٩٢.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣، ج٧، ص ٢٠٣.

(٥) العسلي، المرجع السابق، وثيقة رقم (٤١)، م٣، ص ٥٦. جروهمان، المصدر السابق، ج١، وثيقة رقم (٣٨)، رقم (٣٩)، ص ٦٧، ٧٤.

(٦) راجع الفصل السابق.

(٧) العسلي، المرجع السابق، وثيقة رقم (٤١)، م٣، ص ٥٦.

(٨) سلطان، المجتمع المصري، ص ١٩٠. جروهمان، المصدر السابق، ج١، وثيقة رقم (٣٩)، ص ٧٤.

(٩)جروهمان، المصدر السابق، وثيقة رقم (٤١)، ص ٨٧.

(١٠) نفسه، وثيقة رقم (٣٨)، ص ٦٨.

(١١) نفسه، وثيقة رقم (٣٩)، ص ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتقي الله ويحسن عشرتها ويعاملها بالمعروف كما أمر الله عز وجل وسنة نبيه، ووجوب طاعة الزوجة لزوجها، وتتضمن هذه الوصايا الآيات القرآنية التي تحث على ذلك[١]، كذلك يدون في العقد أسماء الشهود عليه، الذين يتراوح عددهم ما بين شاهدين إلى ثلاثين شاهداً[٢]. كما أن موافقة العروس ورضاها بقيمة الصداق، كان لا بد أن تتم أمام شاهدي عدل لتأذن لهما العروس عن رضاها[٣]، ولا بد أن يكونا حربين مسلمين بالغين عاقلين، وهذا يبين مدى التأكد من موافقة العروس.

وكان نص العقد في العصر الفاطمي غالباً ما يحتوي على الدعاء للخليفة وآبائه الطاهرين، ونلاحظ هذا الأمر في عقد زواج مؤرخ في ١٥ جمادى الأولى من سنة (٤١٩هـ/ ١٠٢٨م) في عهد الخليفة الظاهر[٤] لأعزاز دين الله[٥]، وكان الخليفة في بعض الاحيان يسجل بعض العبارات بخطه في عقد قران أبناء كبار رجال الدولة والأمراء، مثال ذلك ما كتبه الخليفة الحاكم في سجل زواج ابنتي الحسين بن جوهر في سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م) "يعقد هذا النكاح بمشيئة الله وعونه، والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل"[٦]، أو يوقّع على كتاب الصداق ووضع علامته[٧] الشريفة بيده الطاهرة، كما فعل الخليفة المستنصر عندما كتب علامته الشريفة وهي "صح، والحمد الله رب العالمين" لما تزوج ابنه المستعلي[٨] من ابنة أمير الجيوش بدر الجمالي[٩].

---

(١) جروهمان، اوراق البردي، ج١، وثيقة رقم (٤١)، ص ٨٧.

(٢) العسلي، المرجع السابق، وثيقة رقم (٤١)، م٣، ص ٥٦. جروهمان، المصدر السابق، ج١، وثيقة رقم (٣٩)، ص ٧٤-٧٦.

(٣) جروهمان، المصدر السابق، ج١، وثيقة رقم (٤٥)، ص ١٠٣.

(٤) الظاهر: أبو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله، تولى الخلافة الفاطمية في سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م. بعد اختفاء والده، وقامت ست الملك بتدبير أمور دولته، توفي سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥م. الأنطاكي، تاريخه، ص ٣٦٥-٣٦٦.

(٥) جروهمان، المصدر السابق، ج١، وثيقة رقم (٤٤)، ص ٩٨.

(٦) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٩٨.

(٧) العلامة: مصطلح خاص كان يطلق على ما يكتبه الخليفة بيده على الرسائل أو الأوامر أو السجلات أو التوقيعات الصادرة عنه، ولا تصدر هذه الوثائق على اختلاف أنواعها إلا بعد كتابة هذه العلامة وقد تطورت هذه العلامة تطورات أخرى في دواوين الأنشاء على عهود السلاجقة والأيوبيين والمماليك والأتراك. الشيال، جمال الدين، الوثائق التاريخية لمصر الإسلامية"مجموعة الوثائق الفاطمية". دار المعارف، مصر، ١٩٦٥، ط٢، م١، ص ٥٣.

(٨) المستعلي: أبو القاسم أحمد بن المستنصر بالله، تولى الخلافة عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وتوفي عام ٤٩٥هـ/١١٠١م. ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٥، ٢٤.

(٩) الشيال، الوثائق الفاطمية، م١، ص ٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وغالباً ما يحتوي العقد الدعاء للعروسين بالتوفيق والألفة، ونلاحظ هذا الأمر بعقد نكاح "نـــور الله وآمنة" :" اللهم ألف بينهم كما ألفت بين العين وسناها والنفس ومناها وأمطر عليهما من سحايب رحمتك الطيبة وهب لهما من لدنك ذرية طيبة"(١).

ويـــبدو أن عقـــود الزواج كانت تدون على قطع من القماش أو قطعة من نسيج القطن، فكانـــت تغمس القطعة بمادة نشوية لسد مسامها حتى تصبح صالحة للكتابة عليها(٢)، وقد ذكر المقريزي أن كتاب ابن حسين بن جوهر كتب على ثوب مصمت(٣).

أمـــا عن عقد الزواج عند الأيوبيين فقد كان كل من الخاطب وولي العروس يوكل أحد الأكابر من الأمراء وكبار رجال الدولة وكيلاً عنه في الإيجاب والقبول أثناء العقد، فعندما عقد العزيـــز(٤) على ابنة عمه الملك العادل، قبل العقد عنه القاضي محمد بن القاضي عبد العزيز الســـعدي، ووكـــل الملـــك العادل القاضي محي الدين محمد بن شرف الدين بن عصرون في تـــزويج ابنته من ابن عمها(٥). وعندما تزوج الملك الظاهر من ابنة عمه "ضيفة خاتون" وكل القاضي بهاء الدين في قبول العقد، وكان نائب الملك العادل في الإيجاب والقبول شمس الدين ابن التتبي(٦). وخطب الملك الناصر(٧) أمير إمارة الكرك الأيوبية "عاشوراء خاتون" ابنة عمه الملـــك الكامل محمد، صاحب مصر، فكان متولي العقد من جهة السلطان الملك الكامل شقيقه الملـــك العادل سيف الدين أبو بكر بن جمال الدين، وتولى القبول من جهة الملك الناصر نائبه بالكرك الطواشي عزيز الدولة ريحان(٨).

وغالباً ما كان العقد يتم بالوكالة دون أن يحضر الخاطب وخاصة إذا كانت المسافة بين الطرفيـــن بعيدة، فقد أرسل الملك نور الدين ملك الموصل وكيله لقبول العقد على ابنة العادل، وقـــد تم العقد في دمشق في الثاني من شعبان سنة (٦٠٧هـــ/١٢١٠م)، وفي آخر رجب من

---

(١) العسلي، وثائق مقدسية، وثيقة رقم (٤١)، م٣، ص ٥٧.

(٢) أحمـــد، أحمـــد عبد الرازق"عقدا نكاح من عصر المماليك البحرية"، بحث منشور في مجلة "المجلة العربية للعلوم الإنسانية"، ع٦، م٢٢، ص ٧٦-٧٧.

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٩٨.

(٤) الملـــك العزيـــز: عماد الدين عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، ولد بالقاهرة سنة ٥٦٧هـــ/١١٧١م. وتولى السلطنة بعد وفاة أبيه عام ٥٨٩هـــ/١١٩٣م، وتوفي بالقاهرة سنة ٥٩٥هـــ/١١٩٨م. المنصوري، مختار الأخبار، ص ٥.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص ٣٤. المقريزي، السلوك، ج١، ص ١٧.

(٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص ٣٤. المقريزي، السلوك، ج١، ص ١٧.

(٧) الملك الناصر: داود بن عيسى بن محمد بن أيوب، ولد بدمشق عام ٦٠٣هـــ/١٢٠٦م، وتوفي سنة ٦٥٦هـــ/١٢٥٨ م. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ٤٨٠.

(٨) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٥، ص ١٥. الحموي، تاريخ الواصلين، ص ٢٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـذه السـنة وصل الخبر بوفاة نور الدين بالموصل وكان العقد مع وكيله بعد موته ولم يعلم بذلك[١].

ويـتولى كـتابة العقد قاضي القضاة أو أحد كبار الشخصيات في الدولة ويحضره أكابر الدولـة، فعـندما تزوج الملك العزيز بابنة عمه الملك العادل عقد بينهما قاضي القضاة محي الديـن أبو حامد بن الشيخ شرف الدين بن عصرون، وقرىء العقد بين يدي الملك الظاهر[٢]، وفي سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) عقد العقد للملك العزيز على الخاتون فاطمة ابنة الكامل، الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، وحضر العقد أكابر حلب وعدولها[٣]، وعندما تزوج الملك غياث الدين "غازية خاتون" عقد العقد القاضي والكاتب المعروف ابن العديم[٤].

ووجـد فـي هـذا العصر من هم متخصصون في عقود الأنكحة في مقابل أجر معين بالإضـافة إلى الهدايا التي يحصلون عليها من أهل الأفراح، وممن تولى عقود الأنكحة الشيخ تقي الدين بن خليل النحوي المصري، فكان إذا غلب على ظنه فقر أهل الواقعة لا يأخذ منهم شـيئاً، وأما عند الطلاق فلا يأخذ شيئاً سواء كانوا فقراء أو أغنياء، توفي في سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م)[٥].

واسـتمر فـي هذا العصر استخدام الأقمشة الحريرية كأحد المواد الأساسية التي كانت تـدون علـيها عقود الزواج، فقد ذكر ابن واصل بأن عقد زواج الملك العزيز على ابنة عمه ضيفة خاتون كتب على ثوب أطلس[٦].

وتضـمن عقد الزواج خطبة العقد إذ كانت من المراسيم الهامة للزواج في هذا العصر، فقـد ذكر ابن واصل خطبة عقد الملك العزيز على ابنة عمه، والتي أنشأها عماد الدين الكاتب وهـي:"الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً، فجعله نسباً وجهراً، وشرع النكاح ووضعه صلة للأرحـام وبـراً وشد به أزراً، ودفع به قدراً، وأطلع بسناء سننه في العالم فجراً، وأجرى به أجـراً، نحمـده على أنعمه التي تجلت لعيون مجتليها بيضاً غراً، وأياديه التي ملأت حوافل غزراً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة نتخذها يوم القيامة ذخراً، ونعدها يوم الفـزع الأكـبر جُـنَّة وستراً، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً، وأسماهم وأسناهم في الدنيا والآخرة ذكراً الذي بعثه إلى الخلق كافة عرباً وعجماً، وبدواً وحضراً، وبين

---

(١) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ٧٦. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج (٦٠١-٦١٠)هـ، ص ٣٢.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص ٤٣. المقريزي، السلوك، ج١، ص ١٧.

(٣) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٦٦٥. المقريزي، السلوك، ج١، ص ٢٣٤.

(٤) الحموي، تاريخ الواصلين، ص ٣١٧. الدوادار، الدر المطلوب، ج٧، ص ٣٣١.

(٥) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٤٩.

(٦) مفرج الكروب، ج٣، ص ٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهـم مـناهج الهـدى إيجاباً وإباحة، فقال عليه السلام:"تناكحوا تكاثروا، فإني أباهي بكم يوم القيامة"، وكفى بالنكاح في تحقيق مباهاته فخراً ﷺ تجمع لهم شرف الدنيا والآخرة، وكان من قضاء الله وقدره النكاح المسطور في هذا الكتاب الذي فاح في مناشف الأولياء نشراً ولاح في مشارق الآلاء يسراً، وجمع في سماء المعالي للأيام والليالي شمساً وبدراً، وأمر بأحكام عهده للدين أمراً، وسرّ بإلزام عقده للدولة سراً، قرنه الله بالميامين والبركات التي تتأكد دهراً وتتخلد عصراً[١].

ولا بـد أن العقد كان يتضمن قيمة الصداق، وأسماء كل من العريس والعروس كاملين، وبيان حال العروس إذا كانت بكراً أو ثيباً، وتاريخ العقد، ثم توقيع الشهود[٢]. وبعد العقد ينثر الذهب والفضة على رؤوس الناس والشهود والحضور، فعندما تم الفراغ من عقد غياث الدين كيخسـرو علـى "غازية خاتون"، نثر من الدنانير الواصلة مع ابن العديم ألف دينار[٣]، وكان العقد يتم إما بدار السلطنة[٤]، وربما فضل كثيرون عقد الأنكحة في المساجد طلباً للبركة وبعده ينصرفون في حفل كبير[٥].

ويبدو أن التكافؤ بين الزوجين كان من شروط صحة العقد في هذا العصر، والدليل على ذلـك أنـه فـي سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، عزل أحد القضاة وصرف عن عمله لأنه عقد لرجل علاف على امرأة غير كفء لها[٦].

٣- الجهاز

الجهاز: هو كل ما تحتاج إليه العروس[٧]، وكانت المرأة تشتري من مهرها الذي تملكه كـل مـا تحـتاج إليه، فبعد عقد القرآن تبدأ مرحلة إعداد الجهاز ونقله إلى منزل الزوجية، ويتناسـب الجهـاز مـع مكانـة أصحاب العرس ومدى ثرائهم، ففي أفراح الخلفاء والأمراء والسلاطين كان الجهاز يفوق الوصف، ويبين إلى أي مدى بلغ ذلك الإسراف، وليس أدل على ذلـك من جهاز قطر الندى الشهير في العصر الطولوني[٨]، ويبدو أن الزوج كان يتكفل بدفع

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص ٣٤.

(٢) ولـم تذكـر المصـادر وثائق زواج خاصة بهذا العصر، إلا أنه من المؤكد أنها شبيهة بعقود الزواج في العصر الفاطمي والمملوكي، إذ أن فترة حكم الأيوبيين، تعد مرحلة انتقالية بين العصر الفاطمي والعصر المملوكي.

(٣) الدوادار، الدر المطلوب، ج٧، ص ١٧٩.

(٤) ابن واصل، المصدر السابق، ج٥، ص ١٨٣.

(٥) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٦٦٥.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص ١٠٥-١٠٦.

(٧) الترمانيني، الزواج عند العرب، ص ١٧٣.

(٨) المسعودي، مروج الذهب، ج٥، ص ١٣٨. وانظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، م٣، ص ٢٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قـيمة المهـر وإعداد دار الزوجية وعلى أسرة العروس إعداد الجهاز اللازم للدار من فرش وأثاث وأدوات منزلية..الخ[١].

وفـي العصر الفاطمي كانت فئة الخاصة تغالي في إعداد جهاز بناتها كنوع من المباهاة وإظهـار النفوذ، ومن الأمثلة على ذلك أنه في سنة ٣٨١هـ/٩٩١م زفت أخت كاتب "السيدة العزيـزية"[٢] إلـى زوجها بلتكين التركي[٣] فحملت معها جهازاً قيمته مائة ألف دينار، سوى صـناديق حملت على ثلاثين بغلاً تحمل الملابس والتحف الثمينة[٤]، وقد جهز الوزير يعقوب بـن كلس وزير الخليفة العزيز ابنته بحوالي مائتي ألف دينار[٥]، وعند زواج الخليفة العاضد مـن أخـت الوزيـر العادل رزيك حمل معها جهاز فخم يليق بالخليفة بالإضافة إلى عدد من الصـناديق بهـا قناطـير من الذهب[٦]، إن ضخامة هذه المبالغ، ربما ترجع إلى حرص هذه الطـبقة مـن الخلفاء والوزراء والأمراء على الإكثار من شراء الجواهر والتحف الثمينة في جهاز العروس، وكذلك ترصيع بعض قطع الأثاث بالجواهر والدرر[٧]، ومع ذلك فإن ضخامة هذه المبالغ تجعل الباحث يشك في صحتها لأنها مبالغ فيها كثيراً.

وشـمل جهـاز المـراة اشـياء متعددة وهي: الحلي والملابس وفرش السرير ولوازمه والأثـاث والـنحاس والأدوات المنزلية الأخرى، أما الحلي والمصاغ فتشمل الخواتم الذهبية والفضية، وكذلك الأساور والأقراط والخلاخيل، ثم الملابس بأنواعها المختلفة، وقد تحدثنا عنها بالتفصـيل في الفصل السابق، وكانت الملابس الخاصة بالعروس توضع في صندوق، وتقوم العروس باختيار ملابسها أثناء فترة إعداد الجهاز، ويبدو أن هذه الفترة كانت طويلة أحياناً مما يجعـل الفتاة المقبلة على الزواج تخرجها من وقت لآخر في الهواء، أو حتى أن إعداد الجهاز كان يتم قبل خطبة الفتاة[٨]، وبالإضافة إلى الملابس كانت العروس تحضر نوعاً من الملابس الداخلـية الخاصـة بالمنزل، المصنوعة من الأقمشة الرقيقة[٩]، ومن خلال ما تحتويه خزائن

---

(١) الغـزي، كـامل البالي الحلبي: الشهير بالغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، تحقيق: شوقي شعث، محمود فوزي فاخوري، دار القلم، حلب، ط٢، ١٩٩١، ج١، ص ١٩٨. الترمانيني، المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٢) السيدة العزيزية: يقصد بها زوجة الخليفة العزيز، وكانت العادة أن تنسب زوجات الخلفاء إليهم. المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣١٨. انظر سلطان، المجتمع المصري، ص.

(٣) بلتكيـن التركي: أو منجوتكين، أهدي إلى الوزير الفاطمي ابن كلس، وولي امرة دمشق سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م. وقتل في القاهرة سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م. ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٧٠. الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج٢، ص ٧.

(٤) ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٧٠.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٨٢.

(٦) عمارة اليمني، النكت العصرية، ص ٥٤. ابن دقماق، سمط النجوم العوالي، ص ٥٧٤.

(٧) أحمد، المرأة في مصر، ص ١٣٠.

(٨) أحمد، المرجع السابق، ص ١٣١.

(٩) دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٧، ص ٤١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفـــرش والمتعة بالقصور الفاطمية يبدو أن العروس كانت تحضر لوازم السرير وفراشه من المخـــاد والأغطـــية[١]، وقد استخدمت المرأة الفاطمية الأقمشة الفاخرة مثل: الحرير والديباج والشـــرب والســـقلاطون والابقلمون، وكانت أسعار هذه الأقمشة غاية في الارتفاع[٢]، كما أن الثروات التي خلفتها الأميرات الفاطميات، ربما أن جزءاً منها كان من جهازهن أمثال السيدة عبدة والسيدة رشيدة ابنتي المعز.

وكان جهاز العروس يشتمل على اثاث للمنزل وغالباً ما يحتوي على "دكة" تشبه السرير مصـــنوعة مـــن النحاس المكفت[٣]، أو من الخشب المطعم بالعاج أو الأبنوس، أو من خشب مدهون، وهذه الأنواع تختلف أثمانها طبقاً لجودة خامتها ودقة صناعتها[٤]،ولا بد أن يكون في جهـــاز العـــروس دكـــة نحاس مكفت، بالإضافة إلى سبع أوان "طاسات" من النحاس الأصفر المكفـــت بالفضـــة مختلفة الأحجام بعضها أصغر من بعض، وسبعة أطباق مختلفة الأحجام، وغـــير ذلك من المنابر والسرج وأحقان الأشنان[٥] والطشت والإبريق والمبخرة، وتقدر قيمة هـــذا الجهـــاز بما يزيد على مائتي دينار ذهباً، وهذا يبدو كان ضمن جهاز العروس من الفئة المتوســـطة والعامـــة[٦]، أمـــا إذا كانت العروس من فئة الخاصة من بنات الوزراء والأمراء وأعـــيان الكتاب أو أثرياء التجار، فإن جهازها يتكون من سبع دكك على أشكال مختلفة، دكة مـــن نحـــاس ودكة خشب مدهون ودكة من صيني ودكة من بلور ودكة يطلق عليها كداهي وهـــي تحمـــل مـــن الصين، أي أنها تتجهز بما قيمته سبعة أضعاف مثيلتها من بنات العامة وأواســـط الـــناس[٧]. كما يشمل جهاز العروس على أدوات الطعام المختلفة من الأوعية التي تصـــنع من النحاس المكفت التي لا تكاد تخلو دار من عدة قطع من هذا النوع[٨]، علاوة على

---

(١) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٢٩-١٣٠. المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٦٦-١٦٨.

(٢) ابن الطوير، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٣) النحاس المكفت: أو المطعم، أي المنقوش بخيوط من الذهب أو الفضة أو هما معاً، وقد يطعم الخشب بالأبنوس أو العاج كما تقدم. المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، هامش(٢)، ص ٧٥٨.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦٠٦.

(٥) الأشـــنان: هـــو الحـــرض، وهو مادة تستخدم في غسل الأيدي على أثر الطعام، وتغسل به الثياب، وهي الصابون وتســـتخلص المـــادة مـــن بنات الأشنان الذي ينمو في البراري الشامية في بادية الشام، وقيل بأنه طيب من جملة طـــيوب يصـــنع من عدة مواد مثل القرنفل والقرفة..الخ. ابن البيطار، ضياء الدين أبي عبدالله بن أحمد الأندلسي. المالقـــي، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج١، ص ٥١. الغزولي، مطالع البدور، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦٠٧.

(٧) المقريزي، المصدر السابق، ج٢، ص ٦٠٧.

(٨) ناصر خسرو، سفرنامة، ص ٦١. المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلـك فـإن جهاز العروس يشمل بعض الأشياء المختلفة مثل أواني العطور والكحل والمرايا، وهي ضرورية لزينة المرأة، ومن أنواع العطور الند، الكافور، ماء الورد، والمسك وغيره[١].

أمـا عـن جهاز المرأة في العصر الأيوبي، ففي أفراح السلاطين والأمراء كان الجهاز دائمـاً يفـوق الوصـف، ويتكون من الحلي والمصاغ والملابس والأثاث والأواني المنزلية، بالإضـافة إلـى الخـدم والجـواري، وحسبنا أن نشير إلى ما رواه المؤرخون بصدد جهاز الصاحبة "ضيفة خاتون" ابنة الملك العادل عندما تزوجت الملك الظاهر غازي صاحب حلب. فقـدم معهـا من القماش والآلات وأنواع المصوغات ما يحمله خمسون بغلاً وثلاثمائة جمل ومائـة بختي[٢]، وقد شمل الجهاز مائة ملبوس من أنواع الأقمشة الفاخرة والنادرة، وثلاثمائة جمل تحمل الفراش والطرح، ومثلها تحمل الزركش وغيرها، بالإضافة إلى ثمانين هاون ذهب برسـم المطـبخ، ومن الجواري الصغار أربعمائة وصيفة ومن الجواري الكبار في المحامل والكجـاوات[٣] ما يحمله ألف جمل[٤]، وذكر أنه كان في خدمتها مائة جارية، كلهن مطربات يلعبن بأنواع الملاهي، ومائة جارية كلهن يعملن أنواع الصناعات البديعة كالتطريز مثلاً[٥].

وذكـر ابـن واصل في أحداث سنة (٦٤٥هـ/١٢٤٧م) أن "عائشة خاتون" ابنة الملك العزيز وزوجة الملك المنصور وصلت إلى حماة في "أبهة جليلة" وكانت محفتها ملبسة بالذهب والحريـر ومكللة بالجواهر، وكان من ضمن جهازها أواني الذهب والفضة وما يتبع ذلك من أواني التجميلات والأقمشة والزينة والجواري والخدم الشيء الكثير[٦]. وفي سنة (٦٥١هـ/ ١٢٥٣م) قدمت ابنة السلطان علاء الدين "ملكة خاتون" إلى زوجها الملك الناصر وفي خدمتها سوباشـي[٧] ومعه خمسمائة فارس، ومحفتها من أطلس، ومكللة بالجوهر والذهب، وجهازها

---

(١) المقريزي، المقفى الكبير، ج٦، ص ٤٨٤-٤٨٩.

(٢) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص ٢١٤. الحموي، تاريخ الواصلين، ص ١٧٠.

- البختـي: الواحـد من الإبل الخراسانية، وهي جمال ضخمة ذات سنامين ووبر أسود طويل، تستعمل في أسفار الشتاء والجمع بخاتي وبخت. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥. المقريزي، السلوك، ج١، هامش(٢)، ص ١٧٦.

(٣) الكجاوات: لفظ فارسي بمعنى المحمل أو المحفة دخيل منذ زمن الأيوبيين. ابن الطوير، نزهة المقلتين، هامش(٨)، ص ١٤٩. ابن تغري بردي، النجوم، ج٤، هامش(٦)، ص ٨٤.

(٤) الدوادار، الدر المطلوب، ج٧، ص ١٧٨.

(٥) ابـن واصل، المصدر السابق، ج٣، ص ٢١٤. الحموي، المصدر السابق، ص ١٧٠. الدوادار، المصدر السابق، ص ١٧٨.

(٦) مفرج الكروب، ج٥، ص ٣٨٣.

(٧) سوباشـي: أو صوباشـي، لفـظ فارسي مركب، من صو: ومعناه الجند، وباشي ومعناه رئيس الجند. عبد الكريم، المصطلحات والألقاب، ص ٢٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علـــى ألف جمل[1]، وكان من ضمن جهاز ابنة الملك المعظم التي تزوجها جلال الدين خوازم شاه، اثنا عشر قطعة من الجوهر، وفصوص لا تقدر بثمن[2].

وكـــان الجهـــاز من قبل أهل العروس يتطلب وقتاً لإعداده، وربما تجاوز ذلك إلى عدة شـــهور، ففي شوال سنة (٥٤١هـــ/١١٤٦م) عقد العقد بين الملك نور الدين وعصمة الدين[3] خـــاتون، وفـــي الثالث والعشرين من شوال شرع في تحصيل الجهاز، وفي النصف من ذي القعدة وعندما تم الفراغ من الجهاز سيرت العروس إلى حلب[4].

أمـــا عـــن نقل الجهاز إلى بيت الزوجية فيتم بواسطة قوافل من الدواب والجمال ومئات الحمالين، أما إذا كان أصحاب الفرح من عامة الناس فإنه يحتفل بنقل الجهاز في حفل يشترك فيه الأقارب والمعارف[5].

أمـــا عن مراسم استقبال العروس والجهاز، فتأتي العروس بموكب كبير ويتلقاها زوجها والأمراء والأكابر في الدولة، فعندما وصلت "ضيفة خاتون" خرج الملك الظاهر للقائها بنفسه بسائر جيشه وأكابر أمراء حلب وكان عبورها إلى قلعة حلب يوماً مشهوداً[6]، وعندما وصلت ملكة خاتون زوجة الملك الناصر تلقاها القضاة والنواب والأمراء والولاة والحجاب، وبسطت البسط بن يدي دابتها وبالغوا في خدمتها، ويذكر ابن حبيب أنه "جرت لمقدمها أوقات لم يسمع بمثلها فيما سلف من الأيام"[7].

أمـــا عن جهاز العامة وأواسط الناس، ففي العصر الفاطمي، رغم ثراء الدولة العريض فإن العامة كانوا يعيشون عيشة الكفاف ولا يستطيعون سد حاجتهم الضرورية، أن رجلاً سرق قـــنديلاً من الفضة من جامع عمرو بن العاص، فرفع القاضي الأمر إلى الخليفة الحاكم، فقال الحـــاكم للرجل "ويلك، سرقت فضة الجامع فقال: إنما سرقت مال ربي، وإني فقير ولي بنات جـــياع، والإنفاق عليهن أفضل من تعليق هذا في الجامع، فدمعت عيناه..وأمر بإحضار بناته

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج(٦٥١-٦٦٠هـــ)، ص ٧.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٩، ص ٢٣١.

(٣) المـــلطان نور الدين: الملك العادل أبو القاسم ابن زنكي، ملك حلب ودمشق، ولد سنة (٥١١هـــ/١١١٧م)، وتوفي سنة (٥٦٩هـــ/١١٧٣م). أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج٢، ص ٣١. الذهبي، العبر، ج٣، ص ٥٨.

(٤) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص ١٨٠.

(٥) عاشور، الحضارة العربية، ص ٢٧٣.

(٦) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص ٢١٤. الدوادار، الدر المطلوب، ج٧، ص ١٧٨.

(٧) ابـــن حبيب، بدر الدين الحسن بن علي عمر الحلبي، درة الأسلاك في دولة الأتراك، مخطوط مصور عن النسخة الموجودة في مكتبة بودليان، اكسفورد رقم (٣٨١)، مركز الوثائق والمخطوطات الجامعة الأردنية، ميكروفلم رقم (٥٣٩)، ج١، ص ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحضرن، فأمر القاضي أن يجهزن بثلاثة آلاف دينار ويزوجن وأعاد القنديل إلى الجامع"[1]، وهـذه الرواية توضح حالة العامة البائسة وعدم القدرة على تجهيز بناتهم للزواج، وكذلك كان الحال في العصر الأيوبي، ويذكر البوصيري في إحدى قصائده أن ابنته خطبت وستزف إلى زوجها وإنها تطالبه بإعداد ما يلزم من متاع، وكان لا يملك في بيته حصيراً فقال:

(بحر الخفيف)

وفـتاةٌ مـا جهـزتْ بجهـاز ... خُطبـتْ للدخـول بعـدَ شـهور
واقتضـتني الشـوارَ[3] بغـياً على منْ ... بيـته لـيسَ فـيهِ غـيرُ حصـير[4]

وكـان الاحـتفال بالعرس، كما يذكر المقريزي[4]، يقام في دور خصصت للأفراح في العصـر الفاطمـي، وكانت هذه الدور ملكا للأفراد، تكون إدارتها تحت إشراف الدولة، وكان علـى ملاك هذه الدور التزام جانب الأخلاق الحميدة والمحافظة على حرمة أصحاب الحفل، وعدم تسور أسطح الدور للتطلع على النساء المجتمعات في الفرح، وكانت الدولة تأخذ عليهم عهـداً بذلـك ويوقع صاحب الدار وثيقة بعدم التعرض لمؤجري داره للأفراح وإلا حرم من تأجيرها لهذا الغرض، ويبدو أن أفراح الطبقة الحاكمة كانت تقام في القصر[5]، وإن كنا نسمع عـن خيمة تسمى "خيمة الفرح" قد عملت في عهد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي انفق عليها الكثير من الأموال[6].

أمـا عن استعداد العروس في يوم الزفاف، فنجد أن العروس كانت تقوم بصبغ شعرها بالزعفران[7]، وتزيين يديها وقدميها بالحناء وكانت العادة أن تقوم كل عروس عند زفافها إلى زوجهـا بنقش يديها ورجليها، ويشترك معها من يرغب من أهلها وذويها، فيؤتى بالنقاشة قبل يـوم الزفاف وتباشر أولا بتنقيش العروس فتنقش يديها ورجليها وبعدها من يرغب من أهلها، فتـنقش أيديهـم فقط[8]، وتزين العروس عينيها بالكحل، أما ثوب الزفاف فكان بالنسبة للفئات

---

(١) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٥٠٤.

(٢) البوصيري، شرف الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد البوصيري، الديوان. تحقيق: سيد الكيلاني، القاهرة، ١٩٥٥، ص ١٠٨.

(٣) الشوار: الجهاز، وجمعه شور. دوزي، تكملة المعاجم، ج٦، ص ٣٧٦.

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ١٠٠-١٠١.

(٥) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٦٠١.

(٦) ابن ميسر، أخبار مصر، ص ٨٥.

(٧) الزعفران: له لون الحديد المؤكسد أو لون الكركم. دوزي، المرجع السابق، ج٥، ص ٣٢٩. أحمد، المرأة في مصر، ص ١٢٧

(٨) النقاشـة: هذه الحرفة من حرف النساء وهي التي تنقش أيدي وأرجل النساء، أما عن كيفية النقش: هوان تذاب كمية من الشمع العسـلي علـى النار مع اللبان الأسود، وتنقش به اليد عروقاً متنوعة، بواسطة قشة تغمس بذلك المذاب، وينقش بها، فيجمد على السيد بالحـال، وعقـب ذلك يوضع في تلك العروض معجون الحناء، وتلف الأيدي والأرجل بلفائف من قماش، ويزيلون الشمع واللـبان مع الحناء، فتظهر تلك العروق التي صبغت من الحناء بلون أحمر فيطلونها بـ"الغشوش": وهو مسحوق القلي والزرنيخ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغنية يصنع من الأقمشة الفاخرة الديباج أو الحرير أو الشرب[١]، وكانت العروس تضع على رأسها تاجاً مرصعاً بالجواهر، ولعل إعداد العروس بهذا الشكل كان يتم بالحمامات الخاصة[٢] أو حتى بالدور الخاصة بالأفراح وربما كان يخصص لهذا الغرض الجزء الذي يطلق عليه اسم "المجلى"[٣].

وكانت العروس تجلس في مكان الاحتفال على دكة عالية بمفردها بحيث تصل إليها أنظار الحاضرات وهي في أبهى زينة وأجمل ثياب، وقد التف حولها أفراد أسرتها والمدعوات، وكان هذا الحفل قاصراً على النساء[٤]، ومن جهة أخرى كان يخصص مكان آخر للزوج ومعه أصدقاؤه والمدعوون من الرجال للاحتفال، ومظاهر الفرحة تعم الاحتفال وتغني المغنيات وتعمل أنواع الملاهي والمضحكات والرقص وتوزع أنواع الحلوى والأطعمة على الحاضرين حسب مكانة صاحب الحفل وثرائه[٥].

وكانت احتفالات الخاصة تتضمن **إقامة الولائم** الكبيرة، التي يحضرها الأكابر والأمراء، ففي العصر الفاطمي، عندما زفت "السيدة العزيزية" إلى زوجها بلتكين التركي، صنع وليمة كبرى ذبح فيها عشرين ألف رأس ما بين كبش وخروف وجدي، بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الطيور منها الأوز والدجاج والفروج[٦]، كذلك في العصر الأيوبي فقد تضمنت الاحتفالات إقامة الولائم الكبرى، كالوليمة التي صنعها الملك الناصر عند زواجه من "ملكة خاتون" والتي حضرها الأكابر الذين قدموا مع موكب العروس وأكابر أمراء حلب[٧].

ويرافق هذه الاحتفالات توزيع الهدايا والهبات والخلع بمناسبة الزواج، فعند زواج ابني القاضي عبد العزيز بن النعمان، كان الاملاك في القصر بحضور الخليفة الحاكم بأمر الله، فخلع عليهما ثوبين مثقلين وستة عشر قطعة من الثياب الملفوفة[٨]. وفي العصر الأيوبي

والحناء البيضاء والفلفل والبهار، يمزجونها بأجزاء متساوية، فيدهن بها محل النقش مقدار ربع ساعة ثم يغسل، فيصبح ذلك اللون الأحمر أسود قاتم، قاموس الصناعات، ص ٤٨٧-٤٨٨.

(١) وقد ذكر ابن المعز ذلك في شعره فقال: (بحر الوافر)

كان الشمس فيه عروسُ خوفٍ ... تزفُّ إليهم في ثوبِ شربِ

- ابن المعز، ديوانه، ص٦٦.

- الحوف: المحمل أو الهودج.

(٢) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ١٩٩. انظر: *Lane- Pool, Cairo, P, 163-164.*

(٣) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ١٠٠.

(٤) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ١٠١.

(٥) *Lane -Pool, Op, Cit, P, 126.*

(٦) ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٧٠.

(٧) الحموي، تاريخ الواصلين، ص ٢٦٢.

(٨) الكندي، الولاة والقضاة، ص ٦٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عـندما تـزوج الملك العزيز ابنة الكامل، خلع الملك الكامل على القاضي وجميع أصحابه[١]، وعـند زواج الملـك الأشرف قدم له الملك الظاهر هدية تحوي مائة بقجة[٢] مع مائة مملوك، وخلع على أصحابه مائة وخمسين خلعة[٣].

وكـان الزوج يقدم لزوجته الهدايا الثمينة مما يؤكد احترام الرجل للمرأة في هذه الفترة، فعـندما تزوج الملك الظاهر من "ضيفة خاتون" وعند دخولها إليها، تقدم نحوها عدة خطوات واحـترمها احـتراماً عظيماً، وقدم لها هدية فيها خمسة عقود جوهر يبلغ ثمنها مائة وخمسين درهمـاً، وعصـابة جوهر لا نظير لها، وعشر قلائد عنبر مذهب وخمس قلائد بغير ذهب، ومائـة وسـتين قطعة من ذهب وفضة، وعشرين تختاً[٤] من ثياب وعشرين جارية وعشرة خدام[٥]. وتنثر خلال الاحتفالات الأموال من الذهب والفضة على العامة، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر ظافر الحداد يمدح أمير الجيوش بدر الجمالي بزواج ولده:

(بحر البسيط)

فتحـتَ للـناسِ أبـوابَ السـرورِ بـهِ ... فالعـرسُ فـي كـلِ قلبٍ غيرُ مختصرِ
لله ملـكُ وإمـلاكُ قـد اقـترنا ... إلـى السـعادةِ فـي أمـنٍ مـن الغـيرِ
نـثرتَ للـناسِ مـن عيـنٍ ومن ورقٍ ... فـيه فلـم يـبقَ مـنْ لـم يحظَ بالبَدرِ[٦]

وكـان الشعراء يلقون بقصائد شعرية للتهنئة في مثل هذه المناسبات، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله عمارة اليمني عند زفاف ابنة الصالح طلائع بن رزيك إلى الخليفة العاضد:

(بحر الكامل)

زارتْ قصـورَك بنـتُ قصـر لم تزلْ ... رحـبُ الفـناء بصـادرٍ أو وارد
فأسـلمْ أمـير المؤمنيـنِ ممـتعاً بالعزِ ... فـي ظـلِ الـبقاءِ الخـالدِ[٧]

وقال شرف الدين راجح الحلي يهنيء الملك الظاهر بالوصلة بينه وبين "ضيفة خاتون":

(بحر الطويل)

سـما قـدرٌ هـذا الـيوم عن موقف به ... نصـوغ حلـى النظم أو ننظمُ النثرَا[١]

---

(١) ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص ٦٦٥.

(٢) بقجـة: هـي الصـرة التـي تلـف بها الثياب أو المواد الأخرى كالنقود والأوراق. دوزي، تكملة المعاجم، ج١، ص ٣٩٥.

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص ١٨٤. الحموي، تاريخ الواصلين، ص ١٦٠.

(٤) تختاً: قماش يصان فيها الثياب. دوزي، تكملة المعاجم، ج٢، هامش(٧٦)، ص ٢٦.

(٥) ابن واصل، المصدر السابق، ج١، ص ٢١٤. الدوادار، الدر المطلوب، ج٧، ص ١٧٨.

(٦) العيـن الذهـب والـورق: الدراهـم المضروبة، والبدر جمع بدرة وهي كيس النقود. الحداد، ظافر، بن القاسم بن منصور بن عبدالله، الديوان. تحقيق: حسين نصار، دار مصر للطباعة، ١٩٦٩، ص ١٥٠.

(٧) عمارة اليمني، النكت العصرية، ص ١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراسيم الزواج عند أهل الذمة

ومراسيم الزواج هي: الخطبة، المهر، عقد الزواج، الجهاز والأفراح.

أمـــا الخطـــبة فـــإن الفتاة كانت تتزوج عند سن البلوغ، فالفتاة اليهودية حالما تصل إلى مـــرحلة الـــبلوغ والتي من المفترض أن تكون في سن الثانية عشرة وستة أشهر تكون حرة بالزواج ممن ترغب دون وصاية قانونية(٢).

وكانـــت الفتاة اليهودية تدلي بتصريح قانوني في عقد الزواج تثبت أنها بلغت "أي السن القانونـــية" وغالـــباً ما تقوم بمراقبتها امرأة يهودية متزوجة(٣). مع ملاحظة أن يكون العريس أيضاً قد بلغ الرشد(٤).

أمـــا عـــن الاختيار من الطرفين، فكان الاختيار يتم بواسطة الأسرة ويكون للأب الكلمة الأخيرة في إتمام الزواج والاتفاق على الكثير من الأمور الخاصة بالزواج ومنها المهر، وكلفة الزواج وهدية الخطوبة، ومحبس الأصبع(٥).

ولقـــد كان الأب في اختيار زوج لأبنته كالأمر من الله، وهي مسألة طبيعية ومن ثم فإن التشكيك في حكمته وأحقيته وصواب قراراته مهما كانت أمر آثم وغير صحيح(٦).

أمـــا فـــيما يـــتعلق بالمهـــر، فلقد وجد فيه اختلاف، وذلك راجع إلى مكانة العروسين الاجتماعـــية، فإن مهر المرأة اليهودية وكما جاء في وثائق الجنيزه، نجده بالنسبة للفئة الغنية يصـــل أحـــياناً إلـــى ألف دينار تقريباً، والطبقة المتوسطة إلى ثمانين دينار، أما الفئة الفقيرة، فيصل إلى دينارين أو خمسة أو أقل في بعض الأحيان(٧). ففي عام (٦٤٨هـــ/١٥٤١م). تزوج شـــماس قبطي من ابنة كاهن على مهر بلغ تسعون ديناراً(٨). وفي عام (٤٢٢هـــ/١٠٨٠م). وعـــندما تزوج داود بن دانيال بن العزاري الفتاة "جيفرت" قدم مهراً قيمته تسعمائة دينار(٩)، ويبدو أن هذا كان من الفئة الغنية في هذا المجتمع.

---

(١) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٣، ص ٢١٤.

(٢) *Goitein, a Mediterranean society, Vol, 3 , P, 71-72.*

(٣) *Ibid, P, 102*

(٤) *Ibid, P, 102*

(٥) *Ibid, P, 76, 79*

(٦) *Goitein, Op, Cit, Vol, 3, P, 79*

(٧) *Ibid, P, 38, 140, 74.*

(٨) *Ibid, P, 83*

(٩) *Goitein, a Mediterranean society, Vol,3, P,136*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الأمور المعتادة في الزواج عند اليهود تقديم "هدية" بالإضافة إلى قيمة المهر، وهي من الأمور اللازمة والواجبة في الزواج "هدية العرس الإجبارية"[١]، ففي إحدى عقود الزواج في القدس والتي يعود تاريخها إلى سنة (٤١٩هـ/١٠٢٨م). وعد العريس إضافة للخمسين قطعة ذهبية وهي قيمة المهر، تقديم هدية للعروس قيمتها أربعون ديناراً أو قطعة ذهبية تسلم للعروس حال عقد الزواج[٢].وكان هذا من الفئة المتوسطة. وفي أحد عقود الزواج الذي يعود إلى نفس التاريخ في مصر قدم العريس هدية زواج تتراوح قيمتها بين دينار إلى دينارين، ولا بد أن هذا كان في الفئة الفقيرة في هذا المجتمع[٣]، وفي وثيقة أخرى يعود تاريخها إلى سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م). وعد تاجر بتقديم هدية زواج قيمتها خمس وثلاثون ديناراً لابنة صانع الأقمشة[٤]، وفي وثيقة أخرى وعد العريس بتقديم هدية فورية قيمتها عشر دنانير[٥].

وكان من الأمور النادرة في عقود الزواج اليهودية تقسيط المهر كما هو الحال في العقود الإسلامية، أما هدية الزواج فكانت أحياناً تقدم على شكل أقساط. ففي عقد يعود تاريخه إلى سنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م) يعيد والد العروس لخطيب ابنته مبلغ عشرين ديناراً كان يمثل قسطاً أولياً من هدية بقيمة سبعين ديناراً[٦].

أما عقد الزواج اليهودي فيتضمن شروطاً تفرض على الزوج عند كتابة العقد منها أن يتعامل مع زوجته بكل صدق وإخلاص ومودة ومحبة وأن يتعهد أن لا يحزنها ولا يضطهدها وأن يدعها تلبس حسب العادات الشائعة لدى اليهود[٧]. وتتعهد الزوجة أن تكون زوجته ورفيقته وأن تخلص له وأن تدير شئون بيته بأمانة وتعامله بود واحترام وتخضع لأوامره[٨]. وأن الغالبية العظمى لعقود الزواج اليهودية ليس فيها إلى ما يشير إلى الله كما هو شائع في الوثائق الإسلامية، حيث أنها كانت ذات طابع مدني وليس ديني[٩]. وعقد الزواج لم يكن في الغالب مسألة يختص بها الشيوخ والقساوسة بل كانت مسألة علمانية ولم تكن الطقوس تجري في الكنيسة ولم يكن من الضروري حضور رجال الدين[١٠].

---

(١) *Ibid, P, 120*

(٢) *Goitein, Op, Cit, Vol,3, P, 51*

(٣) *Ibid, P, 51*

(٤) *Ibid, P, 53*

(٥) *Ibid, P, 53*

(٦) *Ibid, P, 120*

(٧) *Goitein, Op, Cit, Vol, 3, P, 50-51*

(٨) *Ibid, P, 50*

(٩) *Ibid, Op, 52-54*

(١٠) *Goitein, Op, Cit, Vol,3, P, 52-54*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكـــان العقد لا بد أن يتضمن الموافقة الأكيدة للعروس على الزواج[١]. واستناداً للقانون الـــيهودي فإن وجود شاهدين يكفي لعقد قانوني للزواج وأحياناً عدد الشهود يكون كبيراً وربما يعـــود ذلـــك إلى المكانة العالية والاجتماعية التي يتمتع بها أهل العرس، وتذكر الوثائق بأنه أحياناً يشهد بعض المسلمين على عقود الزواج اليهودية، ففي وثيقة زواج مؤرخة بعام (٩٤٨ هـــ/١٥٤٠م) وقع على العقد سبعة وسبعون شاهداً مسلماً[٢].

ومن الملاحظ في عقود الزواج عند أهل الذمة وجود "وثيقة التفويض" من كلا الطرفين، وهـــي تخـــتلف عـــن الولـــي في العقود الإسلامية، ولقد كانت كلمة "***Epitropos***" هي الكلمة المســـتخدمة فـــي كل عقود الزواج في وثائق الجينزا وهل تمثل وكيلاً يعينه كل من الطرفين لـــيكون ممـــثلاً له في العقد[٣]. وهناك المندوب اليهودي الذي تفوضه العروس لاستلام الهبة "هديـــة الزواج الاجبارية"[٤]. ويوقع على عقد الزواج أشخاص يطلق عليهم "***Shoshevan***" أي الاشبين وهو الرجل الأول المساعد للعريس في المراسم[٥].

أمـــا فيما يتعلق بالجهاز، فإن عقود الزواج اليهودية كانت ترفق بقوائم خاصة بالجهاز، ولـــم يكن لمثل هذه القوائم وجود بالعقود الخاصة بالمسلمات في أوراق البردي العربية. ففي عقود الزواج، تظهر كلمة "***Rahl***" التي تعني الأمتعة أو كلمة "***Jahaz***" وكلمة "***Shawar***" التي تعني الجهاز، ويشمل الجهاز الفراش والأمتعة والجواهر. وعند كتابة القائمة كان لا بد من أن يأتـــي بعـــض الـــرجال لتقسيم بنود الجهاز المختلفة لكل بند على حده، وكان لا بد أن يوافق العـــريس على هذا التقسيم لأنه بدون شك سوف يكون مسئولا عند حفظ هذا الجهاز، وخاصة الأشـــياء الثمينة، التي تتضمنها القائمة، وكانت هذه الموافقة تكتب في الوجه الأول من القائمة التي يكتب في أعلاها كلمة "***Taqwimor Estimation***" وتعني تقويم أو تقييم، أما الوجه الثاني مـــن القائمة فيحصى فيه البنود المختلفة للجهاز من ذهب وفضة وملابس[٦]. أما عن تكاليف الجهـــاز فكانت تدون في عقود الزواج على مسئولية الزوج. ويبدو أن قيمة الجهاز تضاعف حيث أنه كان تقليداً شائعاً في ذلك الوقت[٧]. ويرى غوانين أن عقود الزواج في القرن الخامس الهجـــري/الحـــادي عشر الميلادي والخاصة باليهوديات كانت تقدر بإسراف، وكانت المبالغ توضـــع مضـــاعفة لغرض المباهاة، كما أن أدوات السرير من وسائد ومفارش، كانت أثمانها

---

(١) *Ibid, P, 76*

(٢) *Ibid, P, 83*

(٣) *Goitein, Op, Cit, Vol, 3, P, 103*

(٤) *Ibid, P, 142*

(٥) *Ibid, P, 117*

(٦) *Goitein, Op, Cit, Vol, P, 124*

(٧) *Ibid, P, 127*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مبالغاً فيها، هذا إلى جانب أوعية الطعام المصنوعة من الذهب والفضة والملاعق والأبر وصناديق الحلي المطعمة باللؤلؤ والجواهر، ومع ذلك فإن هذا التقليد لم يكن شائعاً بصفة عامة على كل عقود الزواج في تلك الفترة[١]. وقد بلغ ثمن الجهاز مبلغاً يصل إلى خمسمائة دينار وأحياناً إلى ألف وخمسمائة ويبدو أن هذا المبلغ خاصاً بالطبقة الغنية[٢].

وعلى العموم فقد كان متوسط قيمة الجهاز في تلك الفترة خمسين ديناراً، كما أن أكثر العرائس كن يحضرن جهازاً يساوي في الغالب من ثمانين إلى مائة دينار[٣]. أما في الفئات الفقيرة، فكانت قوائم الجهاز قلما يوجد فيها ملابس حريرية وأدوات طعام مصنوعة من المعادن النفيسة[٤].

وتحتوي معظم وثائق الزواج خلال فترة دولة المماليك بعض الإشارات عن دخل وعمل الزوجة، وهذه الشروط كانت تخص المرأة العاملة، حيث تشترط المرأة العاملة الابقاء والاحتفاظ بمقتنياتها وبذلك كان يشترط أن تزود الزوجة نفسها بالملابس مما تكسب. وفي نهاية هذه الفترة صار من المعتاد والمألوف في عقد الزواج "تعود ملكية مقتنياتها للعريس ويلزم هو بكسوتها"[٥].

أما عن الأفراح والاحتفالات، فكان لا بد من الاتفاق على الترتيبات النهائية للزواج وتسليم محبس الزواج والأهم من ذلك إصدار شهادة الزواج من قبل الجهات المختصة[٦]. أما فيما يتعلق بنفقات العرس أو الفرح فالمتكفل بذلك هو العريس[٧]. أما موعد الفرح فكان يتفق على ميعاده عند الخطوبة وكان أحياناً يطلب التأجيل من الطرفين عند الموعد المحدد للحصول على الأموال اللازمة، وفي حالة الإخلال بشروط العقد الخاصة بموعد العرس من جانب العريس، يكون عندئذ مسئولا كأن يدفع للعروس نفقة عن كل يوم أجل فيها العرس، لأن العريس يكون مسئولا عن إعالة زوجته[٨]. وكان التوقيت المفضل لإقامة الأعراس، في شهور الربيع من مارس إلى مايو وشهور الخريف من سبتمبر إلى نوفمبر، ويوم الأربعاء بالنسبة لليهود هو اليوم المفضل لإقامة الأفراح[٩].

---

(١) أحمد، المرأة في مصر، ص ١٢٩.

(٢) *Goitein, Op, Cit, Vol, 3, P, 129-137*

(٣) *Goiteinm Op, Cit, Vol, 3, O, 129*

(٤) أحمد، المرأة في مصر، ص ١٢٩.

(٥) *Goitein, Op, Cit, Vol,3, P, 134*

(٦) *Ibid, Vol, 3, P, 70*

(٧) *Ibid, P, 77*

(٨) *Goitein, Op, Cit, Vol,3, P, 114*

(٩) *Ibid, P, 114*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

المرأة في عصر دولة المماليك

- حريم السلطان.
- المرأة والحياة العامة "دورها الاجتماعي والسياسي".
- زينة المرأة "اللباس والمصاغ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة في عصر دولة المماليك

اتصفت الحياة الاجتماعية في عصر دولة المماليك الذي يمتد (٦٤٨-٩٢٣هـ)(١٢٥٠-١٥١٧م) اتصفت الحياة الاجتماعية بأنها كانت حياة نشطة، مليئة بالحركة والحياة، والمماليك عاشوا طبقة أرستقراطية يحكمون البلاد ويتمتعون بالجزء الأكبر من خيراتها دون أن يحاولوا الامتزاج بأهلها[١]. وقد تمتعت المرأة في هذا العصر بقسط وافر من الاحترام سواء كان ذلك داخل طبقة المماليك أو عند سائر فئات السكان، فالمماليك نظروا إلى نسائهم نظرة تفيض بالإجلال والتقدير والاحترام، تجلى ذلك بالألقاب العديدة التي خصصت لهن، أو بالمهور العالية، أو بالمال والمتاع. وقد استطاعت المرأة في هذا العصر المساهمة بنصيب وافر في الحياة العامة، والمشاركة الفعالة في الحياتين العلمية والدينية وكذلك النفوذ الواسع في المجال السياسي.

حريم السلطان

يشار إليهن أيضاً باسم الستارة أو الستور أو الآدر الشريفة[٢]، وأنهن من كل الأجناس وأن أعدادهن كان كبيراً فالسلطان الناصر محمد بن قلاوون[٣] كان عنده ألف ومائتا وصيفة مولدة[٤]، أي حظايا غير زوجاته، ونساء أخريات للعمل في القصر، وقد كان السلطان وكبار المماليك يشترون أعداداً كبيرة من الجواري ويتخذون منهن الحظايا، إلاّ أن بعض السلاطين كان يكتفي بالزوجة الواحدة، ومنهم السلطان الأشرف اينال، وقد انفرد بذلك عن سائر الملوك والسلاطين[٥].

---

(١) عاشور، مصر والشام، ص ٢٦٩.

(٢) الآدر السلطانية: جمع دار، ويقصد بها مقر السلطان ومجالسه، ولعلها من الدور التي تبنى للزوجات الأربع. ابن شاهين، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك. تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٠٣. ابن فضل العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في مسالك الأمصار "دولة المماليك الأولى". تحقيق ودراسة: دوريتا كرافولسكي، المركز العربي الإسلامي، بيروت، ١٩٦٢، ص ٩٢. دهمان، معجم الألفاظ، ص ١٤.

(٣) السلطان الناصر: ولد سنة ٦٨٤هـ/١٢٥٠م تسلطن سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م، وتوفي سنة ٧٤١هـ-١٣٤٠. العيني، عقد الجمان، ج٣، ص ٢٢٢.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٦٢.

(٥) السلطان الأشرف إينال باي بن قجماس (٨٠٥-٨٠٩هـ)(١٤٠٢-١٤٠٦م) الاتابكي، المنهل الصافي، ج٣، ص ٢١٧. ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق: محمد مصطفى، دار فرانز شتايز، فيسبادن، ١٩٧٢، بيروت، القاهرة، ١٩٧٢، ج٣، ص ١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان على رأس حريم السلطان زوجاته الأربع اللاتي يسمين خوندات[١]، وكانت أقربهن للسلطان تسمى خوند الكبرى، وتليها الثانية إلى الرابعة، مما يدل على أنهن درجات فكان السلطان يخصص داراً فخمة لكل منهن، يحيط بها البساتين والأشجار والطيور والحيوانات الجميلة، حيث يقول ابن شاهين أن وصف بيوتهن يحتاج إلى مجلدات، وكان لبعضهن تخوت- أسرّة- مرصعة مذهبة ومفضضة، وأدوات لفرشها بشاخين[٢] مزركشة مرصعة، ومواعين من ذهب وفضة، وربما جهاز للإضاءة "منارة" من ذهب عليها جوهرة تضيء بالليل[٣]، وكان لهن رواتب تسمى رواتب الدور[٤]، وقد بلغ من غنى إحداهن أنها تركت بعد وفاتها أكثر من ستمائة ألف دينار[٥].

وبجانب هؤلاء توجد الحظايا أو من كن يعرفن بالسراري، بلغ عددهن أربعين، وأحياناً يتجاوز عددهن أكثر من ذلك بكثير[٦]، فالسلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ)(١٢٥٩-١٢٧٧م) وصل عدد جواريه إلى مائتي جارية[٧]، أما نائب الشام كراي المنصوري فقد كانت له أربع زوجات وثلاثون سرية أو حظية من جواريه[٨]، وحاكى الأمراء وكبار رجال الدولة السلاطين في الإكثار من شراء الجواري، فقد ذكر المقريزي أن مقدم الدولة ابن جابر كان له ثمانون جارية[٩]، أما قاضي القضاة محمد بن إبراهيم فقد كان له تسعمائة وخمسون سرية[١٠]، وكانت تقام لهن قاعات-أي أماكن خاصة- لا تقل في فخامتها عن دور الزوجات، أشهرها ما

---

(١) الخونـد: لفـظ فارسـي وأصـله "خُداونـد" ومعناه السيد أو الأمير، ويخاطب به الذكور والإناث وقد غلب استعماله في العالم الإسلامي كلقب عام بمعنى السيدة أو الأميرة، وقد استعمل هذا اللقب في عصر المماليك كلقب من ألقاب النساء، ولا يطلق إلا على زوجة السلطان. الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٢٨٠-٢٨٩. دهمان، معجم الألفاظ، ص ٧٠.

(٢) بشخانة: وتجمع على بشاخين، وهو لفظ فارسي معناه السرير، أو ناموسية السرير، أو غرفة النوم. دوزي، تكملة المعاجم، ج١ ، ص ٣٤٨.

(٣) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٢٤،١٠٣. ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ص ٩٢.

(٤) المقريـزي، الخطـط، ج٣، ص ١٢٤-١٢٥. انظر، ماجد عبد المنعم، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧، ج٢، ص ٥٧.

(٥) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ١٠٣.

(٦) ابن شاهين، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٧) بن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص

(٨) كـراي المنصـوري، الأمـير سيف الدين، نائب دمشق في سنة ٧١١هـ/١٣١١م. أقام في نيابة دمشق خمسة أشهر ونصف، فقبض عليه ونقل إلى القاهرة، وبقي محبوساً إلى أن توفي في سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م. الصفدي، الوافي بالوفيات. تحقيق: فرقد العجلـي الربعي، أبو الليث الزاهد الحموي، باعتناء: محمد عدنان البخيت، مصطفى الحياري، فرانز شتايز، شتوتكارت، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣، ج٢٤، ص ٣٣٢-٣٣٤.

(٩) ابن جابر: إبراهيم بن أبي بكر بن شداد بن صابر مقدم الدولة، أصله من الفلاحين، ترقى بالمناصب إلى أن صار من الأعيان، فحقد عليه الأمراء، توفي سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م. المقريزي، المقفى الكبير، ج١، ص ١١٤-١١٥.

(١٠) قاضـي القضـاة: محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن، ولد سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م، وولي القضاء بالديار المصرية سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م، وتوفي سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م. المقريزي، المقفى الكبير، ج٥، ص ٧٩-٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنـــي فـــي عهـــد الناصر محمد بن قلاوون، وسميت "السبع قاعات"[١]، وكان لكل واحدة من السراري حشم وخدم وجواري وطواشية[٢].

كذلـــك وجدت الجواري، اللاتي يقمن بأعمال الخدمة العادية لزوجات السلطان وسراريه وأحـــياناً بأعمال خاصة، فقد كان منهن من هي صاحبة وظيفة، حيث كن جملة مستكثرة من جمـــيع الأجـــناس، فوجـــد منهن مراضع ودادات[٣] للأطفال وبلانات، وهن من يقمن بحمام الـــزوجات والســـراري وتمشـــيطهن[٤]، وكـــان لهـــؤلاء الجواري مرتبات تسمى جوامك[٥] الجـــواري[٦]، وكان يشرف على خدمة الزوجات والسراري فئة الخصيان أو الطواشية، وقد حـــدد أربعـــة مـــنهم لكـــل زوجة من زوجات السلطان، أما عن عددهم للسراري فهو غير معروف[٧].

كذلـــك كانت الزوجات يملكن المماليك، الذين يسيرون في مواكبهن يحملون المشاعل[٨] والشـــموع والفوانيس[٩]، كما يوجد الخدم أو من يعرفون بخدم الستارة أي الحريم، وهم الذين يقومون بتصريف الأشغال، ويعملون كبوابين للحراسة، وسقايين لجلب الماء، وهناك الحوائج كاشية[١٠]، وهم الذين يقومون بأمور الطبخ وجلبها للنساء، وساقي خوند[١١]، وهو الذي يشرف علـــى تقديـــم الطعام لزوجة السلطان وسقي المشروب ونحو ذلك[١٢]، فكان على رأس هؤلاء جمـــيعاً موظـــف كبـــير من الطواشية هو زمام الآدر[١٣] والذين يطلق عليهم أيضاً الكنائية،

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٦٢.

(٢) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك ، ص ١٠٣.

(٣) الدادة: مربية الأطفال. دوزي، تكملة المعاجم، ج٤، ص ٢٦٨.

(٤) ابن شاهين، كشف الممالك،ص ١٠٣.

(٥) الجامكية: مفردها جامكي وتعني المرتب. ابن كنان، محمد بن عيسى، حدائق الياسمين في ذكر الخلفاء والسلاطين. تحقيق: عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، ١٩٩١، ص ١٠٩، هامش (١).

(٦) العســـقلاني، شـــيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب، مصر، ١٩٦٦، ط٢، ج٥، ص ١٣٠.

(٧) ابن شاهين، المصدر السابق، ص ١٠٣. انظر، ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ج٢، ص ٥٩

(٨) المشـــاعلية: وهـــم الذين يحملون مشعلاً يقيد بالنار بين يدي الأمراء والأميرات ليلاً. السبكي، الشيخ الإمام قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب، معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٠٩.

(٩) ابن شاهين، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(١٠) الحوائج كاشية: لفظة مكونة من "حوائج" العربية "وكاش" الفارسية، بمعنى القائم بها. دوزي، المرجع السابق، ج٣ ، ص ٣٦، ج٩، ص ١٦٤.

(١١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٧. ابن شاهين، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(١٢) ابن شاهين، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(١٣) أي الـــدور السلطانية، وصاحبها من أكبر الخدام، وهو المعبر عنه بالزمام. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٢. ابن كنان، حدائق الياسمين، ص ١٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووظيفـــته تســـمى الزمامية، ويبدو أن الجاندار[١] كان يحمي نساء السلطان جميعاً عن طريق فرقة خاصة تعرف باسم "الحرامانية" أي حماة الحريم[٢].

وقـــد عـــرف في هذا العصر نوعان من الجواري، السود والبيض، ومن السلاطين مثل الصالح إسماعيل من فضل السود على البيض[٣]، وتوقفت قيمة الجارية ومنزلتها عند صاحبها علـــى ما فيها من مميزات كحسن الطلعة وجمال الصوت أو غير ذلك من المؤهلات[٤]. وكان بالقاهرة في ذلك العصر أسواق لبيع الرقيق "كما تباع الأنعام والمواشي" ولكل سوق منها دلال يجيد عرض البضاعة والترويج لها، وإظهار محاسن الجارية[٥].

ومـــن الملاحـــظ أن الجـــواري عشن في قصور السلاطين ودور الأمراء وعلية القوم وغيرهم ممن مكنتهم ظروفهم الاجتماعية وأحوالهم الاقتصادية من اقتناء الحريم وعشن ضمن أفراد عائلة أسيادهن، يشاركن في شتى المناسبات الخاصة بعائلة السيد من أفراح وأحزان[٦]، فعـــندما قدم الأمير "ملكتمر الحجازي" من سجن الإسكندرية فإن زوجته خوند الحجازية تلقته بجواريهـــا وخدامهـــا، ومغانيها تضرب بالدفوف والشبابات فرحاً به، بينما كانت أختها وهي جارتهـــا وزوجـــة الأمير "قوصون"[٧]، في عويل وبكاء وصياح هي وجواريها وخدامها لأن زوجها قبض عليه وأرسل ليسجن في الإسكندرية[٨]، وعند مقتل السلطان الأشرف[٩] خليل فإن جواريـــه لبســـن الحداد وتذرعن بالسخام[١٠]، وطفن في الشوارع بالنواحات يقمن المآتم[١١]،

---

(١) الجـــاندار: صـــاحبها يســـتأذن علـــى دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان، ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٠-٢١.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٨٧.

(٣) الملك الناصر الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون، تولى السلطة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م، وتوفي سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص ٢١٩. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص ٤٢٥.

(٤) محمود، علي السيد، الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٨، ص ٢٤-٢٦.

(٥) عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١٣٣.

(٦) محمود، الجواري، ص ٣٠.

(٧) قوصـــون: الأمـــير سيف الدين قوصون، حضر مع الجماعة الذين أحضروا ابنة القان ازبك زوجة السلطان الناصر محمد بن قـــلاوون، فاشتراه السلطان وأصبح من خواصه وأمره وزوجه ابنته، وتزوج السلطان أخته، جعله السلطان وصياً على أولاده، تطلـــع إلـــى السلطنة فقبض عليه وقتل سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٣٨. المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦١٥.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٥٩٥.

(٩) الأشـــرف خليل: السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان المنصور تولى السلطنة سنة (٦٨٩-٦٩٣هـ)(١٢٩٠-١٢٩٣م). الصـــفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء: س، ديد رينغ، فرانز شتايز، ١٩٧٤، ط٢، ج٣، ص ٣٣٩. عبد الباسط بن خلـــيل بـــن شـــاهين، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين. تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، مكتبة الثقافة، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٨١.

(١٠) الســـخام: الفحم وسواد القدر، أي أن الجواري أكثرن من تلطيخ أذرعتهن بتلك المادة السوداء. ابن منظور، لسان العرب، م٢، ص ٢٨٣، م٨، ص ٩٣.

(١١) المقريزي، المقفى الكبير، ج٣، ص ٨٠٥، السلوك، ج١، ق٣، ص ٧٩٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وطبق على الجواري من قواعد العزلة والحجاب ما يطبق على باقي النساء الحرائر اللاتي في الحـــريم، والملاحظ أن الفئة الوحيدة التي أبيح لها غشيان بيوت الحريم هي فئة الطواشية لما لهم من وضع اجتماعي خاص[١].

وكثيراً ما تزوج السيد جاريته إلى جانب زوجته الحرة، فارتفعت بذلك إلى منزلة خوند الكـــبرى في القصر السلطاني، أي الزوجة الأثيرة لدى السلطان وذات المكانة الكبرى، ومثال ذلـــك ما يرويه الصفدي عن "طغاي" زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وأم ابنة الأمـــير آنوك، إذ كانت معه من جملة جواريه فاعتقها وتزوجها، وكانت بديعة الحسن باهرة الجمال، رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء الملوك الترك بمصر وتنعمت في ملاذ ما وصل سواها لمثله، ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها، ماتت في سنة (٧٤٩هـــ/١٣٤٨ م)[٢]، وفـــي ســـنة (٨٠٢هـــ/١٣٩٩م) تزوج السلطان الظاهر خشقدم[٣] من جاريته سورباي الجركســـية أم ابنته وجعلها خوند الكبرى صاحبة القاعة، توفيت سنة (٨٥٢هـــ/١٤٤٨م)[٤]. وفـــي ســـنة (٨٠٢هـــ/١٣٩٤م) توفيت الست الكبرى خوند شيرين زوجة السلطان الظاهرة بـــرقوق[٥]، وهـــي رومـــية الجـــنس من معتقات السلطان الملك الظاهر[٦]. وقد تزوج تزوج الأشرف برسباي "خوند جلبان" وكانت أمته فأعتقها وصيرها أكبر الخوندات، وكثيراً ما نسمع فـــي هذا العصر أن شخصاً اشترى جارية لخدمته فتحقد الجارية على سيدتها وتتملكها الغيرة وتعمـــد إلى قتلها حتى يخلو لها وجه سيدها[٧]، ففي أحداث سنة (٨٧٧هـــ/١٤٧٢م)، ذكر ابن إيـــاس بـــأن القاضي أمر بصلب جارية سوداء حتى الموت لأنها قتلت سيدتها[٨]، وعند وفاة "خونـــد شـــيرين" زوجة الملك الظاهر برقوق، قيل أنها سحرت وأتهمت جارية من جواريها

---

(١) عاشور، المجتمع المصري، ص ١٣٥.

(٢) الصـــفدي، أعـــيان العصر وأعوان النصر. تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عمشة، محمد موعد، محمود سالم، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨، ج٢، ص ٦٠٠.

(٣) الظاهـــر خشقدم: الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد خشقدم الناصري المؤيدي، حكم البلاد من سنة (٨٦٥-٨٧٢ هـــ)(١٤٦٠-١٤٦٧م). الشوكاني، للقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من القرن السابع، تحقيق: محمد بن يحيى زبارة اليمني، دار المعرفة، مصر، ١٩٢٩، ص ٢٤٢.

(٤) الســـخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت، ص ٢٤١. ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٤٣٥.

(٥) الظاهـــر برقوق: السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص الجركسي العثماني اليلغباوي، تسلم الســـلطنة مرتيـــن الأولى في سنة ٧٧٤هـــ/١٣٧٢م-٧٩١هـــ/١٣٨٨م، والثانية من سنة ٧٩٢-٨٠١هـــ/١٣٨٩-١٣٩٨م. المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ٦١٨-٦٢٠.

(٦) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٦٩.

(٧) عاشور، المجتمع المصري، ص ١٣٣.

(٨) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بذلك[1]، وفي حالات أخرى نسمع عن إحدى الجواري أنها كانت تحقد على سيدتها فعمدت إلى الانتقام منها في صورة ابنها الصغير مثال ذلك ما يرويه ابن إياس في حوادث سنة (٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م) أيام السلطان الأشرف برسباي[2]، من أنه في شهر صفر من هذه السنة "جرت حادثة غريبة وهي أن جارية رمت ابن ستها من الطابق إلى الخليج الناصري فغرق ومات، وكان سنه نحو ست سنوات، فعرضت الجارية على السلطان فدفعها إلى قاضي القضاة، فحكم بتغريقها في الخليج في المكان الذي رمت فيه الصبي"[3].

وجرت العادة في هذا العصر أنه إذا دخل السلطان أو الأمير الحمام صحبته بعض الجواري في الحمام[4]، وفيما عدا المتعة الجسدية اقتنى السلاطين والأمراء الجواري للغناء والطرب حتى أصبح من الأشياء المألوفة في عصر دولة المماليك أن يكون لكل ملك أو أمير جوقة مغاني كاملة من الجواري[5]، ويبدو أن عدد جوقة من هذه الجوقات كان يتراوح بين خمس عشرة جارية إلى عشر جواري، فالمؤرخ ابن إياس في حديثه عن السلطان المنصور يقول: وكان عنده جواري مغاني يزفون بالطارات عند الصباح وعند المساء، واستمروا بعده يعرفن بجوقة المنصور[6]، هكذا كانت حياة بلاط المماليك وجواريه وحريمه في هذه الفترة.

ونظر المماليك إلى نسائهم نظرة تفيض بالإجلال والتقدير تجلت في تلك الألقاب العديدة التي خصصت لهن، وعبارات التبجيل التي تبدو بوضوح في مكاتبات السلاطين لبناتهم وزوجاتهم وأخواتهم[7]، ومن هذه الألقاب:

- **الحجاب**: وهو من ألقاب النساء وكان يوصف بالمناعة فيقال:"الحجاب المنيع" وقد أطلق على السلطانة شجر الدر في دعاء الخطبة أثناء سلطنتها سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م[8]،

---

(١) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٦٩.

(٢) الأشرف برسباي: سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري، تولى السلطنة سنة (٨٢٥-٨٤١هـ)(١٤٢١-١٤٣٧م). ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٣، ص ٢٥٦. الملطي، نزهة الأساطين، ص ١٣١.

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٦٠.

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٢٠٥.

(٥) محمود، الجواري، ص ٧٦.

(٦) المنصور: السلطان الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، تولى السلطنة (٧٦٢-٧٦٤هـ)(١٣٦٠-١٣٦٢م)، وتوفي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م. ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٥١١.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٧، ص ١٦٦.

(٨) ابن كثير، عماد الدين أبي الفدا اسماعيل ابن عمر ابن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، دار السعادة، مصر، ١٩٦٦، ج ١٣، ص ١٩٦. ج١٣، ص ١٩٦. الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٢٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأطلقت ألقاب أخرى ومنها ما كان نقش على السكة "المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين"[١].

- **خوند:** وهو من الألقاب التي أطلقت على زوجات السلاطين، فقد ذكر ابن شاهين بشأن القاعات، أن القاعة الكبرى بالقلعة كانت برسم خوند الكبرى، وقاعة رمضان بها خوند الثانية، وقاعة المظفرية وبها خوند الثالثة ثم قاعة المعلقة وبها خوند الرابعة، وقاعة البربرية برسم السراري[٢]، وقد كان هذا اللقب من أكثر الألقاب شيوعاً في هذا العصر.

- **خاتون:** وقد كان شائعاً في العصر الأيوبي واستمر حتى هذا العصر، ومن الأمثلة عليه أنه أطلق على الخاتون بركة خان زوجة الملك الظاهر بيبرس[٣].

- **الست:** وقد أطلق على "حدق دادة" الملك الناصر محمد بن قلاوون، يقول ابن العسقلاني، أن السلطان جعل إليها أمر نسائه، فتحكمت بدار الناصر تحكماً عظيماً حتى صار لا يقال لها إلا "الست حدق"[٤]، وقد دخل هذا الفظ في تكوين بعض الألفاظ المركبة مثل "الست الجليلة" وأطلق على "بركة" أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين[٥]، أما "الست الكبرى" فقد أطلق على زوجة السلطان الملك الظاهر برقوق خوند شيرين[٦]، و"الست المصونة المحجبة" أطلق على خوند فاطمة زوجة الأشرف برسباي وكانت دينة تسعى إلى فعل الخير توفيت سنة (٨٢٧هـ/١٤٢٣م)[٧].

- **الستارة:** وهو لقب للمرأة الجليلة، وتكنى بها المرأة التي تنصب على بابها حجاباً، وينقسم إلى "الستارة الشريفة" "الستارة الكريمة" وهو بمعنى الستر والحجاب ومن ذلك أن إحدى بنات الظاهر بيبرس لقبت "بالدار العالية ذات الستر الرفيع، والحجاب المنيع"[٨].

ومن الألقاب أيضاً "الحجة الكبيرة" وأطلق على خوند بنت مكية زوجة الملك الناصر والتي توفيت سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٣م)[١]، ونذكر الألقاب كذلك "بركة الدولة"، و"بركة الملوك

---

(١) العيني، عقد الجمان، ج١، ص ٢٩. الكرمي، مرعي بن يوسف، نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين، مخطوط مصور من جامعة برنستون، مجموعة جارين ، رقم (٦٠٧)، الجامعة الأردنية، قسم المخطوطات، ميكروفلم رقم (١٥١)، ص ٧٢.

(٢) ابن شاهين، كشف الممالك، ص ٢٤.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٩٤.

(٤) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٨٧. المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤١٢.

(٥) بركة أم السلطان: وهي من الجواري، ولما أقيم ابنها في مملكة مصر، عظم شأنها، وكانت خيرة عفيفة ليا بر ومعروف كثير، حجت وتحدث الناس بحجتها سنين لما كان لها من الأفعال الكثيرة الخيرة فيها، توفيت سنة ٧٧٤ هـ/ م. المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٥٣٠-٥٣١.

(٦) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٦٩.

(٧) الصيرفي، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٣.

(٨) ابن شاهين، كشف الممالك، ص ١٠٣. الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣١٦-٣١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والسلاطين"، و"جلال النساء"، و"والجهة الكريمة"، و"الجهة الشريفة"، و"الجليلة"، و"الدار والدرة"، و"الشريفة"، و"العفيفة"، و"غصن الإسلام"، و"فرع الشجرة الزكية"، وغيرها الكثير[٢].

ولم تقتصر الألقاب في هذا العصر على أفراد الطبقة الحاكمة وإنما امتدت إلى العامة وأواسط النساء، وممن وصلن إلى درجة عالية من العلم، فقد أطلق على أم زينب فاطمة بنت عباس البغدادية، العالمة الفقيهة، الزاهدة، القانتة، سيدة نساء زمانها، الشيخة، وكانت وافرة العلم توفيت بمصر سنة (٧١٤هـ/١٣١٣م)[٣]، أما العالمة موفقية بنت عبد الوهاب المصرية المحدثة والعالمة فلقبت "ست الأجناس" توفيت سنة (٧٠١هـ/١٣٠١م)[٤]، ومن الألقاب الشائعة بكثرة "ست الفقهاء" وقد أطلق على أمة الرحمن ابنة إبراهيم الصالحية الحنبلية التي توفيت سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٥)م[٥]. ومنها "ست الوزراء" وأطلق على وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر الدمشقية المحدثة وغيرها[٦].

ولم يبخل سلاطين المماليك على نسائهم بالمال والمتاع قال ابن شاهين: حتى أننا لو أردنا وصف ملبوس كل منهن وتجمل بيوتهن لاحتجنا إلى شرح طويل[٧]، وقد خلفت زوجات السلاطين الثروات الكبيرة التي تحدثت عنها المصادر فقد ذكر الصفدي أن زوجة الملك محمود بن الصالح وهي ابنة الملك الأشرف موسى بن الملك العادل التي توفيت سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥م) كان لها الأملاك الكثيرة منها دار السعادة بدمشق والقاعات والمجالس وعدة قرى بدمشق وحوران، وهي التي باعت جميع أملاكها وأثبتوا عدم رشدها، وأن حالة البيع كانت سفيهة[٨]، وكان لوالدة المغيث صاحب الكرك حواصل بالبلاد تقدر بأربعة وعشرين ألف درهم[٩]، وقد ذكر المقريزي أن الست الجليلة خوند "أردوتكين" زوجة الملك الناصر محمد بن قلاوون، كانت من الخير على جانب عظيم، وخلفت أموالاً تخرج عن الحد في الكثرة[١٠]، وخلفت ألفاً من الرقيق ما بين جارية وخادم وذخائر وجواهر نفيسة، فأحاط الناصر على ذلك

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ١١٤.

(٢) عبد الرازق، المرأة في مصر، ص ١٦.

(٣) الذهبي، العبر، ج٤، ص ٤٠.

(٤) الذهبي، ذيول العبر في خبر من عبر. تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ص ٩١. العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٥، ص ١٥٦.

(٥) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٢٢١.

(٦) العسقلاني، المصدر السابق، ج٢، ص ٢٢٠-٢٢٠٣.

(٧) ابن شاهين، كشف الممالك، ص ١٠٣.

(٨) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٣، ص ٢٢٧. النويري، نهاية الأرب. تحقيق: الباز العريني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ج٣١، ص ١٤٧-١٤٨.

(٩) العيني، عقد الجمان، ج١، ص ٣٧٠.

(١٠) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٥٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلـــه، وصالح أخاها الخضر على تقدير مائة ألف درهم أي إرثه من أخته، وكانت موصوفة بالخير والجود، توفيت سنة (٧١٠هـ/١٣١٠م)[١]. أما خوند زهرة ابنة السلطان الناصر محمد بـــن قـــلاوون فقد خلفت ثروة طائلة من جملتها قبقاب مرصع بلغت قيمته أربعين ألف درهم ثمنها ألفا دينار مصرية[٢]. كما روى المقريزي في عام (٧٤٢هـ/١٣٤١م) أنه أبيع سراويل زوجـــة الأمـــير اقـــبغا الناصري عقب مصادرته بمائتي ألف درهم، أي عشرة آلاف دينار مصـــرية وخف وسرموزه وقبقاب بخمس وسبعين ألف درهم[٣]. أما "طغاي الخوندة الكبرى" زوجة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فقد خلفت ألف جارية وثمانين خادماً وأموالاً كثيرة جداً[٤]، وقد خلفت الست "خوند شقرا" بنت الملك الأمجد حسين بن الملك الناصر محمد بـــن قلاوون التي توفيت سنة (٨٠٤هـ/١٤٠١م)، "موجوداً كثيراً"[٥]، وقد ذكر السخاوي أن زينـــب زوجة السلطان إينال الوحيدة قد تزايدت ثروتها إلى حد لا ينحصر "حيث أنها حملت بعـــد انقضـــاء أيامهـــا إلى الظاهر خشقدم زيادة على خمسين ألف دينار ولا نسبة لذلك مما ادخـــرته"[٦]. ويروي أحد المعاصرين أن سورباي الجركسية زوجة الظاهر خشقدم خلفت من الحلي والحلل ما لا يوصف كثرة ومبلغ خمسين ألفا من الذهب الأشرفي[٧]، وقد ذكر ابن اياس أن خونـــد فاطمـــة كانت من مشاهير الخوندات في سعة المال وقد ظهر لها بعد وفاتها تركة حافلـــة[٨]، أما "خوند جلبان" زوجة الملك الأشرف برسباي، توفيت سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م).

---

(١) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٣٧٠.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٨١٤.

(٣) آقـــبغا الناصـــري: الأمير علاء الدين الاستادار، وكان من المقربين للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، تسلم عدة مناصـــب في الدولة، وكان ظالماً جباراً كثير الطمع، قتل سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م. المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٥٩٧. السلوك، ج٢، ق٣، ص ٧٩٤.

(٥) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ١٤٨.

(٦) زينـــب ابنة العلاء علي بن العالم بدر محمد الحنفي الماضي، وتعرف بابنة خاص بك، تزوجها الأشرف اينال في سنة ٨٢٥هـ/١٤٧١م بعد أخت لها ماتت تحته، لم يتزوج عليها ولا تسرى وكل أولاده منها، دفنت بتربة زوجها وقـــد قاربـــت الثمانيـــن سنة. السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. تحقيق وطبع: أوفست كونروغراميز، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ج١١، ص ٤٥.

(٧) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٢٤١.

- الديـــنار الأشرفي: نسبة إلى الأشرف برسباي التي ضربت في سنة ٨٣٨هـ/١٤٢٧م، والدينار الأشرفي يعادل مائتيـــن وخمســـة وثمانيـــن درهماً. انظر: المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٩٤٣-٩٤٤. الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ١٦١.

(٨) خونـــد فاطمة: ابنة العلائي علي بن خاص بك، وهي زوجة الملك الأشرف قايتباي ثم تزوجت بعده بالعادل طومان بـــاي، وقـــيل تزوجت بالأشرف قانصوه خمسمائة في الخفية، وجرى لها شدائد ومحسن في أواخر عمرها بسبب زواجها من قانصوه خمسمائة، توفيت سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م. ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٦٤-٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلفت من الأمتعة والأقمشة والملابس والنقد شيئاً كثيراً جداً، يقال يقرب من ستين ألف دينار[١]. ولم تقتصر حيازة الثروات على زوجات وأخوات السلاطين فالجواري أيضاً امتلكن الأموال الكثيرة، ومثال ذلك أن "أردباي" جارية الملك الأشرف التي توفيت سنة (٨٣٨هـ ١٤٣٤م). خلفت شيئاً كثيراً من القماش والحلي والثياب والأثاث والعقار[٢].

وقد اعتاد بعض سلاطين المماليك أن يستصحبوا معهم حريمهم في نزهاتهم وعندئذ تخرج حريم السلطان على الخيول في محفات الحرير وبثياب من الأطلس الملون وعلى رؤوسهن العصابات المرصعة بالجواهر واللآلىء ويحيط بهن سائر الأمراء والخدام والطواشية، وقد ذكر المقريزي أن السلطان الصالح إسماعيل كان إذا ركب إلى سرحة سرياقوس[٣] أو سرحة الأهرام، ركبت أمه في مائتي امرأة الاكاديش[٤] بثياب الأطلس ومتحلية بالجواهر واللآلىء، وتركب حظاياه الخيول العربية ويتسابقن ويلعبن بالأكرة[٥] وكانت لهن في المواسم والأعياد وأوقات النزه والفرح أمور من هذا[٦].

وإذا سمع السلطان بمرض إحدى زوجاته فإنه يزورها مراراً، وإذا وجد حالتها تستدعي تغيير الجو فإنه يسمح لها بالنزول إلى بولاق حتى تتمتع برؤية النيل "ويذهب عنها الوخم"[٧]، فعندما مرضت سورباي الجركسية حظية السلطان الظاهر خشقدم نقلت إلى الحجازية على شاطىء النيل من بولاق وأريد من ذلك تنزهها[٨]. وعندما يتم شفاؤها يحتفل بذلك احتفالاً عظيماً، فيتردد عليها أعيان الدولة من الأمراء والقضاة والأكابر والمباشرين للتهنئة، وتعمل

---

(١) السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص ١٧.

(٢) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ١٣٩.

(٣) سرياقوس: متنزه، أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م. وبنى فيها قصور ومنازل للأمراء، وغرس فيه بستاناً نقل إليه من دمشق سائر الأشجار التي تحمل الفواكه المختلفة الأنواع. المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٣٠.

(٤) الأكاديش: جميع اكديش، وهو لفظ فارسي الأصل معناه الإنسان أو الحيوان الذي يكون أبوه من جنس وأمه من جنس آخر، وقد استعمله المؤرخون في العربية للدلالة على الرجل الذي لا ينتسب إلى أصل واحد، وعلى الحصان غير الأصيل المستخدم غالباً في حمل الأثقال. المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، هامش(١)، ص ٧٠٣. دهمان، معجم الألفاظ، ص ١٩. دوزي، تكملة المعاجم، ج٩، ص ٤٨.

(٥) لعبة الكرة: البولو، شاعت لعبة الاكرة أو الكرة في عصر دولة المماليك، وأولع بها السلاطين والأمراء ومارسوها باعتبارها إحدى ألعاب الفروسية المشهورة، وعن نظام هذه اللعبة، انظر: غوانمه، يوسف درويش، تاريخ شرق الأردن في عصر دولة المماليك"القسم الحضاري"، وزار الثقافة، عمان، ١٩٧٩، ص ١٢٢-١٢٣.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٧٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٨٠. انظر:
Irowin, Robert, The Meddle Eastin The Middle Ages The Early Mamluk Sultanate (1250-1332). London and Sydney, 1986, P, 103.

(٧) ابن اياس، بدائع الزهر، ج٢، ص ٣٢٤.

(٨) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٢٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في النيل مراميي النفط ثم تعود خوند إلى بيتها بالقلعة في موكب كبير وحولها المشاعل والشموع والفوانيس تماماً كما حدث لخوند زينب عندما شفيت، وخرجت البنت من خدرها بسبب الفرحة وكانت ليلة الاحتفال بشفائها من الليالي المشهورة ثم طلعت إلى القلعة في محفة وحولها الخوندات ونساء الأمراء والستات والمباشرين حيث أقيم لها مهم أي فرح حافل بالقلعة[١].

وإذا خرجت زوجة السلطان أو أمه للحج، فإنه يجهزها جهازاً عظيماً فتخرج في موكب كبير وعليه العصائب السلطانية وتضرب الطبول حولها ويتبعها قطار[٢] من الجمال المحملة بكل أصناف الكماليات، ويأمر السلطان عدداً كبيراً من الأمراء بمصاحبتها في الطريق وقد وصف ابن اياس موكب خوند فاطمة زوجة السلطان الأشرف قايتباي عند خروجها سنة (٨٧٩هـ/١٤١٤م)، لأداء فريضة الحج فقال: "كان يوم خروجها إلى السفر يوماً مشهوداً وكان لها موكب حافل، فخرجت في محفة زركش برصافيات لؤلؤ مرصعة بلخش[٣] وفيروز، وخرج صحبتها أخت السلطان في محفة زركش ايضاً وخرج معها خمسون حملاً من المحاير المخمل الملون ومشت قدام محفتها بالرملة جميع أرباب الدولة وهم كاتب السر، وناظر الجيش، وناظر الخاص، وغير ذلك من المباشرين، ومشى الزمام، ومقدم المماليك، وأعيان الخدام بأيديهم العصى، وقدامها من الحداة أربعة منهم: إبراهيم بن الجندي المغني، وأبو الفوز الواعظ، وغير ذلك، فكان لها تجمل زائد قل أن يقع لأحد من الخوندات مثلها فعد ذلك من النوادر"[٤]، أما الخوندة الكبرى طغاي زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون فقد حج بها القاضي كريم الدين الكبير، وحمل لها البقول في محاير طين على ظهور الجمال، وأخذ لها الأبقار الحلابة، فسارت معها طول الطريق لأجل اللبن الطري وعمل الجبن، وكان يقلى لها الجبن في الغداء والعشاء، وكان القاضي كريم والأمراء، يترجلون عند النزول، ويمشون بين يدي محفتها، ويقبلون الأرض لها كما يفعلون مع السلطان[٥]. وفي سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م) خرجت زوجة السلطان قانصوه الغوري للحج، وقد ذكر ابن اياس أن محفتها كانت غاية في الحسن، وقيل صنعوا لخوند حماماً من صفائح النحاس وداخلها أحواض النحاس، غلايات

---

(١) ابن اياس، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٢٤.

(٢) قطار: مجموعة من الإبل والخيل والبغال، وجمعها قطر. الرازي، مختار الصحاح، لفظ قطر، ص ٤٢.

(٣) بلخش: نوع من الياقوت. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ٩٠، هامش(٤). دهمان، معجم الألفاظ، ص ٣٧.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٠٤.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٥٩٧. الصفدي، أعيان النصر وأعوان النصر. تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عمشة، محمد وعد، محمود سالم أحمد، دار الفكر، بيروت، دمشق، ١٩٩٨، ج٢، ص ٦٠١. انظر: *Waddy, Charis, Women in the Muslim History, London ad New York, 1980, P, 103.*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصـــب مـــنها ماء ساخن، فعد ذلك من النوادر، وقيل أن مصروف هذه المحفة فوق العشرين ألـــف دينار، ولما سار الموكب كان فيه ألف جمل ما بين زاد وقرب ماء وغير ذلك[١]، وعند عـــودة الحاجـــة إلى مصر بعد أداء شعائر الحج يخرج السلطان لاستقبالها، ويحتفل بقدومها احتفالاً كبيراً ويسرع الأمراء بتقديم الهدايا الثمينة إليها، فعندما عادت الخوند بركة أم السلطان الملـــك الأشـــرف شـــعبان مـــن الحج سنة (٧٧٠هـــ/١٣٦٨م)، خرج السلطان بعساكره إلى لقائهـــا[٢]، وفـــي سنة (٨٦٢هـــ/١٤٥٧م) عندما عادت خوند زينب من الحج، كان لها يوماً مشهوداً، وموكب حافل، ولاقتها الأمراء وأرباب الدولة، إذ مشى الأمراء أمام محفة خوند حتى دخلـــت إلى بركة الحاج، ثم طلعت إلى القلعة هي وأولادها وحمل فيروز الزمام على رأسها القـــبة والطير[٣] وفرشت لها الأرض حرير، ونثر على رأسها خفائف الذهب والفضة وأسرع الأمـــراء بـــتقديم الهدايا لها من ذلك أن الجمالي يوسف ناظر الخاص[٤]، أهداها قندورة مثلث ذهـــباً ولؤلـــؤاً وريشـــاً تقدر قيمتها بما يزيد على اثني عشر ألف دينار، هذا خارجاً عن بقية التقادم لها ولأولادها لكل منهم تقدمة على انفراد، وقيل أنه أنفق في هذه الحركة نحو مائة ألف ديـــنار ما بين تقادم، وأسمطة[٥] وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى بقية التقادم من معظم الأمراء وأصـــحاب الوظائف الأخرى[٦]، وعندما عادت زوجة السلطان قانصوه الغوري من الحجاز خرج جميع الأمراء والقضاة الأربعة وأعيان الناس لاستقبالها[٧]. هذا فضلاً عن الهدايا والتقادم والاحترام الذي كانت تنعم به زوجات السلاطين عند وصولهن إلى مكة، فيذكر ابن اياس، أنه عندما وصلت خوند زوجة السلطان قانصوه إلى مكة، أرسل إليها السيد الشريف بركات أمير

---

(١) انظر: ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤١٠-٤١١.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٥٣١.

(٣) القبة والطير: من الآلات الملوكية التي تظهر في المواكب والاحتفالات، وهي المظلة ويقال لها أيضاً: الجتر، وهي قـــبة مـــن حريـــر أصفر مزركش بالذهب، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس الملك أو الســـلطان، علـــى رأس رمح بيد أمير يكون راكباً بحذاء الملك يظله بها حالة الركوب من الشمس، واعتبرت من علامات السلطنة. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، هامش(٢)، ص ٤.

(٤) ناظر الخاص: الذي ينظر في الأموال الخاصة بالسلطان. دهمان، معظم الألفاظ، ص ١٥٠.

(٥) السماط: في الأصل قطعة من الجلد تفرش على الأرض يوضع فوقها صحن الطعام، ثم أصبحت الكلمة تطلق على وجـــبة الطعـــام الذي يقدم في وليمة أو غير ذلك، ويقال عمل سماطاً كما يقال سماط السلطان أو سماط العيد أي الطعام الذي يقدمه السلطان في المواسم والأعياد. دوزي، المرجع السابق، ج٦، ص ١٤٦. دهمان، معجم الألفاظ، ص ٩٢.

(٦) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٣١٤-٣٤٤.

(٧) ابن اياس، المصدر السابق، ج٤، ص ٤٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مكـــة التقادم الحافلة ما بين ذهب وقماش ورقيق وغير ذلك، وقيل أنها لما دخلت مكة حملت محفتها على أكتاف جماعة الشريف بركات من باب المعلة إلى باب السلام[١].

وعـــندما تحمل إحدى زوجات السلطان، فإنه يركز كل آماله في أن يكون المولود ذكراً "يحـــي به ذكره، ويشرح له صدره، ويرث الملك بعده"[٢]، فإذا تم له ما يتمناه احتفل بالمولود احـــتفالاً كبيراً، كما تكرم أم المولود تكريماً كبيراً، فعندما ولدت "خوند قطلوملك" ابنة الأمير تـــنكز نائب الشام، الملك الصالح بن محمد بن قلاوون سنة (٧٣٨هـــ/١٣٣٧م) سر السلطان بولادتـــه ســـروراً كبيراً، وعمل لأمه بشخاناة ودار بيت[٣]، وغير ذلك من المساند والستور، وأطـــباق الذهـــب والفضة ما يزيد مصروفه على مائة وأربعين ألف دينار مصرية، وأقيمت الأفـــراح لولادتـــه سبعة أيام بلياليها، وعمل لها السلطان كسوة، ثوب حرير أطلس مزركش برصعات فيها قطع بلخش ولؤلؤ وياقوت بلغت تكلفتها مائة واثنتي عشر ألف دينار مصرية، وبلغ مصروف هذا المهم خمسمائة ألف دينار[٤]، وفي سنة (٩٠٥هـــ/١٤٩٩م) جاء للسلطان قانصـــوه أبو سعيد[٥] ولد ذكر من زوجته "جان كلدي" الجركسية، فلما كان يوم سابعه اجتمع ســـائر الخوندات ونساء الأعيان بالقلعة، وكان مهماً حافلاً، وحمل الزمام جوهر المعيني القبة والطـــير علـــى رأس خونـــد، وفرشت لها الشقق الحرير، ونثرت على رأسها خفائف الذهب والفضـــة وكـــان لهـــا بالقلعة يوماً مشهوداً[٦]، أما "اردكجك" التترية فقد عظمت منزلتها عند الســـلطان الناصـــر، حتى أعطاها لما ولدت عصبة جوهر بخمسين ألف دينار[٧]، أما الأمير ســـيف الديـــن الناصري الذي توفي سنة (٧٣١هـــ/١٣٣٠م) فقد ذكر الصفدي أنه كان يحب زوجـــته محبة مفرطة، وينفق عليها نفقة عظيمة، وأخذت منه يوماً إذناً لتنزل إلى البحر مدة ثمانية أيام فأعطاها لكل يوم مبلغ ألفي درهم، وباعت هي من قماشها شيئاً بعشرة آلاف درهم، وطلعت إلى القلعة قبل الميعاد بيومين، وقالت فرغت النفقة[٨].

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٣٣.

(٢) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص ١٦٥.

(٣) دار بيت: أرانك تصف حول جدران الغرفة. رواشدة، آمنة محمود سليمان، حيوات المرأة في الدولة المملوكية في عصر الشام (٦٤٨-٩٢٣هـــ) (١٢٥٠-١٥١٧)، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٧، ص ٨٣، هامش (٧)

(٤) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٥)قانصـــوه أبـــو ســـعيد: الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه بن قانصوه الأشرفي، تولى السلطنة من سنة (٩٠٤-٩٠٥هـــ)(١٤٩٨-١٤٩٩م). ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٠٤.

(٦)ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٢٦.قانصوه أبو سعيد: الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه بن قانصوه الأشرفي، تولى السلطنة من سنة (٩٠٤-٩٠٥هـــ)(١٤٩٨-١٤٩٩م). ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٤٠٤.

(٧) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٣٧٠.

(٨) الصفدي، أعيان العصر، ج٣، ص ٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن مظاهر التكريم والاحترام للمرأة لم تقتصر فقط على حياتها بل كثيراً ما امتد إلى بعد مماتها وانتقالها إلى العالم الآخر، إذ تشير المصادر أنه عند وفاة خوند فاطمة زوجة الملك الأشرف برسباي سنة (٨٢٧هـ/١٤٧٣م) تأسف السلطان عليها وحزن حزناً شديداً، وحضر جنازتها جميع الأعيان، ومشى الخليفة والقضاة والأمراء والحكام والأحفاد وسائر من في البلد في جنازتها، وأمر السلطان القراء بقراءة القرآن، وعمل الطعام في المطبخ واستمر ذلك مدة ستة أيام[١]، وعندما توفيت خوند مغل زوج السلطان الظاهر جقمق[٢] سنة (٨٧٦هـ/١٤٧١م) كان لها جنازة حافلة جداً، مشى فيها الأعيان من الأمراء وغيرهم وصلى عليها السلطان والقضاة[٣]، وعندما توفيت "شيرين" أم الملك الناصر فرج سنة (٨٠٢هـ/١٣٩٩م) كانت جنازتها مشهودة[٤]، ولما توفيت "خوند فاطمة" زوجة الملك الأشرف قايتباي في سنة (٩٠٩ هـ/١٥٠٣م) أخرجت في بشخانة زركش ومشت قدامها القضاة الأربعة والأمراء المقدمون، ونزل السلطان وصلى عليها، وكان لها جنازة حافلة[٥].

وقد كانت المرأة في مصر والشام في عصر دولة المماليك تتمتع بقسط وافر من حريتها، وكانت تمارس هذه الحرية بالطريقة التي كانت تعتقد أنها أفضل بالنسبة لها[٦]، ومن ذلك مثلاً، أن ابنة الخواجا شمس الدين الشويكي شكت إلى النائب بأن زوجها بدر الدين الشويكي عنين وإنها بكر، وطلبت منه التفريق بينهما، وقد كان بوسعها اللجوء إلى القضاء، لكن علمها بأن الحكم الشرعي في حالتها هو إمهال زوجها سنة كاملة، جعلها تتجاوزه إلى النائب ولم تكتف بذلك بل اصطحبت جماعة لاقناع النائب الذي وافق على طلبها[٧]. وتزوج جمال الدين ابن طولون امرأة يبدو أنها كانت معجبة بغيره، وهو نائب القلعة[٨]، فتعاديا لأجلها، فما وسع ابن طولون إلا تطليقها فتزوجها الأخير، وعندما سافر إلى القاهرة خانته مع

---

(١) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٨٢٧.

(٢) الظاهر جقمق: الملك الظاهر سيف الدين أبي سعيد محمد جقمق العلائي الظاهري، تولى السلطنة (٨٤٢-٨٧٥هـ) (١٤٣٨-١٤٧٠م). ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ١٩٨. الملطي، نزهة الأساطين، ص ١٣٤.

(٣) الصيرفي، أنباء الهصر بأبناء العصر. تحقيق: حسين حبشي، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٤٢٦.

(٤) ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي، تاريخه (٧٧٩-٨٥١هـ) (١٣٧٧-١٤٤٨م). تحقيق: عدنان درويش، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٩٧، مج٤، ج٤، ص ١٢٦.

(٥) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٦٤.

(٦) العلبي، أكرم حسن، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، دمشق، ١٩٨٢، ص ١١٤.

(٧) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان"تاريخ مصر والشام". تحقيق: محمد مصطفى، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٢، ج١، ص ١٣٤. انظر: العلبي، دمشق، ص ١١٥.

(٨) نائب القلعة: إحدى الوظائف الهامة في الدولة المملوكية، وعلى صاحبها حفظ القلعة وصيانتها، والتيقظ على المحبوسين فيها وله الأمر في فتح باب القلعة عند حضور السلطان وإغلاقه عند مغادرته، وتفقد أسوارها ومنافذها. بن كنان، حدائق الياسمين، ص ١٢٧-١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبسبب غضبه على الأمير نوروز الحافظي[1]، بجمع القضاة وطلق أخته خوند سارة من الأمير نوروز، وزوجها للأمير مقبل الرومي –على كره منها بعد أن هددها بالقتل– بعقد ملفق من قضاة الجاه[2] والشوكة[3].

وتعرضت بعض النساء في هذا العصر للمصادرة، كما حدث لخوند زينب زوجة السلطان ايـنال، صادرها الظاهر خشقدم اكثر من مرة وأخذ منها جملة مال[4]، ومنها أن السلطان الظاهر قانصوه أبو سعيد صادر "خوند فاطمة" زوجة الملك الأشرف قايتباي وأخذ منها مالاً، ووكل بها جماعة من الخدام مما اضطرها إلى بيع جهازها وجميع ما تملك حتى دفعت ما قرر عليها، وكذلك صادرها الملك الناصر وأخذ منها جملة مال[5]، وفعل مثل ذلك مع أختها زوجة آقبردي الدوادار[6]، فرسم عليها بالقلعة وقرر عليها مالاً له صورة، فأقامت في الترسيم حتى أوردت ما قرر عليها[7]. كذلك يشير ابن اياس إلى ما حدث لرئيسة المغاني "هيفة اللذيذة"، التي رافعها بعض أعدائها بأن لها دائرة كبيرة من المال فقبض السلطان قانصوه الغوري عليها، وأقامت في الترسيم، وعرضت للضرب غير مرة، وقرر عليها خمسة آلاف دينار، فباعت الحلي وجميع ما تملكه وأوردت ألف دينار، وتكلم لها القاضي بركات موسى بأنها لا تملك غير ذلك، فقرر عليها بعد ذلك خمسمائة دينار ترد في كل شهر مائة دينار. مما دفع ابن اياس إلى أن يقول أن السلطان صادر حتى المغاني أيضاً "والأمر لله"[8]، وقد أشار أيضاً إلى أن الأمير خاير بك الخازندار[9] عندما توفي ترك ثروة كبيرة من المعادن والجواهر والفصوص والماس والياقوت والتحف والملابس ما قوم بالاف الدنانير، وظهر عنده بشاخين

---

(١) نوروز الحافظي: الأمير الحافظي الظاهري برقوق من المقربين للسلطان، استمر يتنقل في الفتن ضد السلطان إلى أن توفي سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م. وكان سفاكاً للدماء جباراً ظالماً، عارفاً بالحروب وتميز بالدهاء. السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص ٢٠٤.

(٢) المراد بهم القضاة الذين يتمثلون لرغبات السلطان خوفاً من شوكته أو طمعاً في الجاه ويعبر عنهم أيضاً بفقهاء السلاطين. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ٩١، هامش (١).

(٣) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ٩١.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٥٧.

(٥) ابن اياس، المصدر السابق، ج٤، ص ٦٥.

(٦) الدوادار: وظيفته تبليغ الرسائل عند السلطان، وإبلاغ عامة الأمور وتقديم القصص إليه والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف وتقديم البريد. السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ١٣١. السبكي، معيد النعم، ص ٢٧.

(٧) ابن اياس، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٢٧.

(٨) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٨٥.

(٩) الخازندار: هو لقب للمتحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك وهو مركب من "خزانة" وهو ما يخزن فيه المال، وكلمة دار معناها ممسك، والمقصود ممسك الخزانة. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢١ . السبكي، معيد النعم، ص ٢٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زركش وأشياء من ثياب النساء وحليهن ما لا يحصى، وسبب ذلك أنه استولى على ستة عشر من تركات الخوندات والستات وغير ذلك ممن توفين في دولة السلطان قانصوه الغوري[١].

وتشير بعض المصادر إلى أن الجواري لم يكن بمعزل عن الأذى والامتهان، هذا ويروى أن السلطان حاجي ابن السلطان الأشرف شعبان أكثر من إيذاء جواريه حتى أنه إذا ما ضرب إحدى جواريه، فإن ضربه لها يتجاوز الخمسمائة عصا[٢]، كذلك حدث في الفتنة بين منطاش[٣] والظاهر برقوق سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م) أن أمر منطاش بالقبض على أخوات الملك الظاهر وأخذهن حاسرات ومعهن جواريهن يسحبن في شوارع القاهرة في قوارع الطرقات، وهن في بكاء وعويل حتى أبكين كل الناس[٤].

المرأة والحياة العامة

اسهمت المراة في الحياة العامة بمصر والشام في عصر دولة المماليك وهو بلا شك نصيب كبير، وحسبنا أن نشير أن السخاوي أفرد جزءاً كاملاً من كتابه "الضوء اللامع" ذكر فيها ما يزيد عن الألف ترجمة كلها لنساء توفين في القرن التاسع الهجري ولمعظمين نصيب كبير في الحياة العامة في ذلك القرن[٥].

فكان للمرأة دور ونفوذ سياسي أحياناً من خلاله تدخلت في شئون الحكم وشاركت في توجيه سياسة الدولة نذكر في هذا المجال "شجر الدر" إذ استطاعت أن تنقذ البلاد وتدبر شئونها في فترة من أحرج فترات التاريخ المصري، فضلاً عن أنها تولت عرش الديار المصرية وقضت فيه ثمانين يوماً، برهنت خلالها على كياسة وذكاء وافر[٦]، ونسمع عن بعض السلاطين والحكام الذين استسلموا لزوجاتهم، كالسلطان إينال حتى كان لا اختيار له معها إذ كانت زوجته خوند زينب من نفوذ الكلمة ووفور الحرمة في الدولة وطواعية السلطان لأوامرها، حتى صارت تدبر أمور المملكة من ولاية وعزل[٧]. و"خوند جلبان" زوجة السلطان

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤٠٥.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٥٠٥. الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص ١٨٧.

(٣) منطاش: اسمه تمربغا الافضلي الأشرفي ولقبه منطاش، وكان من أمراء الأشرف شعبان، تنقل بالمناصب إلى أن ولي نيابة السلطنة في سنة (٧٨٨هـ/١٣٨٦م)، وقد أعلن العصيان والتمرد على الظاهر برقوق في دمشق، وحدثت بينهم معارك كثيرة، إلى أن هزمه السلطان. العسقلاني، أبناء الغمر، ج٢، ص ٢٥٣.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٣٠٤. الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٢٨٢.

(٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٢.

(٦) انظر: العيني، عقد الجمان، ج١، ص ٢٩،٣٤. الكرمي، نزهة الناظرين، ص ٧٢-٧٣. ابن حبيب، درة الأسلاك، ج١، ص ٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٩٥.

(٧) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٥٦. السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص ٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأشرف برسباي التي توفيت سنة (٨٣٩هـ/١٤٣٥م)، وكان السلطان منقاداً لما تقول مطيعاً سامعاً لما تأمر به لا يمكنه أن يطأ حتى جارية من جواريه إلا خفية عنها، وعظمت حرمتها في الدولة وقصدها الناس لقضاء حوائجهم، وصارت هي صاحبة الحل والعقد حتى بالغ بعض من قال:"صار أمر مصر وحكمها معذوقين بخصي وامرأة" يعني جوهر الخازندار وخوند جلبان[١]، وقد تدخلت نساء السلاطين والأمراء في الإصلاح بينهم، فيروي المقريزي أن السلطان الكامل شعبان قصد في سنة (٧٤٧هـ/١٣٤٦م) أخذ أموال الطواشي كافور الهندي، فشفعت فيه خوند طغاي أرملة السلطان الناصر محمد بن قلاوون فاكتفى السلطان بإخراجه إلى القدس[٢]، أما "كنجشب" وهي من الخواتين الكبار، فقد كان الأمير تتكز نائب الشام يبالغ في تعظيمها ويكرم قصادها ومن يكون من جهتها أو يأتي بكتاب منها[٣]، ولم يقتصر التدخل في شؤون الحكم على زوجات السلاطين والخوندات، إذ كثيراً ما نسمع أن جارية أحد السلاطين أو محظيته قد تسبب في رفع الظلم عن أحد التجار، كما يحدثنا المقريزي في أحداث سنة (٧٣٧هـ/١٣٣٦م) عن كيفية تطرف بعض الولاة في مصادرة التجار وإنزال المظالم بهم، فقام عدة من الأمراء ليشفعوا للتجار ولكن السلطان لم يسمع لأحد منهم قولاً حتى قامت ست حدق دادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ومربيته في رفع الظلم عن التجار، عندئذ استمع السلطان لرجائها ونفذ رغبتها فوراً[٤]، وكثيراً ما نقرأ في بعض المصادر أن زوجة أحد السلاطين أو جاريته تسببت في إلغاء مكس من المكوس، كما قال العسقلاني عن طغاي زوج الناصر محمد:"وبسببها أبطل الناصر عن مكة المكس الذي كان يؤخذ على القمح"[٥]، وعندما أدرك المعاصرون سلطة النساء ونفوذهن صاروا يوسطونهن لقضاء حوائجهم "فصارت الاقطاعات والرزق والوظائف لا تقضى إلا بالخدام والنساء"[٦]. وقد ذكر السخاوي عن علم البلقيني أنه توصل إلى منصبه عن طريق زوجته لمزيد اختصاصها بخوند الكبرى[٧].

---

(١) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص ٨٣٩.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٧٠٦.

(٣) كنجشب: من الخواتين الكبار، وكانت تعلم الأمير تتكز بأخبار القوم ومتجدداتهم وما يدور بينهم، وكانت تجهز إليه كل سنة ملابس كاملة مزركشة ملبسة بالذهب، وكان الأمير تعجبه مثل هذه الكماليات ويلازم لبسها لما فيها من الظرافة وحسن الصناعة. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص ٣٧٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤١٢.

(٥) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٢٢٢.

(٦)المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٧٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٨٠. المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٧٩.

(٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد شاركت المرأة في **الحياتين العلمية والدينية**، إذ يسجل التاريخ أسماء العديدات ممن اشتغلن بالنحو ونظم الشعر من أمثال: خديجة بنت يوسف، قرأت أكثر من مقدمة في النحو، وجودت الخط وتوفيت سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م)[١]. أما من اشتغلن بالفقه والحديث فعددهن لا يحصى حيث دأبت الكثير منهن على التنقل بين مصر والشام للسماع من كبار المحدثين والعلماء ويكفي أن نشير هنا إلى أم زينب فاطمة بنت عباس شيخة رباط البغدادية التي لقبها المقريزي "سيدة نساء زمانها" وقال إنها فقيهة وافرة العلم زاهدة قانعة باليسير عابدة واعظة، حريصة على النفع والتذكير، وانتفع بعلمها كثير من نساء دمشق ومصر، وكان لها قبول زائد ووقع في النفوس[٢]. كذلك اشتهر بعضهن في الحديث بصحيح البخاري، كخديجة بنت محمد بن عبد المنعم المرائي التي توفيت في سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م)[٣]، وجويرية بنت أحمد بن الحسين بن موسى التي توفيت في مصر في سنة (٧٨٣هـ/١٣٨١م)[٤]، وكثير من كبار العلماء والفقهاء سمعوا من بعض المسندات الشهيرات اللاتي أجزن لهم، ومنهن زينب بنت مكي بن كامل المسندة الرحالة، أجازت لابن رشد سنة (٦٨٤هـ/١٢٨٥م)[٥]، ومنهن أسماء بنت صصري الدمشقية، أجازت للصفدي وكتب عنها بإذنها توفيت سنة (٧٣٣هـ/١٣٣٢م)[٦]، ومنهن شهدة بنت الصاحب كمال الدين بن العديم توفيت بحلب سنة (٧٠٩هـ/١٣٠٩م)، وذكر الذهبي أنه سمع منها[٧]، وزينب بنت إبراهيم بن محمد الشنوهي توفيت سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م) وسمع منها السخاوي[٨].

وسلكت بعض النساء في عصر المماليك طريق التصوف فلبسن الخرق كما يلبسها المتصوفة من الرجال وأطلق عليهن "اسم الشيخات أو الفقيرات"[٩]، وكان غالبيتهن من بين الأرامل والمطلقات اللاتي أقمن في الأربطة والخانقاوات لما اشتهرت به من شدة الضبط وغاية الاحتراز والمواظبة على وظائف العبادات[١٠]. ومنهن عائشة الباعونية بنت يوسف بن

---

(١) الذهبي، العبر، ج٣، ص ٣٨٩.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦٠٢.

(٣) ابن القاضي، أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال. تحقيق: محمد الأحمدي ابو النور، دار التراث، القاهرة، تونس، ١٩٧٠، ج١، ص ٢٦٣.

(٤) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص ٨١.

(٥) ابن القاضي، ذيل الوفيات، ج١، ص ٢٧٨.

(٦) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٩، ص ٨.

(٧) اليافعي، مرآة الجنان، ج٤، ص ١٨٦.

(٨) كحالة، أعلام النساء، ج٢، ص ٤٦.

(٩) العسقلاني، أبناء الغمر، ج٩، ص ٢٠.

(١٠) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحمد الدمشقية والتي توفيت سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م). وأجيزت بالإفتاء والتدريس وألفت عدة كتب في الشعر والتصوف وتنقلت كثيرا بين دمشق والقاهرة[١].

ولم يقتصر نصيب المرأة في الحياة العامة على الاشتغال بالفقه والحديث وغيرهما، بل شاركت أيضاً مشاركة فعالة في كل ما يتعلق بالحياة اليومية ساعية إلى كسب قوت يومها إلى جانب الرجل، ويوجد بعض الاشارات الخاصة بتلك الفترة إلى العديد من النساء ممن قمن بدور الخاطبة التي لعبت دوراً هاماً في أغلب مشاريع الزواج في عصر سلاطين المماليك[٢]، والمراضع والدادات اللاتي كن يشرفن على تربية أولاد وبنات السلاطين والأمراء في القصور السلطانية[٣]، ونذكر الماشطة التي كانت تقوم بتجميل النساء والسيدات في الحمامات العامة، والنقاشة التي كانت تقوم بنقش أيدي وأرجل النساء بالحناء ليلة الزفاف[٤]، ومن الوظائف التي كانت قاصرة على النساء الداية أو "القابلة" وهي امرأة متمرسة ذات خبرة تقوم بمساعدة الأمهات على الولادة[٥] أو ممرضة[٦]، ومن الوظائف أيضاً النائحة[٧]، والغاسلة للمرأة المتوفاة[٨]، ومن المهن التي كانت تكسب من ورائها المرأة المال صناعة الغزل[٩].

ووجد في هذا العصر البغايا اللاتي كن يسمين بنات الخطأ والخواطىء[١٠]، وقد كثر عددهن في الديار المصرية والشامية في عصر سلاطين المماليك، وكان لهن لباس خاص يعرفن به، وهو لبس الملاءات والطرح وفي أرجلهن سراميل من أديم أحمر[١١]، وقد انتشر البغاء حتى وقفت البغايا بالأسواق تحت أعين المارة لطلب الفاحشة[١٢]، وقد حاول السلطان الظاهر بيبرس أن يحد من البغاء في البلاد فأبطل المكوس المقررة عليهن ومنع البغايا في القاهرة وسائر البلاد[١٣]، وفي سنة (٨٢٢هـ/١٤١٦م) تتبع حيدر الدين العجمي محتسب

---

(١) الغزي، الشيخ نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة. تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق، بيروت،١٩٧٣، ط٢، ج١، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) عاشور، المجتمع المصري، ص ١١٩.

(٣) ابن شاهين، كشف الممالك، ص ١٠٣.

(٤) القاسمي، قاموس الصناعات، ج٢، ص ٤٨٧.

(٥) *Goiten, Op, Cit, VI, P 127.*

(٦) *Waddy, Charis, Women in Muslim History, London and New York, 1980, P 105.*

(٧) *Willam Lane, Edward, Arabian Society in the Middle Ages New Jersey, London, 1987, P 152.*

(٨) *Goiten, Op, Cit, Vol. I, P. 129.*

(٩) *Ibid, Vol.I, P. 127.*

(١٠) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ١٩١،٣٠٣.

(١١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٥٨٤.

(١٢) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص ٤٨٦.

(١٣)النويري، نهاية الأرب. تحقيق: عمر عبد الهادي شعيروا، محمد مصطفى زيادة، مركز تحقيق التراث، ١٩٩٠، ج٣٠، ص ١٦٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٥٤.. السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٢١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاهرة أماكن الفساد بنفسه، وكف البغايا الوقوف في الأسواق[١]. وفي سنة (٩١٥هـ/١٥٠٩ م) أمـر السلطان قانصوه الغوري بإلقاء القبض على امرأة تسمى "أنس" وكانت قبيحة السيرة تجمـع عندها بنات الخطأ، وساكنة بالأزبكية، فرسم السلطان بتغريقها ويقال أنها فدت نفسها بخمسمائة دينار ورسم بنفيها[٢]. ومنهن أيضاً "خوزقة" أكبر بنت خطأ في دمشق وتعرف باسم "جان سوار" وكانت تتعرض بين الفينة والأخرى إلى حملات تأديبية من النائب وحكومته[٣].

ولا بـد من الإشارة إلى تلك الطبقة من النساء ممن اشتغلن بفن الموسيقى والغناء، ومن مغنـيات عصـر دولة المماليك نذكر "خوبي"[٤] العوادة التي اشتراها بكتمر الساقي[٥] بعشرة آلاف دينـار مصرية، وكانت مغنية فائقة في ضرب العود وقيل أنه لم يدخل مصر مثلها في الغناء وضرب العود نظير[٦].

اللباس والمصاغ

وتجـدر الاشارة إلى ادوات الزينة الخاصة بالمراة في عصر دولة المماليك، والواقع أن المـرأة في هذا العصر تفننت في مختلف الوسائل التي تظهر جمالها وفتنتها حتى إذا أرادت إحداهـن الخروج تنظفت وتزينت ونظرت إلى أحسن ما عندها من الثياب والحلي فلبسته[٧]، ولم تقتصر النساء على تخضيب أياديهن بالحناء بل اعتدن أيضاً طلاء أظافرهن بطلاء أحمر اللـون اسـترعى نظـر بعض الرحالة الأجانب، هذا خلاف الوشم الذي اعتادت كثيرات من

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص ٤٨٦.

(٢) ابن اياس، المصدر السابق، ج٤، ص ١٩١.

(٣) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص ٢٢٠.

(٤) خوبـي العـوادة: مغنية فائقة في ضرب العود، اشتراها بكتمر الساقي، ولما بلغها أنه مات بطريق الحجاز كسرت عودهـا، باعهـا السلطان الناصر لبشتاك بستة آلاف دينار فدخلت عليه ومعها من الأمتعة الكثير، فلم تحظ عنده ويقال أنه زوجها لبعض مماليكه توفيت سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م. العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص ١٨٤.

(٥) بكـتمر السـاقي: الأمـير سيف الدين بكتمر الساقي الحاجب، من أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون، عينه السـلطان نائـباً لصفد وأنعم عليه بمائة ألف درهم، وكان من الأمراء المقربين جداً للسلطان، ومن جملة الأمراء الذيـن يجلسـون إذا تكلـم السلطان، تزوج ابنة الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك وعمر لها داراً ظاهر باب النصـر فـي القاهـرة وعمر بجانبها مدرسة سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٦م. الصفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء: جاكلين سوبلة، علي عمارة، فرانز شتايز، فيسبادن، ١٩٧٣، ج١٠، ص ١٩٠.

(٦) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص ١٨٤.

(٧) العبدري، أبي عبدالله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها. تحقيق: توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥، ج٣، ص ١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"الماشـــطة" التـــي كانت مهمتها تزيين الوجه بكافة الطرق والوسائل، وذلك بتزيين الحواجب والعيون بالكحل، وتبخير الكعوب بالبخور المخلوط بالمسك والعنبر، وتخضيب الأيدي بالحناء، حـــتى تـــبدو المرأة عند مغادرتها الحمام في أجمل زينة وأكمل هيئة[١]، وقد اعتدن أن يأخذن معهن الحناء والسدر[٢] والأشنان، ودقيق الترمس وغيرها، كما أن الموسرات منهن اعتدن أخذ بقـــج الديباج والأواني النفيسة والأطعمة المنوعة والفواكه، لأنهن وكما ذكرنا كن ينظرن إلى الخروج من البيت على أنه سبيلهن للنزهة والترويح عن النفس[٣].

أمـــا زينة الشعر، فيشير الشعراء إلى إشارات خاطفة إلى بعض ما كان يتفنن فيه نساء هـــذا العصر من جعل شعورهن على هيئة خاصة، فقد كان منهن من تفرق شعرها من فوق الجبين، وتظفره عدة ظفائر واضعة بعضها فوق بعض، وقد ترخي هذه الظفائر خلفهن، وكان بعضهن يسدلن خصلاً من الشعر على خدودهن تنساب هفهافة على غير نظام، وكان بعضهن يجعلـــن هـــذه الخصلات تستدير حول الخد على هيئة العقرب لذلك كثر حديث الشعراء عن الشعر المعقرب، وعن عقارب الأصداغ التي تحمي ورود الخد[٤]، والى ذلك يشير سيف الدين المشد في قوله:

(بحر الوافر)

يبلـــــبلُ شـــــعرُه عقلـــــي إذا مـــــا تبلـــبلَ حـــولَ صـــدغيه الحســـانُ[٥]

وقد استخدمت المرأة في تزيين الشعر "الفصادية" وهي شريط تجمع به النساء شعرها مع بعضها البعض، أي تربط به الجدايل وكان يصنع من الحرير ومطرز بألوان مختلفة[٦].

وقد استخدمت المرأة أدوات تجميل مختلفة منها الأمشاط، التي كانت تستخدم في تصفيف شعر الرأس، ووجد في مصر أناس متخصصون بصناعة الأمشاط وبيعها، وقد اشتهروا بذلك، فقد ذكر السخاوي أن محمداً ومحموداً ابني أحمد بن حسن الحنفيان، كان جدهما لأمهما يبيعها ولذلـــك ســـمي الامشـــاطي، وممن كان يصنعها أو يعملها عبد الغني بن أحمد السكندري[٧]،

---

(١) عبد الرازق، المرأة في مصر، ص ١٥١.

(٢) السدر: نوع من شجر الكرز المصري ذو ثمر طيب لذيد. دوزي، تكملة المعاجم، ج٦، ص ٥٠.

(٣) العلبي، دمشق، ص ١٢٣.

(٤) انظر: أمين، فوزي محمد، أدب العصر المملوكي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٣١٢-٣١٣.

(٥) ابـــن المشـــد، ســـيف الديـــن علي بن عمر بن قزل، ديوان سيف الدين المشد. تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٥٥.

(٦) صالحية، محمد عيسى، من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية، حوليات كلية الآداب، الحولية السادسة، جامعة الكويت، ١٩٨٥، ص ٢٦.

(٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحدثنا المقريزي عن أماكن بيعها وذلك في سوق خاص يسمى "سوق الامشاطين"[١]، ومن أدوات التجميل المرايا المعدنية والبرونزية المزخرفة[٢]، والنرجسية بحاملها النحاسي[٣]، ومنها المكاحل صنعت من مواد مختلفة كالزجاج والخشب والفضة والنحاس وتكون بأشكال مختلفة[٤].

وقد اهتمت المرأة في عصر المماليك بالتزيين بالحلي والمجوهرات وعمدت دولة المماليك إلى العناية ببيع الحلي وإقامة الأسواق الخاصة بها مثل "سوق القفيصات" ويباع فيه "الطرائف من الخواتيم والفصوص وأساور النسوان وخلاخيلهن"[٥].

وعرف في هذا العصر الكثير من أنواع الحلي، فقد كانت أصابع النساء تزين "بخواتم" معظمها مصنوعة من الذهب أو الفضة، وتضاف إليها الفصوص الملونة أو فصوص العقيق[٦]، وكانت الخواتم تلبس لمجرد التحلي والزينة كما أنها استخدمت رمزاً للخطبة أو علامة للنفوذ والسلطان[٧]، وقد استخدمت نساء العصر أنواعاً من الأساور لتزيين اليد، وأبسط أنواعها ما كان على شكل حلقة معدنية تستدير أو تلف حول المعصم ويسهل تحركها وتكون هذه الحلقة مغلقة أو يمكن فتحها وغلقها حسب رغبة المرأة، وقد تكون من السلك المجدول، وقد اتخذت الأسورة عدة أشكال ينتهي طرفاها برؤوس حيوانية مختلفة[٨]، وهناك نوع من الأساور هو "الغوايش" الزجاجية الملونة والتي كانت بمثابة أساور نساء العامة من السكان[٩]، وقد استخدمت المرأة الأقراط لزينة الأذن، ويتخذ القرط عادة شكل حلقة بسيطة أو دلاية صغيرة تحلى بقطعة من الأحجار الكريمة الصغيرة[١٠]، وقد اعتادت النساء أن يثقبن أذانهن لتزيينها بهذه الأحجار، وتراوح عدد هذه الثقوب من بين ثمان وعشرة ثقوب[١١]، وقد جاء في النجوم الزاهرة وفي أحداث سنة (٨١٤هـ/١٤١١م) عندما قام السلطان الناصر فرج بن

---

(١) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٥٨٧.

(٢) عبد الرازق، المرجع السابق، ص ١٦٢-١٦٣.

(٣) صالحية، وثائق الحرم، ص ٣٣.

(٤) عبد الرازق، المرجع السابق، ص ١٦٤. صالحية، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٥٨٦.

(٦) صالحية، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٧) بلال، الملابس، ص ٧٢.

(٨) بلال، المرجع السابق، ص ٧٣. صالحية، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٩) عبد الرازق، المرأة في مصر، ص ١٦٩.

(١٠) بلال، المرجع السابق، ص ٧٣.

(١١) عبد الرازق، المرجع السابق، ص ١٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

برقوق بقتل زوجته "خوند بنت صرق"[١]، وقطع رأسها كانت يوم ذاك تزين أذنيها بحلق بلخش[٢] هائلة[٣]، ولبست المرأة أيضاً "الدلاية" وتعتبر من أجمل أدوات الزينة وقطع الحلي، وتتخذ أشكالاً كثيرة ورائعة ومنها ما يتألف من آية قرآنية أو عبارة دعائية، أو أشكال حيوانية، وهي أنواع وقد تثبت فيها الأحجار الكريمة[٤]، واستخدمت هذه الدلايات المرأة الفلاحة، فكانت الدلاية الخاصة بها تتألف من سلاسل فضية تعلق على الأصداغ وترخى إلى الصدر ويجعل في آخرها جلاجل من فضة وبرق ونحو ذلك[٥]. ومما يذكر أن المرأة في هذا العصر أكثرت من لبس القلائد من العنبر، وكانت القلادة التي تصنع من العنبر تسمى العنبرية[٦]، أو بقلائد مصنوعة من البلور أو الحجارة الكريمة كالعقيق أو الجزع أو الذهب أو اللؤلؤ، وقد اقتنت المرأة سلاسل من خرز البلور أو خرز الكارب أو من الذهب[٧]. كذلك اتخذت نساء الفلاحين خلاخيل من النحاس أو الحديد المطلي بالقصدير[٨]. وهناك نوع آخر من الزينة تلبس مع الطواقي أو العصائب وتسمى "الكلابند" ومعناها لباس الرقبة، أو كوفية تلبسها النساء على رؤوسهن وتربط تحت الذقن، وتطلق أيضاً على حلي ذهبية تلبس حول الرقبة، ولعلها مشتقة من الكلبدون العباسية التي هي مثل الطرحة التي تلبس مع العمامة وتكون من مطروق الذهب أو الفضة[٩].

ومن الملابس الداخلية التي ارتدتها المرأة في هذا العصر:

١- المئزر: وهو نوع من السراويل التي كانت تصل إلى الركبتين ويعتبر ثوباً داخلياً[١٠].

---

(١) خوند بنت صرق: زوج السلطان الملك الناصر فرج، طلقها وهجرها، ثم وشى إليه أنها اتصلت بشهاب الدين الطبلاوي، وأن أثاثه وحواتجه عندها، وإنه صنع سرداباً يتوصل منه إليها، ولما تحقق السلطان من ذلك، طلبها ففرحت ولبست أحسن ما عندها ظناً منها أن السلطان رضي عنها، فلما وقفت بين يديه وجدته في السكر فعاتبها وهددها، وأراد ضربها بالسيف فهربت منه، فسقطت وأمر الخدام بقطع رأسها، وأمر بإحضار شهاب الدين وضرب عنقه في الحال وماتت سنة ٨١٤هـ/١٤١١م. الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٢٠١.

(٢)بلخش: نوع من الياقوت. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، هامش(٤)، ص ٩٠.

(٣)ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٣، ص ٩١.

(٤) بلال، الملابس، ص ٧٤.

(٥)عبد الرازق، المرأة في مصر، ص ١٦٧.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٥٦٦.

(٧) صالحية، وثائق الحرم، ص ٣١.

(٨) عبد الرازق، المرجع السابق، ص ١٧١.

(٩) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٩٩. السلوك، ج٢، ق٢، ص ٩٨. صالحية، المرجع السابق، ص ٣٢.

(١٠) عاشور، المجتمع المصري، ص ٦٦. دوزي، تكملة المعاجم، ج١، ص ١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- **السراويل:** وهي من الملابس الداخلية للمرأة منذ فجر الإسلام، وقد لبستها المرأة في هذا العصر[١]، وشاع أيضاً استعمال النساء لنوع من السراويل الطويلة بدليل ما رواه بعض المؤرخين عند إشارتهم إلى مقتل شجر الدر أولي سلاطين هذه الدولة التي عثر عليها في أحد الخـنادق ولـيس عليها سوى سراويل شد وسطها بواسطة تكة "استولى عليها بعض أرذال العامة"[٢]، وما ذكره المقريزي من أن السلطان الظاهر بيبرس قد قطع أيدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين؛ لأنه رأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأة وعراها سروالها[٣]، وكما روي أنه في سنة (٧٤٢/١٣٤١م) بيع سراويل زوجة آقبغا بن عبد الواحد عقب مصادرته بمائتي ألـف درهـم فضة ما يعادل عشرة آلاف دينار مصرية[٤]، وأشار أيضاً المؤرخ ابن تغري بردي أنه عثر لدى الوزير شمس الدين موسى علي ما يزيد عن أربعمائة سروال كانت ملكاً لزوجـته[٥]، وهذا يؤكد مدى شيوع هذا الزي في هذا العصر إلى درجة أن أطلق عليها في أواخر هذا العصر اسم "الباس"[٦].

٣- **القميص:** وجرت العادة أن ترتدي النساء فوق هذه السراويل قمصاناً ترى من تحت ملابسهن الفوقية وكان ذلك سبباً في غضب أولي الأمر في دولة المماليك. فقد حدث في سنة (٧٥١هـ/١٣٥٠م)، أثناء وزارة الأمير منجك[٧] أن وجد نوعاً خاصاً من القمصان انتشرت موضته انتشاراً واسعاً بين النساء وأطلق عليه اسم "البهطلة" وكان له ذيل طويل ينسدل على الأرض وأكمـام واسعة يبلغ اتساعها ثلاثة أذرع ومبلغ مصروفها ألف درهم فما فوق، فقام الوزيـر منجك في إبطالها، ونادى في مصر والشام بمنع النساء من لبس هذه القمصان وهدد بأنـه مـتى وجـدت امرأة عليها شيئاً، مما منع أخرق بها وأخذ ما عليها[٨]، ثم طلب والي القاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء وأخذ ما عليهن، وبعث أعوانه إلى بيوت أرباب الملهى - حيث كان كثير من النساء- فهجموا عليهن وأخذوا ما عندهن من ذلك، وأغلقوا دكاكين باعة

---

(١) بلال، الملابس، ص ٦٩.

(٢) المقريزي، السلوك، ج١، ص ٤٠٤. ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٩٢.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٥٦٤.

(٤) اقبغا عبد الواحد: أحد أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان من المقربين للسلطان وتولى عدة مناصب توفي سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م. المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٨٨.

(٦) ماير، الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٢، ص ١٢٥.

(٧) مـنجك: الأمـير سيف الدين منجك اليوسفي، من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، أسندت إليه الوزارة في القاهرة، وتمكن في الدولة، توفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م. العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٥، ص ١٣٠-١٣١.

(٨) المقريـزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٨١٠. ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص ١٩٣. السخاوي، الذيل التام على دول الإسـلام للذهبي. تحقيق: حسن اسماعيل مروة، دار العروبة، الكويت، دار ابن العماد، بيروت، ١٩٩٢، ج(٧٤٥-٨٥٠هـ)، ص ٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملابس النسائية وأخذوا ما فيها من قمصان النساء وقطعها الأمير منجك، ووكل مماليكه بالشوارع والطرقات فقطعوا أكمام النساء ويروى المؤرخون كيف اشتد الأمر على النساء، وكيف تم القبض على عدة منهن وكيف أخذت قمصانهن، بل إن الوزير منجك ذهب إلى إقامة أخشاب على سور أبواب القاهرة وعلق عليها تماثيل معمولة على صور النساء وعليهن القمصان الطوال، يقصد إرهابهن وتخويفهن فانقطعت النساء عن الخروج إلى الأسواق وكان إذا عثر على واحدة منهن كشف عن ثيابها في الحال[١]، إلا أن هذا التحريم لم يستمر طويلا وعادت النساء من جديد إلى ارتداء هذا النوع من القمصان ذات الأكمام الواسعة، وكانت النساء قد بالغن في سعة القمصان حتى كان القميص الواحد يفصل من اثنتين وتسعين ذراعاً من البندقي الذي عرضه ثلاثة أذرع ونصف، فيكون مساحة القميص زيادة على ثلثمائة وعشرين ذراعاً، مما اضطر الأمير كمشبغا[٢] نائب الغيبة[٣] سنة (٧٩٣هـ/١٣٩١م) أن ينتهز فرصة غياب الظاهر برقوق من الديار المصرية، وينادي بالقاهرة أن تلبس المرأة قميصاً واسعاً، بحيث لا يزيد تفصيل القميص على أربعة عشر ذراعاً، وندب الأمير كمشبغا جماعة نزلوا إلى الأسواق والشوارع، وقطعوا أكمام النساء الواسعة، فامتنعت النساء عن ذلك مدة نيابة الأمير كمشبغا إلا إنهن عدن إلى ذلك بعد عودة السلطان من بلاد الشام[٤]، إذ أن المؤرخ ابن تغري بردي ظل يشاهد هذه الأقمصة وقد اتخذت اسماً جديداً عرفت باسم "القمصان الكمشبغاوية" ووصفها بأنها كانت ذات أكمام واسعة كالقمصان التي يرتديها العربان[٥]، والى جانب هذا النوع من القمصان الواسعة والطويلة استخدمت النساء نوعاً آخر من القمصان القصيرة التي أطلق عليها اسم "قنادير"، وقد عاب العبدري على نساء مصر البدعة التي أحدثنها في قمصانهن من جعلها ضيقة وقصيرة تصل إلى الركبة أحياناً[٦]، أما عن أشكال القمصان: منها ما يكون على شكل لباس بفتحة عنق دائرية وبدون فتحة أمامية، وقد اختلفت أطواله باختلاف رغبات الناس، وكذلك الأكمام التي تتراوح بين الاتساع

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ص ٨١٠، الخطط، ج٣، ص ٣٣٢.ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص ١٩٣.

(٢) كمشبغا: الأمير كمشبغا عبد الواحد الحموي، تولى نيابة دمشق في سنة ٨٠٠هـ/ ، وتوفي سنة ٨٠١هـ/ م. العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص ٧٨.

(٣) نائب الغيبة: من أهم الوظائف وأرفعها، ويقال لنائبها نائب السلطنة، ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل، أو كافل الممالك السلطانية، وهو يحكم في كل ما يحكم به السلطان، وله صلاحيات في التواقيع، وينوب عن السلطان في غيبته. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٨.

(٤)ابن قاضي شهبة، تاريخه، ج٣، ص ٣٨٥.المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص ٧٥٠-٧٥١. العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص ٧٥. السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ٣٠٨.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٢٧.

(٦)العبدري، المدخل، ج٣، ص ١٧٤. بلال، الملابس، ص ٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والضيق، فالاتساع يوحي بالغنى، وبعض النساء كن يطرزن قمصانهن وبعضهن الآخر بدون تطريز، وهناك أنواع منها ذات أكمام قصيرة منسوجة من القطن والحرير[١].

٤- **الأصدرة:** من الملابس الداخلية للنساء وهو عبارة عن قميص صغير يلبس تحت الثوب، وهو صدار تلبسه الجارية[٢].

٥- **التكة:** استخدمت النساء في عصر المماليك التكة لتثبت السراويل والتكة عبارة عن رباط نفيس، وكانت الجواري والراقصات يتخذن التكك المنوعة من الابرسيم وتزخرف بأبيات الشعر، وكانت تكك الجواري لا تختفي داخل السروال ولكنها تربط بحيث تبدو ظاهرة[٣].

٦- **الدرع:** نوع من الملابس الداخلية، وهو عبارة عن القميص وله كمان وبخياطة من الجانبين، ومن الملابس الداخلية أيضاً الغلالة وكانت من الملابس الشفافة وهو ثوب يلبس تحت الثوب ويلي القميص[٤].

وفوق هذه الملابس الداخلية ارتدت المرأة:

١- **الثوب:** ويعتبر أكثر جزءاً مألوفاً من الملابس، وقد صنع قصيراً وبأكمام واسعة[٥]، وهو بصفة عامة رداء واسع وفضفاض[٦].

٢- **الملاءة:** من الملابس الخارجية التي استعملتها النساء في عصر المماليك وكانت تصنع من القماش القطني المخطط أو على هيئة مربعات أو على هيئة خطوط مائلة[٧].

٣- **الإزار:** رداء واسع تلتف به النساء ويغطي الأرداف والعورة. وقد استعمل للرجال والنساء، وقد غلب اللون الأبيض أو الأخضر المتخذ من قماش الجوخ على ازر النساء[٨]. وتحدثنا بعض المصادر التاريخية أن هذه الازر كانت تصنع في بداية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي من الحرير، فقد روي أن نساء هذا العصر قد أحدثن الازار الذي يساوي الواحد منها ألف درهم، وانهن أبطلن لبس الازار البغدادي مما اضطر الدولة إلى العمل على ابطال الازر الحريرية والمناداة بمنع بيعها وتهديد المخالف بمصادرة جميع أمواله لحساب السلطان حتى امتنعت النساء عن لبس الازر

---

(١) صالحية، وثائق الحرم، ص ٢١.

(٢) بلال، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٣) بلال دوزي، تكملة المعاجم، ج٢، ص ٥٤، هامش ١٩٤. المرجع السابق، ص ٦٩.

(٤) بلال، الملابس، ص ٦٩.

(٥) دوزي، المرجع السابق، ج٢، ص ١١٧.

(٦) بلال، المرجع السابق، ص ٧١.

(٧) صالحية، وثائق الحرم، ص ٢٠.

(٨) صالحية، وثائق الحرم، ص ٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحريـــرية إلى درجة أنه نودي على ازر من الحرير بمبلغ ثمانين درهماً، ومع ذلك فلم يلتفت له أحد رغم لهفة النساء في هذا العصر على هذا النوع من الملابس الحريرية[١].

٤- **الجلـــباب:** ثـــوب له أكمـــام وأحياناً بدون أكمام، أما الأقمشة التي يصنع منها الجلباب، فالفقيرات يصنعنه من قماش قطني أو من الصوف والموسرات يتخذنه من قماش فاخر كالديباج[٢].

٥- **الرداء:** يلبس فوق الثياب كالعباءة[٣].

٦- **البشـــت:** وهـــو نســـيج من صوف أسمر، يتخذ منه لباس للفلاحين وللنساء وخاصة في مصـــر، وتطلق الكلمة على العباءة الواسعة ويلبس فوق الجلباب كما البردة وتكون ذات ألوان مختلفة وتنسج من الكتان أو الصوف وأحياناً تجعل له حاشية زرقاء[٤].

٧- **القـــباء:** نـــوع مـــن الرداء يصل طوله إلى منتصف عضلة الساق، مشقوق في مقدمته ومغلـــق عـــند الصدر، وقد لبسه الرجال والنساء، وهو متنوع الألوان[٥]. وللقباء كمان طويلان ضيقان، وقد يثبت عند الوسط بنطاق وبذلك يكون القباء أشبه بالقفطان[٦].

٨- **السبلة:** عبارة عن ثوب واسع هفهاف ويصنع من الحرير ويكون عادة قرنفلي اللون وقد يكون من ألوان الورد أو بلون البنفسج[٧].

٩- **الـــنطاق:** أمـــا الـــنطاق فكـــان خاصاً بالنساء المسلمات أما الزنار فقد استعملته النساء الذميات[٨].

١٠- **الملوطـــة:** وهي مثل العباءة لبسها الرجال والنساء على حد سواء، غير أن النساء كن يخترن الألوان البيضاء أو السوداء ذات البطانة[٩].

١١- **الجوخـــة:** عباءة يرتديها عامة الناس في فصل الشتاء لأنها سميكة مصنوعة من خامة خشـــنة لها وبر[١٠]، ومن أنواع الثياب أيضاً "الجرود" وهي مربعة الشكل مصنوعة من

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٨١١. السخاوي، الذيل التام، ج(٧٤٥-٨٥٠)، ص ٤٨.

(٢) بلال، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٣) المرجع نفسه والصفحة.

(٤) صالحية، وثائق الحرم، ص ٢٠.

(٥) صالحية، وثائق الحرم، ص ٢١.

(٦) بلال، الملابس، ص ٧١.

(٧) المرجع السابق، ص ٧١.

(٨) نفسه.

(٩) صالحية، المرجع السابق، ص ٢٢.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكـــتان، و "الشملة" يشتمل بها حتى لا تخرج منه الأيدي، وقد تكون خالية من الحياكة وتلبس لتغطي الكتف الأيسر وتطرز بالحرير[١].

واستعملت المرأة في عصر دولة المماليك أغطية للرأس ذات أشكال وأنواع متعددة:

١- **العصـــابة:** وكانت تلف حول جزء من الازر الذي يغطي شعر المرأة، وتشبه في هيئتها أغطية الرأس التي تستعملها البدويات في وقتنا الحاضر[٢]، وقد ظهر منها أنواع وأشكال مخـــتلفة تتمـــيز بالإســـراف والمـــبالغة، قال ابن الاخوة: "انهن يعتصبن عصائب كأمثلة الأسنمة"[٣]، فتدخلت الدولة لتحديد أشكال هذه العصائب مثلما حدث سنة (٨٧٦هـــ/١٤٧٢ م) عندما رسم السلطان قايتباي ليشبك الجمالي المحتسب بأن ينادي في القاهرة:"بأن امرأة لا تلـــبس عصـــابة مقنزعة ولا سراقوش[٤] حرير، وأن تكون ورقة العصابة طولها ثلث ذراع، وهـــي بختم السلطان من الجانبين"، وكتب بذلك قسائم على من يبيع أوراق النساء، وصـــارت رســـل المحتسب يطوفون في الأسواق، فإن وجدوا امرأة بعصابة مقنزعة أو ســـراقوش يضـــربونها ويجرسونها والعصابة معلقة في رقبتها، فقلقن من ذلك، وصارت المـــرأة إذا خرجت إلى حاجة تكشف رأسها وتمشي بلا عصابة، أو تلبس عصابة طويلة، فلما طال عليهن الأمر لبسن العصائب الطوال التي رسم بها السلطان يلبسونها إذا خرجن إلـــى الأســـواق فقط على كره منهن، ويلبسن العصائب المقنزعة في بيوتهن، إلا أن هذا المـــنع لـــم يستمر طويلاً، ثم رجعت النساء إلى ما كانت عليه من لبس تلك العصائب[٥]. وكثيراً ما كانت هذه العصائب تطرز بالزخارف وتزين بالذهب واللؤلؤ والجواهر، وأشهر عصائب النساء في هذا العصر هي عصابة "اتفاق"[٦]، فقد قام بعملها ثلاثة ملوك: الصالح إســـماعيل، والكامل شعبان، والمظفر حاجي وتنافسوا فيها واعتنوا بجواهرها، حتى بلغت قيمـــتها زيـــادة على مائة ألف دينار مصرية[٧]، وأطلق على هذه العصائب أسماء مختلفة وكثـــيراً مـــا ارتبطت ببعض الأحداث في ذلك العصر ومثال ذلك أنه في سنة (٨١٤هـــ/

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٣.

(٢) دوزي، ج٧، ص ٢٢٠. بلال، الملابس، ص ٦٧.

(٣) ابن الاخوة، معالم القربة، ص ١٥٧.

(٤) سراقوش: ذكرها دوزي سراقوج وهي قلنسوة تترية جمعها سراقوجات. دوزي، تكملة المعاجم، ج٦، ص ٥٥.

(٥) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٦٧. الصيرفي، أبناء الهصر، ص ٣٨٨.

(٦) اتفـــاق: مـــن أشـــهر المغنيات في مصر في عصر المماليك، تفوقت في الضرب على العود وبلغت الغاية فقدمتها ضـــامنتها بيت الناصر، فحظيت عند الصالح إسماعيل ابن الناصر حتى اختصها بنفيس الجوهر، ثم تزوجها الملك الكامل شعبان وحظيت عنده ثم حظيت عند الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون وتزوجها وأعطاها أضعاف ما كان يعطيها أخواه وهام بها. العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٨٣-٨٤.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٧٣-٤٧٥. العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٨٣-٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٤١١م) صـــنعوا عصـــائب أطلق عليها "دموع بنت صرق" نسبة إلى خوند بنت صرق زوجة السلطان الملك الناصر فرج بعد قيامه بقتلها في سنة (٨١٤هـ/١٤١١م)[١].

٢- **الشاش:** كذلك حرصت النساء على استعمال الشاش كنوع من أغطية الرأس وهو عصبة تلبسها المرأة بحيث يكون أولها عند جبينها وآخرها عند ظهرها، ويكون شكلها العام مثل ســنم الجمل، فيبلغ طولها نحو ذراع وارتفاعها نحو ربع ذراع، وكثيراً ما كن يبالغن في زخرفــتها بالذهــب واللؤلــؤ[٢]، وقد ذكر العيني في أحداث سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م) أن السلطان صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون أصدر مرسوماً أن "لا تلبس امرأة شاشاً كبيراً"[٣].

٣- **العمامة:** كانت زياً للرجال والنساء على السواء، وقد أصدر السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م مرســوماً أمــر فيه بأن ينادى في مصر والقاهرة "بأن المرأة لا تتعم بعمامة ولا تتزي بزي الرجال" وهددت كل من فعلت ذلك بعد مرور ثلاثة أيام من صدور هذا النداء بسلب كل ما عليها من كسوة وملابس، ودعا العبدري معاصريه إلى منع النساء من هذه العمائم[٤].

٤- **الشــربوش:** وهو أشبه بالتاج مثلث الشكل كان يجعل على رأس المرأة بغير عمامة[٥]، وقــد أشــار المقريزي إلى وجود "سوق الشرابشين" في مصر الذي يصنع ويباع فيه هذا النوع من اللباس[٦].

٥- **الطاقية:** لباس للرأس يبلغ ارتفاعها حوالي ذراع ولها قمة على شكل قباب فلبسها الرجال والنســاء علــى الســواء وحتى العسكر، وقد تكون لها قمة مدورة ومسطحة وتنسج من الصوف أو الحرير أو الجوخ بألوان مختلفة[٧].

٦- **البخــنق:** وهو من أغطية الرأس الصغيرة الحجم[٨]، التي اشتد اقبال النساء عليها، وقد أشار المقريزي إلى سوق البخانقيين بمدينة القاهرة وهو مخصص "لبيع الكوافي والطواقي التي تلبسها الصبيان والبنات" وبظاهر هذا السوق عدة حوانيت لبيع الطواقي وعملها[٩].

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٨١٥.

(٢) ابن اياس، المصدر السابق، ج١، ق٢، ص ٣٦٢.

(٣) العيني، عقد الجمان، ج٣، ص ٨١.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٥٠٣. العبدري، المدخل، ج٣، ص ١٧٥.

(٥) دوزي، تكملة المعاجم، ج٦، ص ٢٨٤.

(٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ١٠٤.

(٧) ماير، الملابس المملوكية، ص ١٢٩. صالحية، وثائق الحرم، ص ٢٥.

(٨) دوزي، المرجع السابق، ج١، ص ٢٥٠.

(٩) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- **المنديل:** وهو قطعة من القماش، استعملها الناس على مختلف فئاتهم، وتكون كبيرة أو صغيرة، وإذا كان المنديل كبيراً فإنه يلف حول الرأس عند عدم وجود العصابة أو العمامة، وهي منسوجة بالكتان أو الحرير ومختلفة الألوان[١].

٨- **الشعرية:** وهي عصابة من قماش خفيف يعصب بها الرأس مصنوعة من الشعر وخاصة شعر الحصان وتغطي العيون، وتكون فوق النقاب أو الخمار، وتتدلى فوق العيون حتى لا ترى عيون النساء[٢].

ولم يكن باستطاعة المرأة في هذه الفترة أن تطوف شوارع المدينة بغير حجاب إلا إذا كانت من بين الجواري المخصصات للخدمة في المنزل، فكان لا بد أن تضع النساء الحجب المختلفة لتغطي وجوههن ومنها:

١- **القناع والمقنعة:** وهي أغطية اتخذتها النساء للرأس والوجه معاً، لإخفاء محاسنها وتثبت على الرأس بواسطة قطعة قماش، والقناع أوسع من المقنعة، لأن المقنعة تغطي الرأس أو جزءاً منه وكانت تنسج من قماش العصائب وتجعل لها حواشي[٣].

٢- **الطرحة:** وهي التي كانت توضع على الرأس وتتسدل على الوجه فتخفيه عن أعين الفضوليين من الرجال[٤]، واستجد النساء في عهد الناصر محمد بن قلاوون المقنعة والطرحة بنحو عشرة آلاف دينار[٥]. وروي أن الأمير تنكز نائب الشام قدم لابنته "خوند قطلوملك" زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون مقنعة وطرحة بسبعة آلاف دينار[٦]، الأمر الذي يدل على أن هذا النوع من الحجب كان قاصراً على نساء الفئة الحاكمة للمماليك.

٣- **البرقع:** عبارة عن منديل يغطي الوجه إلى ما تحت العينيين ولونه أبيض أو أسود[٧].

٤- **النقاب:** وهو من الحجب التي شاعت بين عامة النساء، وهو عبارة عن قناع أسود اللون اكتفى بعمل فتحتين للعينيين[٨].

---

(١) صالحية، وثائق الحرم، ص ٢٢.

(٢) دوزي، ج٦، ص ٣١٦. صالحية، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٣٣، هامش رقم (١). صالحية، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٤) دوزي، تكملة المعاجم، ج٧، ص ٣٣. عبد الرازق، المرأة في مصر، ص ١٩٣.

(٥) السلوك، ج٢، ق٢، ص ٥٣٦.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٣٣. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٦، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٧) ماير، الملابس المملوكية، ص ١٣٠. عبد الرازق، المرأة في مصر، ص ١٩٤.

(٨) عبد الرازق، المرأة في مصر، ص ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما لباس الأقدام، فقد لبست المرأة "الأخفاف" في هذا العصر والتي كانت تصنع من الجلد الملـــون أو غـــيره كالجوخ مثلاً[١]، وقد غالوا في زخرفتها وتزيينها حتى أطلق عليها بعض مؤرخـــي تلك الفترة اسم "الأخفاف المثمنة"[٢]، ويلبس فوق هذه الأخفاف أحذية قصيرة تعرف باســـم "ســـراموزة" وتعـــنى الـــنعل وأصـــلها فارسي معناه رأس الخف[٣]، وبلغ سعر الخف والسراموزة إلى خمسمائة درهم[٤] و "المداس" الذي كان يلبس في الشوارع[٥]، وقد استخدمت المرأة الأوطية[٦] المرصعة التي استجدت في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وكانت مقتصـــرة علـــى نساء المماليك[٧]، والقبقايب الخشبية التي تمتاز بقوائمها المرتفعة، وكثيراً ما كانـــت مرصـــعة بالذهب والحجار الكريمة، أو بالصدف، أو العاج أو الأبنوس[٨]، والواقع أن القباقيـــب لعبت دوراً محزناً في تاريخ نساء عصر المماليك، عندما ضربت شجر الدر أولى سلاطين هذه الدولة بالقباقيب حتى الموت على أيدي جاريات زوجها عز الدين ايبك الذي كان قـــد ســـبق لشجر الدر أن اغتالته أيضاً بالقباقيب[٩]، وقيل أن شجر الدر قتلت وألقي جسدها خلف الأسوار[١٠] أما عن أسعار هذه الأحذية فقد كان مرتفعاً نوعاً ما، فقد ذكر المقريزي أن ســـعر الخـــف والسرموزة خمسمائة درهم[١١]، وأن زوجة الأمير آقبغا عبد الواحد قد بيع لها قبقاب وخف وسرموزة بخمسة وسبعين ألف درهم[١٢].

أما عن مقاييس الجمال ومعاييره في هذا العصر، فإن المرأة كانت تعد من الجميلات إذا كانـــت بيضـــاء البشرة ناعمة الملمس وذات وجه مستدير يشبه القمر في استدارته، ومفرطة البدانة ذات صدر ممتلىء وأرداف عريضة، بالإضافة إلى حسن الفم والشفة، وحسن الأسنان والجـــيد ورقـــة الخصر، وطول الشعر[١٣]، وقد رسم الشعراء هذه الصور الجميلة للمرأة في أشعارهم وفي ذلك يقول ابن المشد:

---

(١) ماير، المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٣٣٢.

(٣) ماير، المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٤) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٣٣٢.

(٥) حسين، الفنون الإسلامية، ج١، ص ٢٦٢.

(٦) الأوطية: وطء الشيء، يطؤه وطء: داسه. ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص ١٩٥.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٥٣٦.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٨١٤.

(٩) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٩٢. الدوادار، الدر الفاخر، ج٨، ص ٣٢.

(١٠) غوانمة، يوسف، إمارة الكرك الأيوبية، دار الفكر، عمان، ١٩٧٢، ص ٢٩٥.

(١١) المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص ٢٦٠.

(١٢) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٣٣٢.

(١٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص ٧-٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(بحر مجزوء البسيط)

ظبـــيلٍ كحـــيلٌ العـــيونِ ذو هـــيفٍ مـــنعمُ الـــردفِ، نـــاحلُ الخصـــرِ
أغـــنُ، أحـــوى، مدلـــلٌ، غـــنجٌ حلـــو اللمـــى، والرضـــابِ، والـــثغرِ
كأنمـــا شـــعرُهُ وطـــرته لـــيل تـــبدي علـــى ســـنا فجـــرِ[1]

وقال:

(بحر البسيط)

إن كـــان غطـــى ســـوادُ الشـــعرِ وجنَته فظلمـــةُ اللـــيلِ تُغشى حمرةُ الشفقِ[2]

علـــى أن تلك كانت المعايير العامة للجمال، فقد رأينا أن بعض الناس فتنوا بحب السود، ويقـــال أن الملـــك الصـــالح إسماعيل من هؤلاء[3]، و"اتفاق" تلك المغنية التي بهرت بغنائها ســـلاطين المماليـــك مـــع أنها سوداء وغير جميلة، ومع ذلك تزوجها أكثر من واحد لحلاوة صوتها وحسن غنائها[4].

وقد صارت العيون الضيقة مثار فتنة لبعض الشعراء، يقول ابن المشد:

(بحر الخفيف)

أوقـــعَ القلـــبُ فـــي أشـــدُ الوثـــاقِ ضـــيقُ العيـــنِ ضـــيقُ الأحـــداقِ[5]

وســـادت معايير الجمال التركي، فأصبح الوجه الأبيض والشعر الفاحم من تمام الجمال ففتن الناس بالجمال التركي، وكثر تغزلهم بالتركيات وإشادتهم بجمالهن[6]، إلا أن هناك نماذج أخـــرى مـــن الجمـــال كانـــت ما تزال تشد الشعراء من حين لآخر، فهناك الجمال البدوي، والمصـــري، فكثير من الناس من شدة جمال الغادة البدوية الكحلاء فضلها على أهل الحضر، وكان الشاعر ابن نباته في كثير من شعره مشدوداً إلى الجمال المصري وفي ذلك يقول:

---

(١) ابن المشد، الديوان، ص ٨٣.

(٢) ابن المشد، المصدر السابق، ص ١١٥.

(٣) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٤٠١. ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص ٤٢٠.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٧٣-٤٧٥. العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٨٣-٨٤.

(٥) ابن المشد، الديوان، ص ١١٦.

(٦) أمين، أدب العصر المملوكي، ص ٣٠٨-٣٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(بحر الكامل)

عطفتْ كأمثالِ القسي حواجباً ... فرمتْ غداةَ البينِ قلباً واجباً

بلواحظٍ يرفعنَ جفنا كاسراً ... فيثيرُ في الأحشاءِ شوقاً ناصباً

من كلِ ماردة الهوى مصريةٍ ... لم تخشَ من شهب الدموعِ ثواقبا

لم يكف أن شرعت رماحِ قُدودها ... حتى عقدنَ على الرماحِ عصائبا[1]

ولا عجب أن أقبلت بعض نساء هذا العصر على العناية بسمنتهن وبدانتهن حتى يحزن على إعجاب الرجال، ومن الوسائل التي اتبعتها المرأة للزيادة من وزنها، يروي العبدري "وهي أن المرأة إذا أتت فراشها بعد أن كانت تعشت وملأت جوفها فتأخذ عند دخولها الفراش لباب الخبز فتفته مع جملة حوائج آخر فتبتلع ذلك بالماء، إذ أنها لا تقدر على أكله لكثرة شبعها المتقدم وربما تعيد ذلك بعد جزء من الليل يمضي عليها" طلباً للسمنة ومحافظة على وزنها وبدانتها[2]، بالإضافة إلى استخدامها وسائل أخرى اتبعتها المرأة للحفاظ على وزنها وبدانتها، منها الإفطار في شهر رمضان المبارك، وكذلك بعض البنات الأبكار يفطرهن أهلهن خيفة على تغير أجسامهن عن الحسن والسمن ومن كان عقد عليها زوجها ولم يدخل بها فتترك الصوم خيفة على بدنها أن ينقص، ويشير إلى أمر آخر فضيع وشنيع "وذلك أن بعضهن تأكل مرارة الآدمي لأجل أن من استعملها منهن يكثر أكلها وقل أن تشبع فتسمن بسبب ذلك على زعمهن"[3].

---

(١) ابن نباته، جمال الدين بن نباته المصري الفاروقي، الديوان، دار التراث العربي، بيروت، ١٩٧٠، ص ٢٦.

(٢) العبدري، المدخل، ج٤، ص ٢٧١.

(٣) العبدري، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٧٣-٢٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

مراسيم الزواج في عصر دولة المماليك

١- مراسيم الزواج عند الخاصة "السلاطين والأمراء والأكابر".
- الخطبة.
- المهر-عقد القران.
- الجهاز.
- احتفالات الزواج.

٢- مراسيم الزواج عند عامة الناس.
- الخطبة.
- المهر-عقد القران.
- الجهاز.
- الاحتفالات.
- الزواج السياسي.

٣- ضمان المغاني.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراسيم الزواج في عصر دولة المماليك

مراسيم الزواج عند الخاصة (السلاطين والامراء والأكابر)

الخطبة

كانت الفتاة في هذا العصر تتزوج في سن مبكرة، أي عند سن البلوغ تقريباً ففي سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م) تزوج الأمير بكتمر جلق[١] ابنة الملك الناصر فرج بن برقوق، وعقد عليها في دمشق وعمرها يوم ذلك نحو سبع سنين أو أقل[٢]، وفي سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م) تزوج الأمير سودون الحمزاوي خوند[٣] زينب ابنة الملك الظاهر برقوق وعمرها نحو ثماني سنوات[٤]، وفي سنة (٩٢٠هـ/١٥١٤م) تزوج محمد ابن السلطان قانصوه الغوري من ابنة سيباي نائب الشام وكان عمر العروس إذ ذاك ثماني سنوات، وجدير بالذكر أن سيباي كان رافضاً لهذا الزواج في البداية لأن ابنته لم تستحق الزواج، فأرسل له السلطان يقول له:"لا بد من ذلك"[٥].

أما بالنسبة للعريس، فقد تزوج في سن مبكرة أيضاً، فقد زوج السلطان الناصر محمد بن قلاوون ابنه الأمير انوك وهو ابن عشر سنين أو حتى دونها[٦]، أما محمد ابن السلطان قانصوه فقد تزوج وكان له من العمر يومئذ نحو ثلاث عشرة سنة[٧]، كما أن العروس لم تستشر في الغالب عند الخطوبة، وكانت موافقة والدها تكفي لتزويجها، فلما زار الأمير تنكز نائب الشام ابنة زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٣٩هـ/١٣٣٨م) أحضر السلطان جميع بناته ليسلمن على الأمير، وكان يقول لكل واحدة منهن:"بوسي يدي عمك فتبوس يده واختار السلطان اثنتين منهن زوجات إلى محمد وأحمد أبناء الأمير تنكز وعقد

---

(١) بكتمر جلق: بكتمر بن عبدالله الظاهري، الأمير سيف الدين، من مماليك الظاهر برقوق ومن جامكتيه، نائب صفد (ت سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م). ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٤٠٣.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٣، ص ٦٣. ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٨٠٣.

(٣) سودون الحمزاوي: حاجب الحجاب وأمير التركمان بدمشق، وهو من بقية جماعة الظالم نوروز الحافظي، (ت سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م). الدمشقي، الدارس، ج٢، ص ١٩٦.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص ١١٠٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ٢٣١. الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ١٦١.

(٥) قال ابن اياس: إن بنت النائب سيباي كانت صغيرة لا يتجاوز عمرها ست سنوات ولهذا تمنع من زواجها، وقيل أن عمرها ثمان سنين واسمها فاطمة وتدعى شقرا. ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٣٩٩، ج٤، ص ٤٠٦.

(٦) ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه. تحقيق: محمد أمين، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٦، ج٢، ص ٣١٧. الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص ٦٣٠.

(٧) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٤٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عقدهمـــا عليهن[١]. وعموماً كان المماليك يحرصون دائماً على اختيار فتاة من نفس طبقتهم، وقد كانت هذه الصفة السائدة عند المماليك، فلم يتزوجوا من المسيحيات، ولا من نساء مصر إلا قليلاً جداً، فتزوج بعضهم من بنات القضاة وكبار المسلمين في القاهرة[٢]، ففي سنة (٨٩٩ هـــ/١٤٩٢م) زوج القاضـــي محب الدين بن أيوب ابنته بالأمير دولات باي الخازندار في الشام، وعقد العقد بجامع الحشرية، بحضور القضاة الأربعة وأعيان الشام[٣]، وفي سنة (٧٩٢ هـــ/١٣٨٩م) أظهر الأمير منطاش أمير الشام العصيان على الدولة، وتزوج ابنة نعير أمير العـــرب، واجـــتمع عنده من العشير والعربان ما لا يحصى[٤]. وهذه حالات نادرة فقد حصر المماليـــك الـــتزاوج فـــيما بينهم، وظلوا منعزلين عن المجتمعين المصري والشامي من حيث الاخـــتلاط بالسكان عن طريق التزاوج، ولعلهم بذلك كانوا يريدون أن يبقوا فئة متميزة، لأنهم لـــو امـــتزجوا لذابوا في المجتمع، وهذا ما لا يريدونه. ومن جهة أخرى كانوا ينظرون إلى أنفسهم نظرة فيها شيء من العنصرية، وبالتالي فقد كانوا يعتقدون في قرارة أنفسهم أنهم أرفع من السكان المحليين، ولكن ذلك لم يكن معلناً ومكشوفاً، لأن الإسلام قرب بينهم وبين السكان إلى حد كبير[٥]، فالسلطان الظاهر بيبرس تزوج من بنت حسام الدين بركة خان، وبنت الأمير ســـيف الدين نوكاي التتري، وبنت سيف الدين كراي تماجي التتري، وبنت الأمير سيف الدين الدماجـــي التـــتري[٦]، وتزوج الأمير سيف الدين قلاوون الألفي من ابنة سيف الدين كرمون التـــتري[٧]، وزوج الســـلطان الملـــك المنصور قلاوون ولديه الملك الصالح والملك الأشرف صـــلاح الدين خليل ببنتي الأمير سيف الدين نوكيه[٨]، ويذكر الدوادار في أحداث سنة (٦٨١ هـــ/١٢٨٢م) أن الملـــك الصالح علاء الدين علي، اختارت له زوجة أبيه بنت سيف الدين نوكيه "قمالت إليها للجنسية" لأنها من نفس عنصرهم[٩]، وزوج الناصر محمد بن قلاوون ابنه

---

(١) الصـــالحي، الملـــك الناصـــر أبو الفتح محمد بن قلاوون الصالحي، تاريخه، نسخة مصورة من برلين "٢٤٨" قسم الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، ميكروفلم رقم "١٠٧٠" عدد الأوراق ٢١٧، ص ٣١-٣٢.

(٢) *Muir, Sir William, The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt, (1260-1517) (1517A.D), London, 1846, P, 15, 202.*

(٣) الحمصـــي، شـــهاب الديـــن أحمد بن محمد بن عمر، حوادث الزمان ووفيات الشيخ والأقران. تحقيق: عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩، م١، ص ٣٥٥.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٤٣٨.

(٥) العلبي، دمشق، ص ٩١.

(٦) ابن شداد، عز الدين محمد بن إبراهيم، تاريخ الملك الظاهر، فرانزشتايز بفيسبادن، ١٩٨٣، ص ٢٢٣.

(٧) العيني، عقد الجمان، ج١، ص ٤٢٦.

(٨) المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص ٧٠٩. ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص ٧٢.

(٩) الـــدوادار، ركن الدين بيبرس المنصور، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، مخطوط مصور عن النسخة الموجودة في جامعة بيل رقم (٧٥٨)، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، ميكورفلم رقم (٢٠)، ج١٠، ص ١٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنوك ابنة الأمير بكتمر الساقي[١]، وزوج السلطان الناصر بناته وعددهن إحدى عشرة ابنة من مماليكه[٢]، ومنهن الأمير قوصون، وأبناء الأمير تنكز، والأمير بشتاك، والأمير طغاي تمر العمري[٣]، والأمير الطبغا[٤]، والأمير أبي بكر بن أرغون العلائي[٥] وغيرهم.

أما عن كيفية الخطبة، فقد كان والد الخاطب أو الخاطب نفسه يبعث رسولاً من الأعيان في الدولة إلى والد العروس أو وليها ليخطبوها، وغالباً ما كان الرسول محملاً بالخلع والهدايا لوالد العروس. فقد بعث السلطان الناصر الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي إلى الأمير طقزتمر نائب الشام خاطباً ابنته إلى ابن السلطان الصالح إسماعيل[٦]، وفي سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) أرسل السلطان نفسه الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي إلى ازبك خان[٧]، ومعه رسالة يطلب فيها المصاهرة بينهما[٨]، وفي سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م وصل إلى دمشق الأمير ماماي السلحدار أحد الأمراء العشرات[٩] من القاهرة وصحبته جماعة من الخاصكية[١٠] لخطبة ابنة سيباي نائب الشام إلى ابن السلطان قانصوه الغوري[١١].

وقد يقوم الخاطب مباشرة بالخطبة من ولي المرأة دون وساطة، فقد خطب الأمير جان بلاط اتابك العسكر بمصر سنة (٩٠٥هـ/١٤٩٩م) من السلطان قانصوه أبي سعيد أخته وقد

---

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٧٨.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٥٣٤.

(٣) طغاي تمر: الأمير سيف الدين طغاي تمر بن عبدالله الناصري الدوادار من أمراء السلطان الملك الناصر (ت سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م). ابن تغري بردي، المنهل، ج١٦، ص ٤١٣.

(٤) الطنبغا: الأمير الطنبغا الماردياني الساقي أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون من الأمراء الألوف (ت سنة ٧٤٤ هـ/١٣٤٣م). ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٦٧.

(٥) أرغون العلائي: الأمير أبي بكر بن أرغون العلائي، من أمراء السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، كان مربي أولاد السلطان (ت سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م). المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٧٥٦.

(٦) طقزتمر: الأمير الكبير المقدم سيف الدين الناصري، من مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون، ناب بمصر وحماه وحلب ودمشق (ت سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٥م). الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص ٦١١. الصالحي، الملك الناصر، ص ٢٠٦.

(٧) أزبك خان: هو القان أزبك بن طقطاي صاحب بلاد أزبك، أسلم وحسن إسلامه، وصاهر السلطان. الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص ٤٨٢.

(٨) سرور، محمد جمال الدين، دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢١٩.

(٩) أمراء العشرات: صاحبها من الطبقة الثالثة من الأمراء وعدة مماليك كل منهم عشرة فوارس. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٥. ابن كنان، حدائق الياسمين، ص ١٠٨.

(١٠) الخاصكية: وهي فرقة من المماليك يختارهم السلطان من الاجلاب الذين دخلوا خدمته صغاراً، ويجعل منهم حرسه الخاص، وسموا بهذا الاسم لأنهم يدخلون على السلطان في أوقات خلوته وفراغه، ويتميزون بحمل السيوف. ابن كنان، حدائق الياسمين، ص ١٠٨.

(١١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٣٩٩. الحمصي، حوادث الزمان، مج٣، ص ٢٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أجابه إلى ذلك[1]. ويبدو أن السلاطين والأمراء المماليك كانوا ينظرون إلى المرأة قبل أن يتم العقد، ففي أحداث سنة (٧٨٧هـ/١٣٨٥م) "توجه ببنت الأمير إينال اليوسفي[2] إلى مصر ليعقد عقدها على السلطان وكان أرسل يخطبها، وإن يعقد عقدها بالشام، فأرسلها قبل العقد ليرى رأيه فيها، فجاء المرسوم بعد وصولهما بأن يعقد عقدها بالشام، فعقد بحضرة النائب والقضاة"[3].

وإذا ما تمت الخطبة، يقدم العريس في أغلب الأحيان هدية لخطيبته، فلما خطب الاتابك جان بلاط أتابك العسكر خوند اصل باي أم الملك الناصر، قدم لها الاتابك بسبب الخطبة ثمانمائة طبق حرير، وشقق وتحف[4].

المهر أو الصداق

اعتادت فئة المماليك من السلاطين والأمراء والأكابر وأعيان الدولة أن تدفع مبالغ باهظة مقدار الصداق لنساء ذلك العصر، وهذا يشير إلى ثراء هذه الفئة ونظرتهم إلى المرأة في هذا العصر. وعندما تزوج الملك المعظم عز الدين أيبك "شجر الدر" كان الصداق ثلاثين ألف دينار[5]. وفي سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م) تزوج الأمير أبي بكر بن أرغون ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون على صداق مقداره أربعة آلاف دينار[6]، وفي سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) بنى الأمير الكبير الطنبغا القرمشي على ابنة السلطان الموبد شيخ "خوند ستيتة" على صداق قيمة خمسة عشر ألف دينار هرجة[7]، وتشير المصادر أن الملك الظاهر برقوق تزوج

---

(١) الحمصي، حوادث الزمان، مج٢، ص ٩٠.

(٢) إينال اليوسفي: الأمير سيف الدين اينال بن عبدالله اليوسفي البلبعاوي، اتابك العسكر، من أمراء الملك المنصور (ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م). ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ١٨٨.

(٣) ابن قاضي شهبة، تاريخه، ج٣، ص ١٥٥.

(٤) الحمصي، حوادث الزمان، مج٢، ص ٩١.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج (٦٤١-٦٥٠هـ)، ص ٦٦.

(٦). المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٣٧. المقفى الكبير، ج٥، ص ٤٥٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٦٢

(٧) ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص ٣٠٨. المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص ٥٣٦. – الدنانير الهرجة: الدينار الذهب المختوم بسكة الإسلام، وكان التعامل بها في القرن السابع حتى بداية القرن الثامن الهجري. المقريزي، السلوك، ج٤، ق٢، ص ٩٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تـــندو ابنة حسين بن اويس على صداق قدره ثلاثة آلاف دينار[١]، وتزوج الأمير بشتاك أخت الســـلطان الأشـــرف شعبان "خوند ساره" سنة (٧٧٠هـــ/١٣٦٨م) على صداق جملته خمس عشرة ألف دينار مصرية وأربعمائة ألف درهم فضة[٢]، أما الأمير أنوك ابن السلطان الناصر محمـــد بـــن قلاوون فقد عقد على ابنة الأمير بكتمر الساقي على صداق مبلغه من الذهب اثنا عشـــر ألف دينار، وحمل مع المهر، مائتين وخمسين ثوباً من الحرير، ومئتي نافجة[٣] مسك، وألف مثقال عنبر خام ومائتا شمعة موكبية، وثلاثة رؤوس من الخيل مسرجة ملجمة، وخمسة مماليك على يد كل مملوك بقجة، وقد حمل مهرها من بيت مال المسلمين[٤]، وذكر المقريزي أيضـــاً، عقد لولدي الأمير تنكز على ابنتي السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٣٩هـــ/ ١٣١٨م) علـــى صـــداق أربعـــة آلاف دينار[٥]، وفي سنة (٧٤٣هـــ/١٣٤٢م) عقد السلطان إســـماعيل بـــن محمد بن الناصر بن قلاوون على ابنة الأمير بكتمر الساقي وأصدقها عشرة آلاف ديـــنار[٦]، وتزوج السلطان الصالح إسماعيل ابنة الأمير طقزتمر نائب الشام سنة (٧٤٤ هـــ/١٣٤٣م) على صداق قيمته مائة ألف درهم[٧]، وذكر الصفدي أن الأمير سنقر ابن الوزير شمس الدين بن السلعوس تزوج على صداق قدره ألف وخمسمائة دينار[٨]، وذكر المقريزي أن محمد بن أرغون نائب السلطنة بديار مصر تزوج ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون على صداق قدره أربعة آلاف دينار مصرية[٩]، وذكر ابن قاضي شهبة في أحداث سنة (٧٩٧هـــ/ ١٣٩٤م) عقد قران الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك على بنت الأمير محمد شاه ابـــن بيدمر وكتب الصداق، ومبلغه آلف دينار[١٠]، وذكر الصيرفي أن الملك الأشرف شعبان

---

(١) تـــندو: ملكة ذات جمال بارع قدمت مع عمها أحمد بن أويس إلى مصر فتزوجها الظاهر برقوق ثم فارقها فعادت إلـــى بغـــداد وتزوجت من ابن عمها وأخيراً تمكنت من قتله واستولت على السلطنة (ت سنة ٨٢٢هـــ/١٤١٩م). العسقلاني، أبناء الغمر، ج٧، ص ٣٦٦.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ١٧٠. ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ٣٧٣. ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ق٢، ص ٨٢-٨٣.

(٣) النافجة: جمعها نوافج وهي وعاء لحفظ المسك أو كيس للعطور. المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٣٣٣. دوزي، تكملة المعاجم، ج١٠، ص ٢٦٠.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٣٣٣.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٦١.

(٦) المقريزي، المصدر السابق، ج٢، ق٣، ص ٦٢٣.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ق٣، ص ٦٥١.

(٨) ســـنقر: الأمير شمس الدين المنصوري الأعسر، من كبار الأمراء في مصر والشام، تسلم عدة مناصب في الدولة، ت سنة ٧٠٩هـــ/١٣٠٩م. الصفدي، أعيان العصر، ج٢، ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٩) المقريزي، المقفى الكبير، ج٥، ص ٤٥٦.

(١٠) ابن قاضي شهبة، تاريخه، ج٣، ص ٥٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معجل، وكان السلطان يقدم أحياناً لبعض رجال دولته الصداق كهدية من بيت المال، ففي سنة (٧٩٠هـ/١٣٨٨م) كتب كتاب القاضي جمال الدين محمود القيصري على ابنة محمد بن أحمد الشهير بابن الطيلوني المهندس السلطاني ودفع عنه المهر السلطان الملك الظاهر برقوق[١].

عقد الزواج

وبعد أن يدفع المهر المشروط تعجيله يباشرون عقد النكاح، فيعلن عن مكان العقد وترسل رقاع الدعوة من قبل أهل العروسين ويدعو كل منهما من أراد من معارفه وأصحابه في وقت معين[٢]، ويحتوي عقد الزواج في هذا العصر على مقدمة تعرف بخطبة النكاح حيث كانت تشكل جزءاً من مراسيم الزواج ويتلوها من يتولى العقد، وأهم ما يميزها في هذا العصر، الأطالة لا سيما في عقود زواج الفئة الحاكمة "المماليك" وهذا ما يتناسب مع المكانة الاجتماعية الخاصة بالسلاطين والأمراء المماليك[٣]، وكانت تتضمن الحمد والتشهيد وبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على الزواج وتبين فضائله، ومدح السلطان وآل بيته، ومزايا كل من العروسين، ومقدار الصداق، فعند عقد الملك السعيد على الست غازية خاتون سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٥م) كتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر خطبة الصداق، فبعد البسملة والحمد مدح السلطان وآل بيته وقال:"الحمد لله موفق الآمال لأسعد حركة، ومصدق الفال لمن جعل عنده أعظم بركة" وأضاف "لكن الشرف بيت يحل به القمر، ونبت يزوره المطر، ولسان يتعوذ بالآيات والسور، ونضار يتجمل باللآلى والدرر" وقد استرسل بالمدح وذكر مزايا العريس ثم ذكر مزايا العروس فقال:"وتضرب دونها خدور الجلال الرضبة، ويتجمل بنعوتها العقود، وكيف لا وهي الدرة الألفية" ثم نص على الصداق بقوله:"هذا ما أصدق مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان...أصدقها ما ملأ خزائن الاحساب فخاراً..أصدقها مبلغ خمسة آلاف دينار المعجل منها ألفا دينار"[٤]. وعندما تزوج الأمير محمد

---

(١) ابن الفرات، المصدر السابق، مج٩، ج١، ص ٣٤.

(٢) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ١٩٧.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص ١٦٠.

(٤) وقد أورد هذه الخطبة كل من: العيني، عقد الجمان، ج٢، ص ١٤٦-١٤٩. العسقلاني المصري، شافع بن علي الكاتب، الفضل المأثور من سيرة السلطان المنصور. تحقيق: عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٨-٣١. النويري، نهاية الأرب، ج٣٠، ص ٢٢٥-٢٢٧، وللتعرف أكثر على هذه الخطبة. انظر ملحق رقم (١).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـــن مســـعود أحد أمراء الطبلخانات[1] بدمشق، ابنة الأمير شرف الدين موسى، ذكر الصفدي بأنه هو من كتب الصداق[2].

أما عن صيغة العقد بشكل عام فقد كان العقد يتضمن، بعد البسملة وأداء الصداق ثم اسم العـــريس والعـــروس كاملـيـــن، وحال العروس ثيباً أو بكراً، وذكر بلوغ العروس، ثم أسماء الشـــهود على العقد وتاريخه، وقد ذكر النويري هذه الصيغة كالآتي:"هذا ما أصدق فلان فلانه البكر البالغ ابنة فلان، صداقاً تزوجها به على بركة الله تعالى وعونه، وحسن توفيقه ومنه ملك بـــه عصـــمتها، واستدام به-إن شاء الله- صحبتها، مبلغه كذا وكذا، الحال من ذلك كذا وكذا، قبضته الزوجة وتسلمته، أو قبضه والد الزوجة لها بإذنها، وإن كانت تحت حجره كتب "قبضه للـــزوجة والدها، ليصرفه في مصالحها" وباقي ذلك -وهو كذا كذا- يقوم به منجما، في سلخ كـــل سنة من استقبال تاريخه كذا وكذا وإن كان الصداق بكماله على حكم الحلول كتب "عمل لها الزوج من ذلك كذا وكذا وباقي ذلك في ذمته على حكم الحلول -وولي تزويجها إياه بذلك والدها المذكور- ويحلى[3] في هذا الموضع إن كان ممن لا يعرف بحق ولايته شرعاً، وبإذنها لـــه فـــي ذلـــك ورضاها، بشهادة من يعينه في رسم شهادته، أو على ما ذكر وإن كانت دون الـــبلوغ: "كتـــب بحق ولايته عليها شرعاً، لما رأى لها في ذلك من الحظ والمصلحة وحسن النظر" بعد أن وضح للقاضي فلان عاقد الأنكحة بالمكان الفلاني بالتولية الشرعية عن القاضي فلان أن الزوجة المذكورة بكر بالغ، خالية من موانع النكاح الشرعية، وإنها ممن يجوز العقد عليها شرعاً، وأن أباها المذكور مستحق الولاية عليها شرعاً بشهادة جماعة من المسلمين وهم فـــلان وفلان، فتقدم حينئذ بكتابته، وزوجها والدها المذكور من الزوج المذكور على الصداق المعيـــن، وقبل الزوج لنفسه ورضيه ثم يؤرخ، وإن اعترف الآن برشدها كتب واعترف والد الزوجة المذكورة بأن ابنته رشيدة، جائزة التصرف، لا حجر عليها، وإن كان العقد لم يحضره

---

(١) أمراء الطبلخانة: المضاف لكل واحد منهم أربعون فارساً. ابن كنان، حداق الياسمين، ص ١٠٨.

(٢) انظـــر: الصـــفدي، أعـــيان العصـــر، ج٥، ص ٢٦٠-٢٦١. وللمزيد من المعلومات حول نسخ الصداق، انظر: الصفدي، التذكرة الصالحية، مخطوط مصور عن النسخة الموجودة في ***Chester Beatty Library***، مركز الوثائق والمخطوطـــات، الجامعة الأردنية، ميكروفلم رقم (٣٨٦١)، الصفحات (١٠٧-١٠٨) (١١١-١١٨) (١١٨-١١٩) (١٥٨-١٦٠).

(٣) يحلـــى: أي يوصـــف، والحلية: الصفة والهيئة. النويري، نهاية الأرب. تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، فؤاد عبد المعطي، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٥، ج٩، ص ١١٥، هامش (٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كاشف[1] حاكم كتب إلى عند "وبإذنها له في ذلك ورضاها" وباشر والدها المذكور عقد النكاح بنفسه، وزوجها من خاطبها المصدق على الصداق المذكور وقبله الزوج لنفسه، ويؤرخ[2].

وقد كان كل من الخاطب وولي المخطوبة يوكل أحد الشخصيات الهامة وكبار رجال الدولة في إيجاب وقبول العقد، فتوكل عن الملك السعيد في قبول النكاح الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة، وتوكل في إيجاب العقد عن الأمير سيف الدين قلاوون الألفي، الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني أستاذ الدار[3] العالية السلطانية[4]. وبعد أن يثبت توكيل كل واحد منهما عند قاضي القضاة يجري العقد من قبل الوكيلين بالإيجاب والقبول، وأحياناً لا يحضر الزوج، أو ولي المخطوبة ويتم العقد بالوكالة، ففي سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٥م) كان عقد الأمير قانصوه خمسمائة[5] على ابنة الاتابكي ازبك من خوند ابنة السلطان الظاهر جقمق، ولم يحضر الاتابك والأمير، حيث تم العقد بالوكالة التي أعطاها كل منهما لوكيلهما بالعقد[6].

ويتولى كتابة العقد للسلاطين والأمراء والأعيان، قاضي القضاة في الدولة، فقد ذكر ابن اياس أن قاضي القضاة ولي الدين الاسيوطي تولى عقد الأمير جانم الشريفي[7] على ابنة العلائي علي بن خاص بك وحضر العقد القضاة الأربعة وكبار الشخصيات في الدولة[8]، وفي سنة (٨٥٥هـ/١٤٥١م) عقد السلطان جقمق على ابنة القاضي عبد الباسط ناظر الجيش وتولى العقد قاضي القضاة بدر الدين الحنبلي[9]، وعندما تزوج الأمير أزبك بن ططخ أحد الأمراء العشروات من ابنة السلطان جقمق، تولى العقد قاضي القضاة يحيى المناوي[10]، وقد يقوم السلطان بنفسه بكتابة العقد كما حدث سنة (٨١٢هـ/١٤٠٩م) عند عقد الأمير بكتمر

---

(١) الكاشف: متولي عقد الأنكحة من قبل الحاكم، وهو المعروف بالوقت الحاضر بالمأذون. النويري، نهاية الأرب، ج٩ ، ص ١١٦، هامش(٣).

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٩، ص ١١٥-١١٦، وللمزيد عن صور عقد الزواج. انظر: الأسيوطي، جواهر العقود، ج٢، ص ٨٢-١٠١.

(٣) أستاذ الدار: أستاذ استعملت عند المماليك على من يشتري المملوك بالمال ويربيه ثم يعتقه عند الكبر وتعتبر رابطة الأستاذية أقوى رابطة بين المملوك وأستاذه. دهمان، معجم الألفاظ، ص ١٤.

(٤) ابن شداد، الملك الظاهر، ص ١٣٤. ابن الفرات، تاريخه، مج٧، ص ٥١.

(٥) قانصوه خمسمائة: هو قانصوه الأشرفي قايتباي ويعرف بخمسمائة، وترقى في المناصب إلى أن صار دوادار ثم أمير آخور وصاهر الاتابك على ابنته سبطة الظاهر جقمق. السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص ١٩٩.

(٦) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٤١. السخاوي، الذيل التام، ج٣، ص ١٠٠٧.

(٧) جانم الشريفي: أحد المقدمين، تسلم عدة مناصب في الدولة إلى أن استقر مقدم الف توفي سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م . ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٤٥.

(٨) ابن اياس، المصدر السابق، ج٤، ص ١٥٣.

(٩) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٨٩.

(١٠) نفسه، ج٢، ص ٢٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جلــق على ابنة السلطان الناصر فرج بن برقوق فتولى السلطان العقد بنفسه لقنه إياه القاضي جــلال الدين[١]، أما عن مكان العقد يذكر العبدري أن كثيراً من الناس في عصره فضلوا عقد الأنكحــة فــي المساجد، فيجتمعون فيها ومعهم المباخر المفضضة التي يحرقون فيها البخور، وبعــد كــتابة العقــد ينصرفون في حفل كبير[٢]، وغالباً ما كان السلاطين والأمراء يعقدون الأنكحــة في المساجد، ففي سنة (٨٢٣هـ/١٤٢٠م) تزوج الأمير الكبير الطنبغا القرمشي ابن السلطان المؤيد شيخ المحمودي، وعقد عقده بالجامع المؤيدي[٣]. وفي سنة (٨٨٤هـ/١٤٧٩م) كــان عقد الأمير يشبك الدوادار على خوند فاطمة ابنة الملك المؤيد أحمد بن الأشرف اينال، وكــان العقــد في الجامع الناصري بالقلعة بين يدي السلطان الملك الأشرف قايتباي والقضاة الأربعة وسائر الأمراء[٤]. وفي سنة (٨٩٩هـ/١٤٩٢م) تزوج الأمير دولات باي نائب الشام ابــنة القاضي محب الدين بن أيوب، وكان العقد في جامع الحشرية بدمشق، وحضره القضاة الأربعة وأركان الدولة جميعهم[٥]، وفي سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) عقد السلطان العادل طومان بــاي على خوند فاطمة ابنة العلاي علي بن خاص بك في جامع القلعة وحضر العقد القضاة الأربعة[٦]، وأحياناً يتم العقد بالقصر أو في منزل أحد العروسين، فقد ذكر ابن اياس في سنة (٨٧٧هـــ/١٤٧٢م) تــزوج الأمير أزبك بن ططخ بابنة السلطان محمد بن جقمق وكان العقد بقاعــة الدهيشــة[٧] وأضــاف أن العقد تم بعد انفضاض الأمراء[٨]. وعندما تزوج محمد ابن الأمير أردبش الدوادار ابنة محمد بن بردبك العجمي كان العقد بمنزل والد العريس بالقرب من مدرسة العزيزية[٩] بدمشق وحضره نائب الشام والقضاة الأربعة وأركان الدولة[١٠]. وفي نفس الســنة عقــد قاضي القضاة ابن الفرفور الشافعي على ابنة القاضي محب الدين ناظر الجيش، وحضــر العقــد سيباي نائب الشام والقضاة الثلاثة، الحنفي، والمالكي، والحنبلي، وكان ذلك

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص ١٠٧.

(٢) العبدري، المدخل، ج٢، ص ٤٢٢.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص ٥٣٦.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٨. الصيرفي، أبناء الهصر، ص ١٢٣.

(٥) الحمصي، حوادث الزمان، مج٣، ص ٣٥٥.

(٦) ابن اياس، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٦٩.

(٧) قاعة الدهيشة: عمرها السلطان الملك الصالح سنة (٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، بلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم، وعمل فيها من الفرش والبسط والآلات ما يجل وصفه. المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦١.

(٨) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٧٧.

(٩) المدرســة العزيــزية: بناها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبي بعد سنة (٥٩٢هـ/١١٩٦م). الدمشقي، الدارس، ج١، ص ٢٩٠.

(١٠) الحمصي، حوادث الزمان، م٢، ص ٢٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمـــنزل والـــد العروس بالقرب من باب توما بدمشق[١]. وكان عقد الملك السعيد في الإيوان بحضـــرة الســـلطان والقضـــاة الأربعـــة[٢]، وكان عقد الأمير أنوك على ابنة بكتمر الساقي بالقصـــر[٣]. وزيـــادة في الأبهة والعظمة كان السلاطين والأمراء يدونون عقود الزواج على أنـــواع من الأقمشة الحريرية، فقد ذكر الدوادار أن كتاب السلطان الناصر محمد بن قلاوون علـــى طولوبية قريبة ازبك خان كتب على شقة أطلس أبيض بالذهب المحلول، فجاء مدهشة لمن يراه[٤].

الجهاز

وبعـــد عقـــد القران تأتي المرحلة الثالثة وهي إعداد الجهاز، أو الشوار ونقله إلى منزل الزوجـــية، وقـــد كان جهاز العروس في أفراح السلاطين والأمراء والأكابر في عصر دولة الممالـــيك يفوق الوصف، كما أشارت المصادر أن قيمة إعداد الجهاز أو الشوار تبلغ في كثير مـــن الأحـــيان آلاف الدنانير، فلما تزوج الأمير مظفر الدين ابن السلطان المنصور من ابنة الأمير سلار[٥] نائب السلطان سنة (٧٠٤هـ/١٣٠٤م) جهز سلار ابنته جهازاً كبيراً يقال أن قيمته مائة وستون ألف دينار[٦]، وعندما زوج السلطان الناصر محمد بن قلاوون إحدى بناته بالأمير أرغون النائب -وهي أكبر بناته- جهزها بجهاز عظيم بلغت قيمته نحو الثمانين ألف دينار ذهباً مصرية[٧].

وقـــد جهز إحدى عشرة ابنة له بالجهاز الكبير، فكان أقلهن جهازاً بثمانمائة ألف دينار، منها بشخاناه ودايرِ بيت وما يتعلق بمائة ألف دينار، وبقية ذلك ما بين جواهر ولآلىء وأوانٍ ونحـــو ذلك[٨]، وعند زواج الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون جهزها والدها أحمد ابـــن بكـــتمر الساقي بمبلغ ثمانين ألف دينار[٩]. وقيل في جهاز ابنة الأمير بكتمر الساقي أنه

---

(١) الحمصي، المصدر السابق، م٢، ص ٢٧٥.

(٢) العيني، عقد الجمان، ج٢، ص ١٤٦.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٣٤٣.

(٤) الدر الفاخر، ج٩، ص ٣٠٣.

(٥) الأمـــير ســـلار: سيف الدين التتري الصالحي المنصوري، من مماليك السلطان المنصور (ت ٧٤٤هـ/١٣٤٣م). الكتبي، فوات الوفيات، مج٢، ص ١٨٦.

(٦) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص ٣٥٨. المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٩.

(٧) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦٧٧، المقفى الكبير، ج٥، ص ٤٥٦، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٤٩.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٥٣٦. انظر:

Waddy, Women in Muslim History, P,104 . Muire, The Mameluke or slave, P, 104.

(٩) المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص ٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صـــرف في كلفته "أموالاً تضاهي السحاب" على حد تعبير ابن حبيب، وبلغت قيمته ألف ألف ديـنار مصـــرية[١]، وفـــي سنة (٧٤٣هـــ/١٣٤٢م) تزوج السلطان الناصر محمد ابنة بكتمر الســـاقي، فكـــان الجهاز قيمته ثمانون ألف دينار[٢]، وذكر أن جهاز خوند فاطمة ابنة الأمير مـــنجك اليوسفي، تزوجها السلطان الظاهر برقوق سنة (٧٨٦هـــ/١٣٨٤م) بلغ تكاليف إعداده ثمانمائـــة ألـــف مثقال ذهباً[٣]، وذكر الصيرفي أن جهاز خديجة ابنة الأمير جركس الخليلي، تزوجت الأمير بيبرس الدوادار ابن أخت السلطان الظاهر برقوق قيمته ثلاثون ألف دينار[٤]، علـــى حيـــن بلـــغ شوار ابنة الأمير جان بك الأشرفي الدوادار (ت سنة ٨٣١هـــ/١٤٢٧م)، تزوجها الأمير علي باي الأشرفي الخازندار خمسين ألف دينار[٥]، وكان ما صرف على جهاز ابـــنة الاتابكـــي ازبك، زوجة قانصوه خمسمائة نحو مائتي ألف دينار[٦]، ولم يقتصر الجهاز الكثـــير ذو القـــيمة المالية الكبيرة على بنات السلاطين والأمراء وإنما امتد ذلك إلى الجواري والســـراري، ويذكر أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون جهز جواريه وسراريه كل واحدة بـــثمانمائة دينار[٧]، وإن الملك المنصور[٨] عقد نكاحه على جاريتين من المولدات اللاتي في بيـــت السلطان فأمر "ناظر الخاص"[٩] أن يجهزهما بمائة ألف دينار[١٠]، ولقد ضاهى الأكابر والأعـــيان السلاطين والأمراء في تجهيز بناتهم بمبالغ كبيرة جداً، حتى أدى هذا إلى أن يلجأ بعضـــهم للديـــن في سبيل ذلك، فقد ذكر السخاوي أن حسن بن علي نائب قاضي العسكر (ت سنة ٨٥٣هـــ/١٤٤٩م) كان مسرفاً مثل والده حيث أن والده احتاج في تجهيز ابنة له يقال لها "صـــرغتمش" وسأل الجمالي الاستادار في مساعدته فكتب له بمائة ألف، فامتنع الصيرفي في دفعهـــا له فقال:"بل امشي معي لتباشر شراء ما أحتاج إليه وتدفع أنت الثمن وإلا فمتى أخذتها

٦٠٧٠٠٨

(١) المقريـــزي، المقفـــى الكبـــير، ج٢، ص ٣١٠. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٨٠. الصفدي، أعيان العصـــر، ج١، ص ٦٣٠. ابـــن حبيـــب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ٧٣٢. ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ص ٨٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١، ص ٩١.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٢٣.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص ٥١٤. الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٩٤. ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٣٤٥.

(٤) الصيرفي، أبناء الهصر، ص ٢٥٣. نزهة النفوس، ج١، ص ٤٩٢.

(٥) ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص ٢٣٥.

(٦) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٤٢.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٥٦٦.

(٨) الملـــك المنصـــور: أبـــو بكـــر بن الناصر محمد بن قلاوون تولى من سنة (٧٤١-٧٤٢هـــ) (١٣٤٠-١٣٤١م). الملطي، نزهة الأساطين، ص ٨١.

(٩) ناظر الخاص: هو الذي ينظر في الأموال الخاصة بالسلطان. دهمان، معجم الألفاظ، ص ١٥٠.

(١٠) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٥٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضاعت في غير المقصود"[1]. وعند وفاة الزوج أو طلاقها يصبح الجهاز ملكاً خاصاً بها، فلما مـــات الأشرف برسباي نزلت فاطمة خوند بنت الملك الظاهر ططر زوجته من القلعة ومعها جهاز بنحو مائة ألف دينار[2].

وذكـــر المقريـــزي أن العروس من بنات الأمراء أو الوزراء أو أعيان الكتاب أو أكابر الـــتجار تجهيز في شورتها بسبع دكك، دكة من فضة، ودكة من كفت ودكة من نحاس أبيض ودكة من خشب مدهون ودكة من صيني، ودكة كداهي وهي آلات من ورق مدهون تحمل من الصـــين[3]، وقـــد كان من جملة جهاز إحدى بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون عندما زفت إلى أحد الأمراء في دولة الملك الأشرف، دكة من البلور تشتمل عجائب على حد تعبير المقريزي، منها زير بلور قد نقش بظاهره صور ثابتة على شبه الوحوش والطوير، وقدر هذا الزيـــر مـــا يسع قربة ماء[4]، وقد كانت هذه الدكك تكلف مبالغ كبيرة، وقال المقريزي تزوج القاضـــي عـــلاء الديـــن بن عرب محتسب القاهرة بامرأة من بنات أحد التجار تعرف "بست العمـــائم: ولمـــا قـــارب البناء عليها والدخول بها، بعثت إلى المحتسب بمائة ألف درهم فضة خالصـــة ليصـــلح بها ما اختل من الدكة الفضة فأمر المحتسب باحضار الفضة، وأمر بصناع الفضـــة بطلائهـــا وإصـــلاح ما أرسلته ست العمائم من اواني وإعادة طلائها بالذهب، فجاء بديعاً جميلاً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفضـــة بلغـــت زنة الأواني ما يزيد على عشرة آلاف مثقال ذهباً، وأسكنها بمناظر الكبش[١] بعدمـــا هدمها وعمرها وجدد فيها أماكن متسعة، وقد أشرف السلطان بنفسه على حمل الجهاز ومعـــه الأمير أرغون والأمراء، ويقول المقريزي:"إن السلطان تناهى في هذا الجهاز وبلغ في الإنفاق عليه حتى خرج عن الحد في الكثرة، فإنها كانت أول بناته[٢].

أمـــا جهـــاز ابـــنة الأمير تنكز نائب الشام، تزوجها ابن بكتمر الساقي، فكان فيه من الأموال والمصـــاغ والأقمشـــة والأمتعة ما يجاوز حد القياس ولا يحصى بالتعبير، وقد وقف السلطان بنفســـه في تعبئة الجهاز[٣]. وقد ظل الأمير سلار ثلاث سنين يعمل جهاز ابنته زوجة الأمير مظفـــر بـــن الملـــك الصالح من سائر الأصناف، وعمل من كل شيء "حتى عمل برسم بيت الخـــلاء[٤] بكلة[٥] من الفضة والنحاس المكفت"[٦]. وقد شاهد الصفدي جهاز ابنة الأمير بكتمر الســـاقي، وقـــال: إن جهازهـــا خرج من قصر أبيها وكان عدة الحمالين ثمانمائة حمال وستة وثلاثيـــن قطاراً، غير الحلي والمصاغ والجوهر، وكان عدة الحمالين: المساند الزركش على أربعيـــن حمـــالا عدتها عشرة مساند، والمدورات[٧] ستة عشر حمالا، والكراسي اثني عشر حمالا، وكراسي لطاف أربعة حمالين، وفضيات تسعة وعشرين حمالاً، ودكك وتخوت أبنوس مفضضة ومذهبة مائة واثنين وستين حمالاً، وسلم للدكك أربعة حمالين، والنحاس المكفت ثلاثة وأربعيـــن حمـــالاً، والصـــيني[٨] ثلاثـــة وثلاثين حمالاً، والزجاج المذهب اثني عشر حمالاً، والـــنحاس الشامي اثنين وعشرين حمالاً، والبعلبكي المدهون اثني عشر حمالاً، والخونجات[٩]

---

(١) مـــناظر الكـــبش: من أجل متنزهات مصر، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م، وتشرف علـــى مصر كلها، وظل منذ عهد الملك الصالح من المنازل الملوكية في مصر، ثم أن الملك الناصر محمد هدمها ســـنة ٧٢٣هـــ/١٣٢٣م، وبـــناها بـــناء آخر وأجرى الماء إليها، وجدد بها مواضع، وزاد في سعتها، وأنشأ بها اصطبلاً تربط فيه الخيول. المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦٧٦-٦٧٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٤٦. الخطط، ج٢، ص ٦٧٧-٦٧٨.

(٣) الدوادار، الدر الفاخر، ج٩، ص ٣٢٣.

(٤) بيت الخلاء: المرحاض، وهو موضع قضاء الحاجة والاغتسال. العيني، عقد الجمان، ج٤، ص ٣٥٨، هامش (١). دوزي، تكملة المعاجم، ج١، ص ٩٥.

(٥) كلة: الستر الرقيق يخاط كالبيت، والكلة غشاء من ثوب رقيق. ابن منظور، لسان العرب، مج١١، ص ٥٩٥.

(٦) العيني، عقد الجمان، ج٤، ص ٣٥٨.

(٧) المدورات، صدر المجلس أو الوطاق حيث يجلس السلطان الأمير. دهمان، معجم الألفاظ، ص ١٣٧.

(٨) الصـــيني: نـــوع من الأواني الخزفية الملونة بالأسود والأبيض أو بغيرها من الألوان. دهمان، معجم الألفاظ، ص ١٠٣.

(٩) خونجات: كلمة فارسية، منضدة صغيرة توضع عليها الصحون أو صينية من الخشب أو المعدن تقدم عليها الأواني والصحون والأكواب وغير ذلك. دوزي، تكملة المعاجم، ج٤، ص ٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمخافـــي والزبادي النحاس تسعة وعشرين حمالاً، وصناديق الحوائج خاناه[1] ستة حمالين، والـــبغال المحملـــة الفرش واللحف والبسط والصناديق التي فيها المصاغ تسعة وتسعين بغلاً، بالإضـــافة إلـــى أن الذهب الذي دخل في الزركش والمصاغ ثمانون قنطاراً[2]، ومع ذلك فلما نصـــب الجهاز ورآه السلطان الناصر محمد والد العريس لم يعجبه وقال أنه رأى شوار بنت الأمـــير ســـلار أحسن من هذا وأكثر، ونظر إلى الأميرين طقزتمر والأمير سيف الدين اقبغا قـــائلاً: جهزا بنتيكما ولا تتخاسا "تتباخلا" مثل الأمير[3]، وفي سنة (٧٨٦هـــ/١٣٨٤م) حمل جهاز ابنة الأمير منجك زوجة السلطان الظاهر برقوق، يحمله ثلاثمائة حمال، وعشرة أطباق بهـــا عصـــائب وكوافي مرصعة بالذهب والزركش، وسبعون بغلاً محملة بالقماش والأثاث، ومشى مع الجهاز جماعة من الأمراء المقدمين ومعهم جوق المغاني من رجال ونساء، وذكر ابن قاضي شهبة "أنه كان جهازاً عظيماً قيل: إنه لم يرَ مثله"[4]، وفي سنة (٧٩١هـــ/١٣٨٨م) حمل جهاز "خوند ستيته" بنت الملك الأشرف شعبان لتزف على الأمير منطاش وحمل الجهاز نحو خمسمائة حمال[5] وعشرة قطر بغال، ومشى الحجاب وغالب الأمراء أمام الجهاز[6]. أما جهـــاز ابـــنة الأمير جركس الخليلي، حمل على ثلاثمائة وستين حمالاً وعشرين قطار بغال، ومشى في الجهاز غالب الأمراء والحجاب بأجمعهم من منزل جركس الخليلي إلى بيت الزوج الأمـــير بـــيرس[7]، وفي سنة (٨١٣هـــ/١٤١٠م) حمل جهاز ابنة السلطان فرج على ستمائة جمـــل وأربعين حمل بغال من الذهب واللؤلؤ والحرير والقماش والنحاس وغير ذلك[8]. وذكر الســـخاوي عند زواج الأمير ططخ ابنة السلطان الظاهر جقمق، كان في الجهاز من الأقمشة والبشـــاخين المزركشـــة والشراريب[9] المكللة باللؤلؤ وأنواع الفراء وأواني البلور والمصاغ والـــتحف من الصيني وغير ذلك ما يفوق الوصف وأضاف قائلاً: أن كل من شاهده قال: لم

---

(١) حوائج خاناه: المخزن الذي يضم مؤن مطبخ السلطان وماتدته. دوزي، المرجع السابق، ج٣، ص ٣٦٠.

(٢) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص ١٩٧. أعيان العصر، ج١، ص ٧١٣-٧١٤. المقريزي، المقفى الكبير، ج٢ ، ص ٣١١-٣١٢.

(٣) الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص ٦٣١. العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٤٤٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٢، ص ٥١٣. ابن قاضي شهبة، تاريخه، ج٣، ص ١٣٢. ابن اياس، بدائع الزهور، ج ١، ق٢، ص ٣٤٦. الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٩٤.

(٥) لقد جاء في النجوم الزاهرة، حمل الجهاز على خمسمائة جمل، ج١١، ص ٢٩١.

(٦) الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٢٥٥. ابن قاضي شهبة، تاريخه، ج٣، ص ٢٩١. ابن الفرات، تاريخه، مج٩، ج١، ص ١٤٥.

(٧) ابن قاضي شهبة، المصدر السابق، ج٤، مج٤، ص ١٧.

(٨) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٢٦٣.

(٩) الشـــراريب: قيطان حرير، كانت المرأة تجعلها مع ظفائر الشعر تتدلى على الأكتاف. دوزي، تكملة المعاجم، ج٦، ص ٢٨٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعهد له نظير[1]، وفي شهر رجب من سنة (٨٩٢/١٤٨٦م) حمل جهاز ابنة الاتابكي ازبك إلى بيت زوجها قانصوه خمسمائة، فكان به من الحمالين التي عليها الأمتعة زيادة على أربعمائة حمال، قال ابن اياس: فدهش الناس لرؤيته، ورجت له القاهرة وعد من النوادر[2]، وفي سنة (٩٠٥هـ/١٤٩٩م) نقل جهاز "خوند أصل باي" إلى بيت زوجها الاتابك جان بلاط، فكان عدة الحمالين أربعمائة حمال، ونحو مائتي بغل، واستمر ينسحب من صحوة النهار إلى وقت الظهر، وكان فيه من الأمتعة والتحف ما يعجز عنه الواصفون[3]، ما بين بشاخين مزركشة مكللة ومخاد ومقاصد ذهب وفضة ولولو وعنبر وتحف وصناديق مذهبة ودكك نحاس كفت وأواني ذهب وفضة ومحفة زركش ومشى فيه الأمراء والمباشرون والطواشية[4]، ويبدو أن العادة جرت في أفراح السلاطين والأمراء والأكابر قيام أهل الفرح بدعوة الحضور من الأكابر للفرجة على الجهاز، فعند زواج الاتابك طومان باي، ولما فرغ الحضور من الأكل أدخولهم إلى القاعات بالازبكية وفرجوهم على الجهاز المنصوب[5].

الاحتفالات بالزواج

وبعد الانتهاء من نقل الجهاز، يبدأ حفل الزفاف وتتراوح مدة الاحتفال من ثلاثة إلى سبعة أيام بلياليها، فلما تزوج الملك السعيد عمل له مهماً[6] كبيراً استمر سبعة أيام بلياليها[7]، وعندما تزوج الأمير علي بن أرغون عمل المهم مدة ثلاثة أيام[8]، وذكر المقريزي أن فرح الأمير آنوك استمر سبعة أيام بلياليها[9]، أما فرح السلطان الظاهر برقوق فقد كان أيضاً سبعة أيام بلياليها[10]، وكذلك فرح الأمير جركس الخليلي[11]، وفرح السلطان الناصر الصالح إسماعيل[12]، وفي سنة (٨٧٥هـ/١٤٧٠م) كان عرس الأمير يونس البواب على ابنة السلطان

---

(١) التبر المسبوك، ص ٣٠٢.

(٢) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٤٣.

(٣) ابن اياس، المصدر السابق، ج٣، ص ٤٢٩.

(٤) الحمصي، حوادث الزمان، مج٢، ص ٩٣.

(٥) الحمصي، المصدر السابق، مج٢، ص ٩٤.

(٦) المهم: الفرح. ابن منظور، لسان العرب، مج١٢، ص ٥٦٦.

(٧) ابن شداد، الملك الظاهر، ص ١٦٧.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٤٩.

(٩) المقفى الكبير، ج٢، ص ٣١١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٧٩.

(١٠) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٣٤٦.

(١١) ابن قاضي شهبة، تاريخه، ج٤، مج٤، ص ١٧.

(١٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جقمـــق، حيث أقيمت الأفراح بالقلعة واستمرت ثلاثة أيام متوالية[١]، وذكر المقريزي في شهر ربيع الآخر وفي مستهله سنة (٧٥٢هـ/١٣٥٦م) كان عرس "خوند زهرة ابنة السلطان الملك الناصـــر محمد بن قلاوون على الأمير طاز[٢]، ثم كان بعد ذلك عرس الأمير تنكز وأعراس جماعة من الأمراء، وعمل السلطان لكل منهم مهماً يليق به، فأقامت الأفراح طول شهر[٣].

وجـــرت العادة أن يشترك الجيش في أفراح السلاطين والأمراء، فقد ذكر ابن شداد في عرس الملك السعيد، أمر السلطان الظاهر بيبرس ألفي مملوك من الجيش بالتوجه إلى الميدان، وكان هؤلاء في أبهه زي ولباس، وقيل أن قيمة كل خوذة مما لبسه السلطان لمماليكه بحوالي ألـــف درهم، واستمر أفراد الجيش يركبون كل يوم ويتراكضون ويتسابقون بالخيل في الميدان خمسة أيام فرحاً بالعرس الكبير[٤].

الولائم

من مظاهر الأبهه والثراء التي يتسم بها عصر دولة المماليك الولائم العظيمة والأسمطة الفاخـــرة، التـــي يقـــيمها السلاطين والأمراء في المناسبات الخاصة[٥]، وأهم هذه المناسبات الـــزواج، ففـــي ليلة الزفاف تقام وليمة كبيرة للأهل والأصدقاء، يعمل فيها أنواع مختلفة من اللحوم والشراب، وهما في الواقع وليمتان إحداهما في بيت العروس للنساء، والأخرى للرجال تقـــام فـــي بيت العريس، فعندما تزوج الأمير ازبك بن ططخ أقام وليمة للنساء في بيت كاتب الســـر خـــال العروس، وعمل وليمة كبيرة للرجال في بيت الزوج[٦]، وكان يعمل في الوليمة أنواع مختلفة من اللحوم، فلما تزوج الأمير انوك، عمل وليمة كبرى، ذبح فيها من الغنم والبقر والخيل[٧] والأوز والدجاج ما يزيد على عشرين ألفا[١]، ولما كان عرس الأمير قوصون على

---

(١) ابن اياس، المصدر السابق، ج٢، ص ٣١٤.

(٢) الأمـــير طـــاز: الأمير سيف الدين بن عبدالله الناصري نائب حلب (ت سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م). ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص ٣٦٢.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٨٤٠.

(٤) ابن شداد، الملك الظاهر، ص ١٦٦-١٦٧. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ٢٧٠.

(٥) غوانمـــة، يوسف درويش، تاريخ شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى (القسم الحضاري)، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٧٩، ص ١٢٣.

(٦) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٠٢.

(٧) لحم الخيل: من الواضح أن لحم الخيل من طعام الولائم الكبرى عند سلاطين المماليك وأمرائهم، ذلك أنهم حافظوا على عوائد موطن الغالبية العظمى منهم، وهو بلاد القبجاق بحوض نهر إتل (الفولجا) حيث تؤكل لحوم الخيل في المواسم والأعياد. المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، هامش(٥).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابنة السلطان الناصر محمد، تضمن الفرح إقامة وليمة كبرى، ذبح فيها خمسة آلاف رأس من الغنم الضأن، ومائة رأس من البقر، وخمسون فرساً، ومن الدجاج والأوز ما لا يحصى[٢]، وفي مهم ابن بكتمر الساقي على ابنة الأمير تنكز، ذبح في هذا المهم من الأغنام والأبقار والخيول ولا يحصى كثرة[٣]، وأولم الأمير الكبير نوروز الحافظي لعرسه على "سارة" ابنة الملك الظاهر برقوق، فذبح ثلاثمائة رأس من الغنم وستة عشر فرساً[٤]، وفي سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م تزوج الأمير فخر الدين ببعض جواري السلطان، وعمل مهماً كبيراً، ذبح فيه ثمانية وعشرين فرساً، وأغناماً بلغ زنة لحمها عشرة آلاف رطل، ومن الدجاج ألفين ومائة، ومن الأوز ثلاثة آلاف طائر، ومن الدقيق ستة وخمسين قنطاراً[٥]. وعند زواج الأمير منطاش من ابنة الملك الأشرف شعبان عمل وليمة كبيرة صنع فيها أشياء كثيرة من الأغنام والأبقار[٦].

وتتضمن الوليمة بالإضافة إلى الطعام، الحلوى والأعسال بأشكال وأنواع مختلفة بالإضافة إلى أنواع المشروب المختلفة، ففي الوليمة التي أقامها السلطان لابنه انوك عمل للحلوى من السكر والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار من السكر[٧]، وفي عرس الأمير قوصون استعمل من السكر برسم الحلاوات وتحالي الأطعمة والمشروب أحد عشر ألف أبلوجة[٨]. وذكر المقريزي أن المشروب الذي صنع في وليمة الأمير فخر الدين كان خمسين قنطاراً من الزبيب[٩]. وفي عرس الأمير جان بلاط، مدوا الحلاوات والفواكه والبطيخ الصيفي المحلى بالسكر بجامع القلعة[١٠]. وفي سنة (٧٣٢هـ/١٣٣١م) عقد القاضي برهان الدين بن قاضي القضاة علم الدين الأخناتي على ابنة جلال الدين عبد المنعم قاضي القدس، وحضر

---

(١) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ص ٨٢. ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ٢٢١. ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، تاريخه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ج٢، ص ٢٨٩.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٨٨.

(٣) الدوادار، الدر الفاخر، ج٩، ص ٣٢٣.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص ١٠٧٦. العسقلاني، أنباء الغمر، ج٥، ص ١.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص ٤٣٤. العسقلاني، أنباء الغمر، ج٧، ص ٢٤٩.

(٦) الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٢٥٥.

(٧) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٨٠. ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص ٢٢١. ابن الوردي، تاريخه، ج٢، ص ٢٨٩. ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ص ١٠٢.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٨٩.

(٩) السلوك، ج٤، ق١، ص ٤٣٤.

(١٠) أبلوجة: مفردها أبلوج، قرص أو قالب سكر. دوزي، تكملة المعاجم، ج١، ص ٤١٨. الحمصي، حوادث الزمان، م٢، ص ٩١. الحمصي، حوادث الزمان، م٢، ص ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العقـد القضاة والأعيان، وبعد العقد أسقوا الجُلاب[١]، وقد تضمنت الوليمة أنواعاً مختلفة من الفواكه بالإضافة إلى الطعام والحلوى والشراب[٢].

ولقد كانت الموائد التي تنصب لهذه الولائم تتميز بالضخامة والفخامة، ويحضرها رؤساء الدول المجاورة والأعيان والأمراء والأكابر في الدولة، ولذلك لا بد من الاهتمام بها وترتيبها بطريقة مناسبة، ففي عرس الأمير انوك جمع لهذا الصنيع جميع ما في القلعة والمصرين من قـدور الطبيخ، ثم مد السماط في الميدان الأسود الذي تحت القلعة في أربعة دهاليز، وحضره من كان في خدمة السلطان من رسل الملوك التتار والفرنج، وجلس السلطان الناصر يومئذ في صـدر الخيمة على تخت أبنوس وعاج مصفح بالذهب والفضة انفق على عمله ألف دينار[٣]، وحسـبنا فـي هذا المجال أن نشير إلى ما قاله الصيرفي عند زواج السلطان الظاهر برقوق بالسـت فاطمـة بنت الأمير منجك "لا يحتاج إلى ذكرنا لما صنع لموائد عرسها فإنه يطول، ويكفينـا أنه شيء ملوكي"[٤]، وذكر الصفدي عند زواج السلطان الناصر من ابنة الأمير تنكز نائـب الشام أن السلطان أشرف على ترتيب السماط بنفسه ورتبه ترتيباً "خالف فيه العادة"[٥]، ووجـد فـي هـذا العصـر من هم متخصصون في صنع الولائم في المطابخ السلطانية في المناسـبات والأفراح، وقد أطلق على من يشرف على ذلك "خوان سلار"[٦]، ويشير المقريزي إلى أن صاحب هذه الوظيفة يحصل له من المال والسعادة الشيء الكثير وذلك أن الأفراح مما كـان يعمل في الدور السلطانية وعند الأمراء والمماليك كانت كلها بيده، ومن هؤلاء علي بن الطباخ، خدم الملك الناصر محمد بن قلاوون وهو في مدينة الكرك فلما قدم مصر جعله خوان سـلار وسلمه المطبخ السلطاني، فكثر ماله لطول مدته وكثرة تمكنه، وقد أشار المقريزي إلى نـادرة طريفة تبين ما يحصل عليه خوان سلار من أموال نتيجة هذه الأفراح، فبعد عمل مهم ابـن بكتمر الساقي على ابنة الأمير تنكز، استدعى السلطان علي بن الطباخ آخر النهار الذي عمل فيه المهم المذكور وقال له:"يا حاج علي إعمل لي الساعة لوناً من طعام الفلاحين، وهو

---

(١) الجزري، تاريخه، م٢، ص ٥١٤.

-الجُلاب: كلمة فارسية معربة تتكون من جُل وآب معناها ماء الورد. ابن منظور، لسان العرب، مج١، ص ٢٧٤.

(٢) الصيرفي، أنباء الصبر، ص ١٢٣.

(٣) ابن شداد، الملك الظاهر، ص ١٦٧.

(٤) الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٩٤.

(٥) الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص ١٨٤.

(٦) خـوان سلار: الخوان كلمة فارسية معربة معناها ما يوضع عليه الطعام ليؤكل، والسلار الأمر الأعلى أو الرئيس أي الرئـيس المشـرف على موائد الأطعمة. المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٣٤٥، هامش رقم (٤). دهمان، معجم الألفاظ، ص ٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خـــروف رميس[١] يكون ملهوج، فولى ووجهه معبس، فصاح به السلطان: ويلك مالك معبس الوجـــه؟ فقـــال: كـــيف مـــا أعبس وقد حرمتني الساعة عشرين ألف درهم نقرة. فقال: كيف حرمتك؟ قال: قد تجمع عندي رؤوس غنم وبقر وأكارع وكروش وأعضاد وسقط دجاج وأوز وغـــير ذلـــك ممـــا سرقته من المهم، وأريد اقعد وأبيعه، وقد قلت لي أطبخ، وبينما أفرغ من الطبـــيخ تلـــف الجمـــيع فتبسم السلطان وقال له: رح أطبخ وضمان الذي ذكرت علي، وأمر بإحضار والي القاهرة ومصر، فلما حضرا ألزمهما بطلب أرباب الزفر إلى القلعة، وتفرقه ما نـــاب من الطباخ من المهم عليهم واستخرج ثمنه، فللحال حضر المذكورون، وبيع عليهم ذلك كلـــه، فبلغ ثمنه ثلاثاً وعشرين ألف درهم نقرة[٢]، وهذا فرح واحد من ألوف مع الذي كان له مـــن الجرايات ومنافع المطابخ، فكان راتب مطبخ السلطان الناصر، والأمراء والكتاب الذين علـــى مطبخه في كل يوم ستة وثلاثين ألف رطل لحم[٣]، وكان أقل ما يحصل له في كل مهم مـــا يـــزيد على عشرة آلاف درهم[٤]، وكانت ولائم العرس قبل الدخول وبعده[٥]. كما اعتاد العريس في أغلب الأحيان قراءة مولد نبوي بهذه المناسبة، فعند زواج الظاهر برقوق من ابنة الأمير منجك اليوسفي، ذكر ابن اياس عمل السلطان المولد النبوي بالقلعة وكان حافلاً[٦]. وفي سنة (٨٨٦هـــ/١٤٨١م) كانت وليمة كتاب صدر الدين بن شمس الدين خطيب دمشق، ثم بعد ذلك قرأ الشيخ إبراهيم الناجي مولداً بمناسبة العرس[٧].

وبعد الطعام -أي في المساء يخرج العريس قاصداً بيت العروس في موكب كبير يحف بـــه الأهـــل والأصدقاء، ويكون العريس قبل ذلك دخل الحمام[٨]، ويخرج في أبهة عظيمة[٩] وملابسه من أغلى الأقمشة في ذلك العصر، فقد ذكر السخاوي أن الأمير ازبك بن ططخ كان ملبسه من الأطلس في ليلة زفافه[١٠]. ويمشي في زفة العريس التي غالباً ما تكون من الحمام

---

(١) رمـــيس: الواحـــد من صغار الغنم، غير أن هذا اللفظ هنا صفة وليس اسماً، ويستعمل للدلالة على خروف مشوي بأكمله، ويكون الشوي بطريقة وضع الخروف في وعاء نحاسي محكم ثم دفنه في النار، وربما جاءت صفة رميس مـــن عملية الرمس أي الدفن في النار. ابن منظور، لسان العرب، مج٦، ص ١٠١-١٠٢. دوزي، تكملة المعاجم، ج٥، ص ٢١٥.

(٢) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٣١٨.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٥٣٥.

(٤) المقريزي، المصدر السابق، ج٢، ق٣، ص ٦٨٥.

(٥) العسقلاني، أنباء الغمر، ج٧، ص ١١١.

(٦) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٣٤٥.

(٧) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص ٤٠.

(٨) ابن شداد، الملك الظاهر، ص ١٦٧.

(٩) السخاوي، الذيل التام، ج٣، ص ١٠٠٧.

(١٠) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى مكان الفرح، الأمراء والأعيان وكبار التجار حاملين الشموع سائرين خلف العريس، فلما تـزوج الأمـير موسى بن الصالح علي بن قلاوون، مشى في زفته الأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء[١]، ولما تزوج جانم الشريفي، كان له زفة حافلة لم يسمع بمثلها، فقد زينت له القاهرة بالشموع والقناديل وعلقت له التنانير من سويقة العزي إلى بين القصرين، ومشى في زفـته الأمـراء المقدمون وكان يشبك الدوادار ماسكاً لجام فرسه هو والأمير أزدمر الطويل حاجب الحجاب[٢]، وبقية الأمراء مشاة قدامه بالشموع من سويقة العزي إلى دار العلاي علي بن خاص والد العريس[٣]، ومشى في زفة الأمير طومان باي الاتابكي، جميع الأمراء وبأيديهم الشـموع[٤]، وعمـل عرس الأمير قانصوه خمسمائة بالازبكية ثم ركب بعد العشاء من باب السلسـلة ومشت قدامه الأمراء المقدمين وهم بالشاس والقماش والخاصكية، يحملون الشموع فشـقت الزفة القاهرة حتى وصلوا إلى الازبكية، وعدت هذه الزفة من النوادر الغريبة[٥]. وقد ذكـر الصفدي عندما تزوج الأمير ناصر الدين البدري أحد الطبلخانات كان له عرس عظيم وزفـة عظيمة[٦]. ويبدو أن الأفراح كانت تقام في قاعات خاصة بذلك، ومن الأمثلة على ذلك مـا يذكـره السخاوي فيقول أن الأمير ازبك مشى في زفته كبار الأمراء والمقدمين، وحمل الأمراء الشموع أمام فرسه إلى أن دخل قاعة الفرح فحصل الجلاء[٧].

أمـا العروس، فتتصدر الحفل بعد أن تستكمل زينتها وبهاءها، إذ تقوم الماشطة بتكحيلها وتمشـيطها وتحفيفها، ثم الباسها أفخر الثياب المطرزة، وغالباً ما تضع على رأسها شربوشاً وهـو أشبه بالتاج الذي ترتديه عرائس اليوم[٨]، وتخرج من بيتها إلى مكان الحفل في موكب كبير. ومن الأمثلة على ذلك، عندما تزوج الأمير بيبرس الدوادار، حضرت العروس إليه في محفـة زركـش والخـدام حولهـا والخوندات بين يديها راكبين وماشين بالشموع والفوانيس الكبيرة[٩]، ويحكي ابن اياس عن زواج "فاطمة الخاصبكية" بالعادل طومان باي، أنها خرجت

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٩.

(٢) حاجـب الحجـاب: من مقدمي الألوف والقائم مقام النائب في كثير من الأمور، والحجوبية موضوعها أن صاحبها يقـف بيـن الأمـراء والجند وهو المشار إليه في الباب بالقائم مقام البواب في كثير من الأمور. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٠. السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ص ١٣١.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ١٤٥.

(٤) ابن اياس، المصدر السابق، ج٤، ص ١٠٧.

(٥) ابن اياس، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٢.

(٦) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص ٣٧٢.

(٧) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٠٣.

(٨) عاشور، المجتمع المصري، ص ١٢٢. *Lane-Poole, Cairo, P,164*

(٩) الصيرفي، أنباء الهصر، ص ٢٥٣. نزهة النفوس، ج١، ص ٤٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــن بيتها وهي في محفة زركش ومشى قدامها كبار الأمراء وأعيان الطواشية وهم بالشاش والقماس، وكان معها نساء الأمراء والأعيان نحو مائتي امرأة، فلما وصلت إلى باب الستارة، أحـــد أبـــواب القلعـــة، فرشت لها الشقق الحرير تحت حافر بغال المحفة ونثرت على رأسها خفـــائف الذهب والفضة، وحمل الزمام على رأسها القبة والطير، حتى جلست بقاعة العواميد والشـــبابة الســـلطانية عمالة، وكان يوماً مشهوداً بالقلعة، وكان لها موكب حافل وكان قدامها المجمع السلطاني، والبقج وطشت وإبريق بلور ومدورة زركش[١]، وتحرص المدعوات اللاتي يحضـــرن الفرح على ارتداء الملابس الفاخرة والتحلي بالمجوهرات الثمينة[٢]، ذكر ابن اياس أنـــه عندما قبض على سعد الدين نصر الله ابن البقري، ناظر الخاص، وكان قد اجتمع نساؤه فـــي دار لفـــرح عندهم، وعليهن من اللؤلؤ والجواهر والذهب وثياب الحرير ما يجل قيمته، فبلغـــت قيمة ما على نسائه من الحلي بنحو من مائتي ألف دينار[٣]. ويبدأ حفل الزفاف الذي تحييه عدة جوق من المغاني، فيختلط فيه الغناء بضرب الدفوف والشبابات. ومن أهم مظاهر هـــذه الأفراح الإسراف في الإنفاق الناتج عن الثراء الفاحش الذي تمتع به السلاطين المماليك والأمـــراء، ويتمـــثل ذلك بتقديم الهدايا والنقوط من قبل أهل الفرح والحضور الأمراء وكبار رجـــال الدولـــة ونسائهم، إلى المغاني، فقد أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بخصوص فـــرح ابـــنة الأمـــير بكتمر الساقي بإحضار جميع من بالقاهرة من أرباب الملهى إلى الدور السلطانية، ويذكر المقريزي في عرس الأمير قوصون على ابنة السلطان "حصل للمغاني من الـــنقوط عشرة آلاف دينار مصرية"[٤]. أما في عرس الأمير أرغون النائب، فكان فيه ثماني جـــوق من مغاني القاهرة، وعشرون جوقة من جواري السلطان والأمراء، خص السلطان كل جوقة من جوق القاهرة خمسمائة دينار وخمسين تفصيلة حرير، ولم يحصر ما حصل لجواري الســـلطان والأمراء لكثرته[٥]، وفي عرس الأمير انوك لم يبق أمير إلا وبعث حريمه بالذهب وتفاصـــيل الحريـــر لنقوط المغاني[٦]، ويبدو أن نقوط المغاني عادة واجبة على أهل العرس، بالإضـــافة إلـــى أن تقديـــم الأمراء الهدايا للمغاني واجب ملزم فلما حان موعد زواج الأمير منطاش، قام بأمر مهم العرس وصنع فيه أشياء كثيرة وهيأ عدة من الذهب لأجل نقوط المغاني

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٢٩. الحمصي، حوادث الزمان، مج٢، ص ٩٤.

(٢) العسقلاني، أنباء الغمر، ص ١٣٣.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٣٣٦.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٨٨. انظر:

Willam, Lane, Arabian Society, P, 234 :انظر .Lane- Pool, Cairo, P, 159

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٤٩. الخطط، ج٢، ص ٦٧٨. المقفى، ج٥، ص ٤٥٦.

(٦) المقريزي، المقفى، ج٢، ص ٣١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمواشط وما أشبه ذلك[١]. وأيضاً في حفل عرس الأمير طقزتمر، كان فيه عدة جوق مغاني، حصل لهن من الذهب والفضة وتفاصيل الحرير شيء يجل وصفه، وبلغ نصيب ضامنة المغاني بمفردها ثمانين ألف درهم سوى بقية المغاني[٢]. ومن مظاهر العرس تقديم الأمراء والأكابر في الدولة الهدايا أو التقادم من الشمع والتحف الفاخرة والخراف والسكر والأوز وغيرها إلى أصحاب العرس. وبمناسبة زواج الملك السعيد، قدم الأمراء للسلطان الهدايا والتحف الفاخرة، وما يليق بمثله من الخيل والسلاح والمتاع وسائر الملابس[٣]. وأحياناً يقدم النقوط مثل الشمع قبل الحفل ليستعمل يوم الحفل، وتكون الشموع بأشكال وألوان فيتباهى كل واحد في النقش أو التفنن في الشمعة المقدمة، فعند زواج الأمير قوصون بلغ وزن الشمع الذي أحضره الأمراء ثلاثمائة وأحد عشر قنطاراً[٤]، وعند زواج الأمير انوك قدمت له الشموع فكان أحسنها وأبهجها شمع الأمير علم الدين سنجر الجاولي فإنه اعتنى بأمرها وبعث إلى عملها بدمشق، فجاءت من أبدع شيء[٥].

وبالإضافة إلى الشمع الذي قدم للأمير قوصون بمناسبة العرس، قدم إليه الكثير من الهدايا والتقادم، منها أن الأمير قجليس عمل في القلعة برجاً من بارود ونفط، غرم عليه ثمانين ألف درهم، وقدم أمراء مصر والشام تقادم جليلة، منها تقدمة الملك صاحب حماة، ومن جملتها مشعل وطرطور ومخلاة مطرز ذهب بألفي دينار[٦]، أما الأمير أيدمر الخضيري (ت سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٦م) فقد ضرب دينارين وزنهما أربعمائة مثقال ذهباً، وعشرة آلاف درهم فضة، برسم نقوط امرأته في العرس[٧]، أما التقادم والهدايا للسلطان الناصر بمناسبة زواج ابنه آنوك فهي كثيرة جداً، فقد جلس السلطان على باب القصر، وتقدم الأمراء على قدر مراتبهم واحداً بعد واحد، ومعهم الشموع، فإذا قدم الواحد ما أحضره من الشمع قبل الأرض وتأخر، فكانت عدتها ثلاثة آلاف وثلاثين شمعة زنتها ثلاثة آلاف وستون قنطاراً، ولم تقتصر الهدايا على الأمراء بل أن نساء الأمراء أيضاً تقدم الهدايا، حتى إذا جاء آخر الليل نهض السلطان وعبر إلى حيث مجتمع النساء، فقامت نساء الأمراء بأسرهن وقبلن الأرض واحدة بعد الأخرى، وهي تقدم ما أحضرت من التحف الفاخرة والنقوط حتى انقضت تقادمهن جميعاً،

---

(١) الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٢٥٥.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٩٠.

(٣) ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، ص ١٦٧.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٨٨. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٣٨.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٣٤٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٧٩.

(٦) السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٦٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ٣٨.

(٧) المقريزي، الخطط، ج٣، ص ٣١٠-٣١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فرســم السلطان برقصهن فرقصن عن أخرهن واحدة بعد واحدة والمغاني تضربن بالدفوف، والأموال من الذهب والفضة والشقق الحرير تلقى على المغنيات فحصل لهن ما يجل وصفه، ثم زفت العروس[١]. وعندما تزوج الأمير جركس الخليلي كانت التقادم من الأمراء والأعيان وأصــحاب الوظائف الكبرى في الدولة من الغنم والخيل والسكر والدجاج والأوز قريب ألف ألف درهم[٢].

ويــبدو أن تلــك الهدايا اعتبرت ضريبة أو ديناً لا بد من دفعه، حيث أن تقديم الأمراء للهدايــا فــي هذه المناسبة واجب ملزم حتى تضايق بعض الأمراء من المماليك في وقت من الأوقــات بسبب كثرة الأفراح، وكانوا يجدون أن النقوط عبء ثقيل عليهم. فلما تزوج الأمير قوصون حمل الأمراء إليه من التقادم شيئاً كثيراً، حتى أن الأمراء قالوا:"هذه مصادرة"[٣]. فلما تزوج الأمير طغاي تمر ابنة السلطان الأخرى قال السلطان: ما نعمل له عرساً، لأن الأمراء يقولــون هــذه "مصادرة" ونظر إلى طغاي تمر فرآه قد تغير، فقال السلطان لناظر الخاص: اعمــل لــي ورقة بمكارمة الأمراء لقوصون في عرسه، فعملها وأحضرها فقال السلطان كم الجملة، فقال: خمسين ألف دينار، فقال:"أعط نظيرها من الخزانة لطغاي تمر"[٤].

واعــتاد العــريس في أغلب الأحيان أن يعلق في شربوش عروسه بعض الدنانير، فقد أشارت المصادر أن الأمير منطاش علق بشربوش "خوند ستيته" ليلة الزفاف، ديناراً زنته مائتا مــثقال، ثــم ديــناراً زنته مائة مثقال، وذلك بعد أن جلتها عليه خوند سمراء زوجة السلطان الأشرف شعبان[٥]

ومن مظاهر الاحتفالات في الأفراح إطلاق البارود للتعبير عن الفرح، فلما تزوج الأمير قوصون عمل الأمير قجليس في القلعة برجاً من بارود ونفط، غرم عليه ثمانين ألف درهم[٦]، وعــندما تزوج الأمير أنوك نصب الأمير قوصون صاريتين في الرحبة قدام الإيوان، عليهما أنــواع مــن الصور والبارود والنفط غرم عليهما ثلاثين ألف درهم[٧]، وفي عرس ابن تنكز نائب الشام على ابنة بكتمر الساقي عمل من تماثيل النفط شيئاً كثيراً يذهل العقول[٨].

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٣٤٦-٣٤٧. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٧٩.

(٢) الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٤٩٢. ابن قاضي شهبة، تاريخه، ج٤، مج٤، ص ١٧.

(٣) الصفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء: س، ديدرينغ، فرانز شتايز، ١٩٧٤، ط٢، ج٤، ص ٣٧١.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٥٣٥. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٧٧.

(٥) ابــن تغــري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٢٩١. العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص ٣٥٠. الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٢٥٥.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٨٨. ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ٣٨.

(٧) الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص ٦٣٠. المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص ٣١١.

(٨) الدوادار، الدر الفاخر، ج٩، ص ٣٢٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مظاهر الاحتفال بالعرس في عصر دولة المماليك، أن يقدم السلطان الخلع والهدايا والتحف لكبار الأمراء ونسائهم بعد الحفل، فبعد عقد قران الملك السعيد كتب الصداق محي الدين بن الشيخ جمال فخلع عليه السلطان وأعطي مائة دينار[١]. ولما كان اليوم السابع من العرس خلع على سائر الأمراء والوزراء والقضاة والكتاب والأطباء وخواص الحاشية الأمثل فالأمثل مقدار ألف وثلثمائة خلعة، وبعث إلى دمشق الخلع، ففرقت فيمن فرق عليه بالقاهرة[٢]. ولما انقضى مهم الأمير أرغون النائب بعث السلطان الناصر لكل من نساء الأمراء تعبية قماش على قدرها، وعم جميع الأمراء بالخلع، وأنعم على الأمير أرغون النائب بمنية بني خصيب[٣] زيادة على إقطاعه[٤]، وقد تجاوز المصروف في هذا المهم حد الكثرة، وبعد عرس الأمير آنوك خلع السلطان على جميع الأمراء وأصحاب الوظائف وأكابر الأمراء، ورسم لامرأة كل أمير من الأمراء بتعبية قماش على قدر منزلة زوجها، وخلع على الأمير تنكز نائب الشام، وجهز صحبته الخلع لأمراء الشام[٥]. وعند زواج السلطان جقمق من ابنة القاضي عبد الباسط ناظر الجيش البسه السلطان كاملية[٦] بفروسمور[٧]، وعند زواج محمد بن قانصوه الغوري من ابنة نائب الشام سيباي، خلع السلطان على الأمراء والأعيان والقضاة ووالد العروس، وبلغ عدد الخلع سبعة وعشرين خلعة[٨]. وعند زواج السلطان الظاهر برقوق من الست فاطمة ابنة الأمير منجك، لبس في العقد جماعة كثيرون خلعاً، فقد خلع السلطان على ناظر الخاص، والقضاة الأربعة وشهود العقد[٩]. ولقد تميزت أعراس السلاطين والأمراء في عصر سلاطين المماليك بالإسراف في الإنفاق، فكانت تنفق فيها الأموال الطائلة، وغالباً ما كانت هذه الأموال تؤخذ من خزينة الدولة، ففي سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون النشو[١٠] بتجهيز كلفة عقد ابني تنكز على ابنتيه، وكلفة سفر تنكز إلى

---

(١) ابن شداد، الملك الظاهر، ص ١٣٥.

(٢) ابن شداد، المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٣) منية بني خصيب: مدينة كبيرة حسنه كثيرة الأهل والسكن على شاطىء النيل في الصعيد الأدنى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢١٨.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٨٩. الخطط، ج٢، ص ٦٧٨.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٣٤٦. الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص ٦٣٣.

(٦) كاملية: نوع من الملابس الخارجية كالعباءة ولعلها مما أحدثه الملك الكامل الأيوبي. دهمان معجم الألفاظ، ص ١٢٨.

(٧) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص ٢٨٩. السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٤٧.

(٨) ابن طولون، أعلام الورى، ص ٢٢٢.

(٩) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٣٤٥. الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ٩٣.

(١٠) النشو: شرف الدين عبد الوهاب ابن التاج فضل الله المعروف بالنشو الناظر الخاص للسلطان الناصر محمد، أحبه الناس كثيراً، وكان سريعاً في قضاء الحوائج، زاد في الانعامات والعمائر وبالغ في أثمان المماليك وزوج بناته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشام، فأخذ النشو أموال التجار وغيرهم، وجمع أربعة عشر ألف دينار حمل منها برسم المهر أربعة آلاف دينار[١].

الزواج السياسي

تزوج بعض سلاطين المماليك لأغراض سياسية، فالسلطان الظاهر بيبرس حالف مغول القفجاق[٢]، وتزوج بابنة بركة خان لتوثيق العلاقة بين الدولتين[٣]. كما زوج السلطان الظاهر بيبرس ابنه الملك السعيد من ابنة الأمير سيف الدين قلاوون، وكان يهدف من الزواج جعل قلاوون عوناً لابنه على تقلب الزمان وعضداً له في إدارة شئون الدولة الحربية من بعده لأنه كان أكبر أمراء المماليك في مصر. لكن الأمر صار بخلاف ذلك، إذ أن قلاوون كان يهدف إلى اعتلاء عرش السلطنة[٤]، وتزوج السلطان الناصر محمد بن قلاوون خوند طولوبية قريبة ازبك خان ملك بلاد القفجاق، وذلك بتقوية روابط الصداقة والتعاون بين دولتي المماليك ودولة المغول عن طريق المصاهرة[٥]. وكان من أثر هذه المصاهرة أن زادت الصلات توثقاً بين دولة المماليك في مصر والشام ودولة مغول القفجاق، وعادت الحال بين الدولتين إلى ما كانت عليه أيام السلطان الملك الظاهر بيبرس[٦]، هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى جعلت من التحالف مصلحة للطرفين[٧].

ولم تجد المرأة حرجاً أو موقفاً غير عادي إن هي أقدمت على الزواج بعد وفاة زوجها أو بعد طلاقها، حتى ولو كانت زوجة لسلطان، أو أما له، وكثيراً ما تزوجت بسلطان آخر أو بأحد الأمراء أو حتى برجل كان مملوكاً لزوجها السابق. ففي سنة (٧٤٦هـ/١٣٤٠م) عقد لابنة بكتمر مطلقة السلطان شعبان على الاستادار ارغون شاه، وعقد الأمير بيبغاروس على

واحتاج إلى الكلف العظيمة، فساءت أخلاقه، وفتح باب المصادرات (ت سنة ٧٤٠هـ/١٣٣٩م). ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص ٢١٨.

(١) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٦١.

(٢) بلاد القفجاق أو القبجاق فرع من الترك، مساكنهم الأصلية حوض نهر ارتش، وقد تنقلوا حتى استقروا بحوض نهر إتل "الفلجا" فعرفت تلك الجهة باسم القبجاق، كما عرفت به دولة المغول المسماة بالقبيلة الذهبية. النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص ٧، هامش (١).

(٣) ابن الفرات، تاريخه، م٧، ص ٩٠.

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص ٣٣٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٠٣. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٨٣. انظر:

Muir, The Mamluke or Slare, P, 42

(٦) سرور، محمد جمال الدين، دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٢١.

(٧) لمزيد من المعلومات عن العلاقات بين الدولتين. انظر: سرور، دولة بني قلاوون، ص ٢١٨-٢٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زوجـــة أرغون شاه السابقة[١]. وقد تزوج القاضي شرف الدين الثنائي الأنصاري خوند جهة الملـــك الظاهر جقمق بنت الأمير جرباش[٢]، وتزوج الأمير يشبك الدوادار بخوند فاطمة ابنة الملـــك المؤيد وكانت زوجة الملك الأشرف برسباي[٣]، وقد يتزوج السلاطين زوجات الأمراء سابقاً، فإن الناصر محمد بن قايتباي تزوج بمطلقة الأمير كرتباي نائب صفد[٤]. وتزوج الأمير صـــارم الدين إبراهيم ابن السلطان المؤيد شيخ بخوند التي كانت تحت الأمير بكتمر جلق[٥]. والكثـــير مـــن نساء هذا العصر تزوجن أكثر من مرتين، فابنة الأمير بكتمر الساقي، تزوجت الأمـــير أنوك فمات عنها، ثم أخوه السلطان المنصور أبو بكر، ثم الملك الصالح إسماعيل، ثم تزوجها الملك السلطان الكامل بن شعبان[٦].

مراسيم الزواج عند عامة الناس

لـــم تختلف تقاليد الزواج عند العامة عن مثيلها عن الفئة الخاصة، فهي متشابهة كثيراً، تـــبدأ بالخطبة والاتفاق على المهر، وعقد الزواج، ثم إقامة الأفراح. فإذا أراد الرجل الزواج تـــبدأ الأم أو الأخت بالبحث له في بيوت البلدة عن العروس المناسبة[٧]، أو تناط هذه المهمة بالخاطـــبة، حيث تنهض الخاطبة بدور كبير في إتمام مهمة الخطوبة. وفي باب طيف الخيال نعـــثر علـــى صورة "أم رشيد الخاطبة" وقد لفها ابن دانيال في ثوب من سخرياته، إلا أنه مع ذلك يشير إلى ما كان لأمثال أم رشيد من معرفة بالنساء، وإلى طرقها في ذلك. فوصف كيف يقصـــد راغب الزواج الخاطبة لأنها تعرف جميع النساء في البلدة، حيث تتظاهر ببيع الطيب والـــبخور وغـــير ذلك من لوازم النساء. وبذلك يتاح لها دخول البيوت والإطلاع على أسرار الحـــريم فتســـتطيع أن تأتـــي للعريس بالعروس التي تتفق مع رغباته ومطالبه[٨]، ويبدو أن الخاطبة اعتادت أن تبالغ بالمعلومات التي تمد بها كلا الطرفين. فالأمير وصال يفاجأ بعروسه شـــوهاء مخـــيفة، ولا يملـــك وقتها إلا أن يغمى عليه من بشاعتها وبعد أن يفيق يصمم على

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ق٣، ص ٦٨٩.

(٢) الصيرفي، أنباء الهصر، ص ١٦٩.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٣٨.

(٤) ابن اياس، المصدر السابق، ج٣، ص ٣٩٥.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٤، ق١، ص ٢٦٧.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٨٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص ٩٧.

(٧) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ١٩٦.

(٨) ابن دانيال، خيال الظل، ص ١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الانـــتقام من الخاطبة الداهية التي أوقعته في هذا المأزق[١]. وجرت العادة إذا رضي الراغب في الزواج بالمعلومات التي قدمتها له الخاطبة أو إذا اتفق رأي أمه ومن يقربه من النسوة على فتاة ما، تقدم أقرب رجل إلى الزوج ومعه وجهاء أهل بيته وخطبوها من أقرب رجل إليها[٢]، وغالـــباً ما كان الشاب إذا أراد الزواج يفضل العروس كثيرة المال والجهاز، وفي ذلك يقول الشيخ علوان:"فإذا ذكرت له امرأة متجهزة كثيرة المال أرسل إليها"[٣].

المهر أو الصداق

وجد اختلاف في قيمة المهر أو الصداق، وذلك راجع إلى مكانة العروسين الاجتماعية، وكـــان المهر قليلاً جداً إذا ما قورن بالمهور الخاصة بالفئة الحاكمة من السلاطين والأمراء. ومن خلال عقود الزواج التي ترجع إلى عصر دولة المماليك نستطيع أن نتعرف على قيمة ما كان يدفع للمرأة من صداق، فمن خلال وثيقة زواج مؤرخة في ٢٨ جمادى الآخرة سنة (٦٧٧ هـــ/١٢٧٨م)، والخاصة بزواج أحد الفقهاء وهو نجم الدين اسحاق ابن الفقيه برهان الدين، تزوج من ابنة نصير عبد المنعم البهنسي على صداق جملته خمسمائة درهم، أي حوالي خمسة وعشرين ديناراً ذهباً[٤]. وفي عقد آخر لنفس الزوج والزوجة مؤرخ سنة (٦٨٩هـــ/١٢٩٠م) فإن قيمة الصداق الذي قدمه الفقيه نجم الدين إلى زوجته ابنة نصير هي مائة درهم[٥]. ويفهم مـــن نصـــوص العقـــد الثاني إنهما أي الزوجين المذكورين انفصلا في وقت لاحق، ثم عادا وتزوجا مرة أخرى بعد تسع سنوات، وتم العقد بينهما مرة أخرى بمهر جديد وشروط جديدة، إذ لا بـــد أن يـــردها بمهر جديد وعقد جديد. وقد جاء في أحداث سنة (٩١٢هـــ/١٥٠٦م) أن نائـــب الشـــام سيباي شكا إليه بدار العدل رجل من زوجته التي طلقها وله منها بنتان، إنها لا تـــرده إلا بعشرة دنانير اشرفيه، فأمر النائب أن يعطى خمسة عشر ديناراً، ثم قال له: هذه لها والخمســـة أنفقهـــا على عيالك[٦]. ومن خلال تمثيليات ابن دانيال الذي عاش في هذا العصر نلاحظ أن الزوج أصدق زوجته مائة وأربعين[٧] ولم يذكر المؤلف ديناراً أم درهماً، وغالباً ما يكون ذلك بالدرهم، لأن الرواية خاصة بالفئة العامة من الناس. وفي إحدى وثائق بيت المقدس

---

(١) ابن دانيال، المصدر السابق، ص ١٧٤-١٧٥.

(٢) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ١٩٧.

(٣) الحموي، علي بن عطيه "الشيخ علوان"، مخطوط نسمات الأسحار، فصل عادات الأعراس في بلاد الشام في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، نشره عبد الهادي هاشم في مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج ٣٢، ج٢، ١٩٥٧، ص ٣٣١.

(٤) عبد الرازق، عقدا نكاح من عصر المماليك، ص ٧٤.

(٥) عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٧٢.

(٦) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص ٣٠٣. أعلام الورى، ص ١٩٩.

(٧) ابن دانيال، خيال الظل، ص ١٦٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خمسون درهم، تسلمتها واغفلت الإشارة في العقد الثاني إلى كيفية سداد مؤجل الصداق على النقيض من نصوص العقد الأول[١]. وذكر المقريزي في أحداث سنة (٧٤٢هـ/١٣٤١م) أن امرأة ادعت على زوجها عند أحد القضاة بما يستحق لها من صداقها وكسوتها، وأظهرت صداقها عليه فإذا فيه أن المنجم[٢] منه في كل سنة دينار[٣]. وفي تمثيلية خيال الظل، فإن الصداق قسم إلى مائة معجلة وأربعة وأربعين مؤجلة[٤]، وعند وفاة الزوج كان المؤخر يعتبر ديناً واجب الأداء ويجب أن يستوفى كاملاً قبل أن تقسم التركة. ففي إحدى وثائق بيت المقدس، وموضوعها: إقرار حصر أعيان بقصد الإرث، وإقرار دين، أقر أحمد بن موسى بن راجح البصروي، أن لزوجته خديجة بنت عمر بن الفلاح في تركته والدين الذي عليه صداقها وقدره مائتا درهم[٥]. وفي وثيقة أخرى يحدد الموصي أن لزوجته نصيبها في التركة فضلاً عن مؤخر صداقها عليه وقيمته أربعمائة وعشرة دراهم[٦]، أما صداق البكر فكان يفوق بكثير صداق الثيب أو الايم ويستوي في ذلك نساء طبقة المماليك ونساء أفراد الشعب[٧]. ومن الصعب التعرف على الحد الأدنى للصداق الذي كان يقدم لنساء عامة الشعب في عصر دولة المماليك.

ويبدو أن الزوج كان يعاني غالباً من الصداق المطلوب، حيث كان يشكل عبئاً ثقيلاً يقع عليه، فها هو الأمير وصال يصف حاله فيقول: لا بد من تدبير الحال وتجهيز المال على أني الليلة اعوز من زنبور وأفلس من طنبور وأنشد قائلاً: *(بحر الكامل)*

في منزلٍ لم يبقَ غيري قاعداً ... فإذا رقدتُ رقدتُ غير ممدد
لم يبقَ فيه سوى رسومٍ حصيرةٍ ... ومخدةٍ كانت لأمُ المهتدي
مُلقى على طراحةٍ في حشوها ... قملٌ شبيهُ السمسمِ المتبددِ
هذا ولي ثوبٌ تراه مرقعاً ... من كلِّ لونٍ مثلِ ريشِ الهدهدِ
ولكيفَ أرضى بالحياةِ وهمتي ... تسمو وحظي في الحضيضِ الأوهدِ[٨]

---

(١) عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ٧٢، ٧٩.

(٢) المقصود بالمنجم المال الذي ينبغي تأديته على أقساط في الأجل المسمى.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦١١.

(٤) ابن دانيال، ص ١٦٤.

(٥) صالحية، الوثائق، وثيقة رقم(٨)، ص ١٠٢، ١٠٠.

(٦) العسلي، المرجع السابق، وثيقة رقم(٢٣١)، مج٢، ص ٥٩-٦٠.

(٧) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج٢،ص ٨٩. انظر: عبد الرازق، عقدا نكاح، ص ٧٦-٧٧.

(٨) ابن دانيال، خيال الظل، ص ١٦٥-١٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثـــم يأتي دور **عقد القران**، وقد تضمنت عقود الزواج عند العامة وأوساط الناس بمقدمة تعرف بخطبة النكاح، إلا أن هذه الخطبة قصيرة إذا ما قورنت بخطب صداق الخاصة من فئة السلاطين والأمراء وكبار عصر دولة المماليك. وكانت خطبة النكاح في عقد زواج الفقيه نجم الديـــن اســـحق على ابنة نصير تمثل أربعة أسطر من مجموع العقد(١)، وبمقارنة هذه الخطبة بخطبة عقد زواج الملك السعيد ابن الظاهر بيبرس المؤرخ في سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٥م) والتي تمت هذه الزيجة بعهده سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) نجد أن عقد الملك السعيد يحتوي على خطبة تتكون أكثر من خمسين سطراً، وتدل بطولها على المكانة الاجتماعية العالية التي ينتمي إليها الســـعيد بـــركة خان وهي فئة المماليك(٢)، ومن هذه الخطب في عقود زواج العامة: "بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وصحابته، الحمد لله الذي أحل النكاح وحرم السفاح وأجل المنة وعظم النعمة وجعل من بعد عسر يسرا، وهو الذي خلق مـــن الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً"(٣). وقد احتوت هذه الخطب على الحمد والتشهيد وبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على الزواج، وغالباً ما كانت عقـــود الزواج الخاصة بهذه الفترة تحتوي على خطبة النكاح، ويذكر في العقد حالة المرأة إذا كانـــت بكراً أو ثيباً. وإن سبق لها الزواج ذكر اسم الزوج، أما إذا كان زوجها ميتاً يذكر في العقد إنها استوفت عدة الوفاة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام من تاريخ الوفاة(٤). وبلوغ المرأة فقـــد احتوى إحدى عقود الزواج كلمة "امرأة كامل" أي إنها بالغة ايم أي سيق لها الزواج(٥)، كذلك يحتوي العقد على قيمة المهر المعجل والمؤخر منه وكيفية سداده وإقرار المرأة بموافقتها على الزواج واستلام المهر(٦). وذُكِرَ ولي الزوجة أبوها أو أخوها لأنه ليس للمرأة المسلمة أن تزوج نفسها ولا أن تزوج غيرها وإنما الذي يزوجها هو وليها(٧)، وأيضاً توقيع الشهود على مـــا جـــاء فـــي العقـــد من معرفة الزوجة وحالها واستلامها لقيمة الصداق(٨). كذلك أمور قد تشترطها الزوجة، فالملفت للانتباه في عقد الزواج الثاني الخاص بنجم الدين اسحق أن الزوجة

---

(١) عبد الرازق، عقدا نكاح، ص ٧١. انظر: ملحق رقم (٢).

(٢) العيني، عقد الجمان، ج٢، ص ١٤٦-١٤٩. انظر: ملحق رقم (١).

(٣) العسلي، وثائق مقدسية، وثيقة رقم(٤٧)، م١، ص ٣٧.

(٤) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ص ٢١. عبد الرازق، عقدا نكاح، ص ٧١، ٧٤.

(٥) عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٧١. انظر: ملحق رقم (٢).

(٦) العسلي، وثائق مقدسية، وثيقة رقم (٤٧)، ص ٢٥٤.

(٧) عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٧١، ٧٩.

(٨) العسلي، المرجع السابق، وثيقة رقم (٤٧)، ص ٢٥٦-٢٥٧. انظر: ملحق رقم (٣).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبقـت العصـمة بيدها، حتى تتمكن من إنهاء الزواج عند اللزوم ودون الحاجة إلى دفع المال للطلاق في حالة عدم القدرة على مواصلة الحياة الزوجية[١].

ووجـد في هذا العصر من هم متخصصون بعقود الأنكحة وكان لكل مدينة أو قرية أو ناحية من يقوم بهذه المهمة، وهو ما يطلق عليه اليوم اسم المأذون، ومن هؤلاء أحمد بن عمر بـن أحمد التروجي كان عاقداً للأنكحة في الإسكندرية (ت سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م) [٢]. ومنهم الشـيخ فـتح الدين أبو الحرم القلانسي، تولى عقد الأنكحة في القاهرة سنة (٧٦٥هـ/١٣٦٣ م)[٣]. ومنهم ابن الفهاد الشافعي القوجي، استوطن القاهرة جلس بحانوت الشهود بالقاهرة يعقد الأنكحة وعرف بذلك (ت سنة ٧٣٤هـ/١٢٣٣م) [٤]. وكان يقوم بذلك مقابل أجر، ويروى أن ابـن المنير المرواحي محمد بن سليمان (ت سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م)، عقد عقداً فأعطاه الزوج درهمين في مقابل ذلك[٥].

الجهاز

أما فيما يخص الجهاز الذي كانت تحمله العروس معها إلى منزل الزوجية، فقد كان أهل العـروس يجهـزونها بمـا يلزمها من الملبوس والمفروش والأواني، ينفقون على ذلك المهر ويضيفون إليه شيئاً على حسب حالتهم المادية، فإذا كانت الزوجة متوسطة الحال تضيف إلى المهـر قـدر نصفه أو ثلثه أو ربعه على حسب سعة الحال، أما الفقيرة، فلا تضيف شيئاً[٦]. ويـبدو أن الجهاز كان يسجل بوثيقة منفصلة عن عقد الزواج، ففي إحدى وثائق بيت المقدس المؤرخـة سنة (٧٨٨هـ/١٣٨٦م) ونوعها إقرار بأن أحد الأعيان في القدس جهز ابنته بمبلغ عشرة آلاف درهم وشهد على ذلك ثلاثة أشخاص[٧]، وكانت العروس تجهز بالملابس المختلفة مـن القمصان والمناديل والملاءات والأزر وغيرها، والفرش والطرح واللحف بالإضافة إلى

---

(١) عبد الرازق، المرجع السابق، ص ٧٢.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص ٥١.

(٣) ابـن العراقي، ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، الذيل على العبر في خبر من عبر. تحقيق: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩، ج١، ص ١٦٠.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء: محمد بن إبراهيم بن عمر، محمد بن الحسين بن محمد، فرانز شتايز، ١٩٩٠، ج٢، ص ٦.

(٥) الادفـوي، الإمـام أبـي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد. تحقيق: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٥٣٢.

(٦) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ١٩٧-١٩٨.

(٧) العسلي، وثائق مقدسية، مج١، وثيقة رقم (٢٠٩)، ص ١٢٠-١٢٢. انظر: ملحق رقم (٤).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحلي من الذهب والفضة[1]، أما عن أثاث المنزل، فيروي المقريزي أن جهاز العروس غالباً ما كان يحتوي على دكة تشبه السرير مصنوعة من النحاس المكفت، أو الخشب المطعم بالعاج، أو الابنوس، أو من خشب مدهون، بالإضافة إلى سبع أواني من النحاس الأصفر المكفت بالفضة مختلفة الأحجام بعضها أصغر من بعض وسبعة أطباق مختلفة الأحجام والطشت والإبريق والمبخرة، وتقدر قيمة هذا الجهاز بما يزيد على مائتي دينار[2]. وكانت مصاريف الزواج باهظة، وغالباً ما تؤدي إلى استهلاك جميع أموال الزوج، فها هو الحسن بن محمد بن عبد العزيز الأسواني ت (٧٢٠هـ/١٣٢٠م) يعزي ازدياد فقره على فقر إلى زواجه ويذكر ما حصل له من تعب حتى تمزقت ثيابه ويصف ذلك بقوله:

(شعر شعبي)

ومقبلق ابق عازبٌ ... ساقتني المقاديرُ
أزوجتُ صرتُ مَعدُوداً ... من جملةِ المدابيرِ
كانَ قبلَ ذا النصافِ ... ليسَ لكلِ ساعةَ
تدروا أيش سببَ حراقي ... في الدنيا يا جماعةَ
حتى بقيَ يرى في ... أثوابي الخلاعة
لو يمموا عليه قالوا ... امتثل أساطيرَ
الأولين وأزوحَ ... واكتبْ عليكَ مساطيرَ[3]

ومنهم لم يتزوج أو اكتفى بزوجة واحدة لعدم القدرة على أعباء الزواج المادية، ويعبر ابن نباتة عن رفضه للزواج تلك الراحة التي قد تأتيه منه بقوله:

(بحر الرمل)

قال لي خلي تزوجْ تستريحَ ... من أذى الفقرِ وتستغني يقينا
قلت دعْ نُصحكَ وأعلمْ أنني ... لم أضعْ بين ظهور المسلمينا[4]

وحضرت امرأة إلى نائب مصر بيغا آروس[5] نائب السلطنة، ومعها ابنتان تريد تجهيزهما، وقالت له: مات زوجي وليس له غير اقطاعه فباع الإقطاع باثني عشر ألف درهم

---

(١) العسلي، المرجع السابق، مج١، وثيقة رقم (١٦٣)، ص ٢١٧.
(٢) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٦٠٦.
(٣) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٢١٨.
(٤) ابن نباتة، الديوان، ص ٥٣٥.
(٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص ٣٥٦. أعيان العصر، ج٢، ص ٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقـــال للمرأة:"خذي هذه الدراهم وجهزي ابنتيك بها"[١]، ورفع رجل قصته إلى الملك الناصر قال فيها:"إن له بنتاً استحقت الزواج وليس عنده ما يجهزها به، فأمر له بمال جزيل"، كما وجد في دمشق أوقاف لتجهيز البنات الفقيرات الحال وهن اللاتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن[٢].

ويـــنقل الجهـــاز في يوم معين إلى بيت الزوج إما على ظهور الدواب المجملة سروجها بالخـــرز والـــودع المعصبة رؤوسها بالمناديل الملونة، وإما على ظهور الحمالين. وقد اعتاد الأهالي في الغالب أن يقدموا أمام الدواب جماعة يلعبون بالسيوف والتراس والعصي، وآخرين معهـــم طبل وزمر وأمامهم واحد ينشد أدواراً من الزجل وهم يرددون وراءه ويصفقون حتى يصـــلوا إلى بيت الزوج فيوضع الجهاز[٣]. وهناك أهل الحارات وهؤلاء عادة لا يمكنوهم من الوصـــول إلى دار الزوجة إلا إذا قدموا عدداً من الأغنام هدية لهم، فيرد أهل الزوج بأنهم لن يـــأتوا بالأغنام إلا بعد أن يقدم لهم أهل الزوجة ضيافة حافلة فيذهب هؤلاء إلى بيوتهم ليعدوا الطعام. وبعد الأكل، وتقديم الأغنام، يعمد أهل الزوجة إلى عرض الأثاث، ونشر المتاع على ظهـــور الـــدواب، ورفـــع الحلـــي على رؤوس الحمالين، ويختلط الرجال والنساء في الأزقة والأسواق رافعين الصوت بالزغاليط، قاصدين المفاخرة والمكاثرة[٤].

الاحتفالات بالعرس

تكـــاد صورة العرس لا تختلف عما نراه في أيامنا هذه، تتحدث "أم رشيد الخاطبة" عما أعدتـــه لحفل العروس فتقول:"مسيتم بالسعادة يا ولدي، قد وقع الفاس في الرأس، فاعمل عمل الـــناس، أما أنا فقد درت المؤدنات، وصرت في الشوارع مثل الصانعة يا بنات، وأطلقت من الضـــامنة لـــيلة الجمعة، فأكتر للجلا ولو عشرين شمعة. وقد اكتريت زهر البستان، والمعنية الورد الطري الريان، والماشطة أم شهاب الدمشقية، والجلا في قاعة المهتار بالبرقية، فاعمل في كمك للنقوط من الدراهم والانصاف وإلا صفعونا بالدلاكش[٥] والاخفاف"[٦]. وتعطينا هذه الصـــورة أن هناك قاعة أعدت للعروس، بالإضافة إلى المغنيات اللاتي يؤتى بهن من ضامنة المغانـــي ثم يؤتى بالشموع وجرت العادة أن يكون هناك ماشطة للعروس، ويقوم الناس عادة بتقديم ما نراه في أفراحنا حتى اليوم.

---

(١) ابـــن الشـــحنة، أبو الفضل محي الدين محمد بن محمد، البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر "محمد بن قايتباي". تحقيق: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣، ص ٥٢.

(٢) الدمشقي، الدارس، ج٢، ص ٩٩.

(٣) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ١٩٨.

(٤) الحموي، نسمات الأسحار، ص ٣٣١-٣٣٣.

(٥) الدلاكش: نوع من أغطية الرجل. ابن دانيال، خيال الظل، هامش(١)، ص ١٧٤.

(٦) ابن دانيال، خيال الظل، ص ١٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومـــن العادات الشائعة أن يجتمع الناس عدة ليال في دار ذات ساحة فسيحة ويحضرون طبالاً وزماراً ويفتحون باب الدار لكل وارد، فيجتمع الناس ويضرب بالطبل والزمر إلى آخر الليل. وتسمى هذه الليالي "التعاليل" ومن العادات أن تطلق الألعاب النارية، وهناك الجبوة وهي أن يقوم واحد من قبل صاحب الحفلة ويقف أمام كل رجل ويمدحه وأهل بيته فيعطيه شيئاً من الدراهم حتى يستوعب جميع الحاضرين[١]. ويضاء بيت الزوج لعدة ليال بالشموع والمصابيح وأعلام صغيرة ملونة معلقة على أستار عبر الشوارع[٢].

فـــإذا كانت ليلة الدخول، تعد الوليمة من قبل أهل الزوج، وإذا كان الزوج فقيراً يستدين ويـــتكلف فوق طاقته، قاصداً بذلك تكثير الطعام وتحسينه لئلا يعاب عليه بتقصيره عن القدر الـــذي أولم به جاره، ويدعى إلى هذه الوليمة، الأكابر والأعيان والأصحاب وذلك حسب حالة الزوجيـــن ومنزلتهما[٣]. وبعد الطعام تغلق الأبواب على الضيوف والأصدقاء والمقربين، ولا يمكـــنون مـــن الخـــروج حـــتى يدفعـــوا "النقوط" فإذا دفع أحدهم شيئاً نودي عليه ويسمونه "شـــاباش"[٤]، فـــيقولون "شـــاباش يا فلان" أي نقوطك يا فلان، فإذا سمي الباذل للنقوط رفعوا أصـــواتهم بالزغاليط، خصوصاً إذا كان المنادى باسمه من وجوه الناس، وذلك لتقع المفاخرة والمغايرة بين الاقران[٥]. وقد جرت العادة أن يغرر المنادي بالضيوف فيقول:"اخلف الله عليك يا فلان، هذا أشرقي دينار" في الوقت الذي قد يكون فيه المبلغ المتبرع به "نصف فضة" فيدفع بعـــض الضيوف وينقطون بدينار حياءً أو خجلاً[٦]. وبعد ذلك يتوجه الجميع إلى الحمام على ضـــوء الشموع في زفة وسط تهليل الأصدقاء والمحبين حيث يغتسل العريس، ويلبس أحسن ثيابه، وغالباً ما يؤخذ العريس إلى منزل أحد الأصدقاء، بعد أن يطاف بالعريس في الشوارع هـــو ومـــن معه من الجموع وبجانبه شخص يسمى سخدوجا[٧]. ويصطف إلى جانبه صفان مـــتقابلان في يد كل واحد من أفرادها شمعة موقدة أو فانوس مسرج، وبينهم الطبال والزمار وجمـــيعهم يصـــفقون ويصـــيحون ويـــرددون الأغاني بصوت عال. وربما وجد مع هؤلاء الجماعـــات رجل يرمي بالشهب النارية المعروفة بالفتاش[٨]، أو ربما يركبون العريس الفرس

---

(١) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ١٩٨-١٩٩.

(٢) *Lane Pool, Cairo, P, 162.*

(٣) الحموي، نسمات الأسحار، ص ٣٣٣.

(٤) شاباش: كلمة فارسية للتحبب أو الثناء، مثل مرحى بالعربية. دوزي، تكملة المعاجم، ج٦، ص ٢٢١.

(٥) الحموي، المصدر السابق، ص ٣٣٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٧) ســـخدوجاً: يمشي على يمين العريس في حفلة العرس والذي يمشي على يساره يسمى وصيفاً. الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ١٩٩، هامش(٢).

(٨) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويطوفون به فقد وصف ابن دانيال زفة العريس قائلاً: فيدخل ويخرج في زفة، وقدامه المغاني والشمع منصفة، ومن خلفه البوقات والطبول، وهو راكب على فرس من أحسن الخيول[١].

أمـــا العروس، فتؤخذ إلى الحمام عدة مرات وفي كل مرة منها تغسل عند خروجها بماء الـــورد[٢]، وتصـــطحب معها عدداً من صديقاتها وقريباتها[٣]. وفي يوم الزفاف تقوم الماشطة بتزييـــن العروس ومن ذلك تحمير الوجه، والخضاب بالحنا، والوشم[٤] وتطريف الأصابع[٥]، ونتف الحواجب، وتكحيلها وتمشيطها ثم إلباسها أفخر الثياب المطرزة، فتخرج العروس وهي تضـــع علـــى رأسها ما يسمى بالشربوش[٦]، ومستورة الوجه بمنديل مذهب منقوش[٧]، ومن العادات المألوفة في يوم الزفاف أن العروس غالباً ما تبدل ملابسها أكثر من مرة يوم الزفاف، فـــتأخذها ماشـــطتها إلى غرفة، وتخلع عنها ثيابها وتضع عليها ثياباً أخرى، وتلبسها عمامة كعمامـــة القاضي والفقيه والجندي[٨]، حيث عمد الناس في مصر والشام على إلباس العرائس لباس الرجال من جندي وقاضي، وهذه من العادات الغريبة في هذا العصر.

أمـــا النساء فقد كن يتزين ويجتمعن في بيت الزوجة وترتدي النساء في هذا اليوم أفضل ما لديهن من ملابس وحلي، وفي أيديهن الشموع[٩]. ثم يستقبلن العريس بالزغاليط على ضوء الشموع، فتعضده اثنتان من قريباته ويجلسنه في مكان مرتفع وسط حفل ليس فيه إلا النسوة، فتتقدم كل امرأة منه، وتلصق الدراهم بين عينيه[١٠]. ويبادر الزوج إلى رفع "الجلاية"عن وجه العـــروس، ثم تقوم العروس بالدوران حول العريس، وكلما دارت مرة لصق الزوج ومن معه مـــن أقاربهمـــا الدراهم على جبهتها وخديها[١١]، وقد جرت العادة في الأفراح في عصر دولة الممالـــيك أن تقدم العروس لزوجها في اللحظة التي تجلى عليه سيفاً فاخراً تمسكه من طرفه

---

(١) ابن دانيال، خيال الظل، ص ١٧٤.

(٢) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ١٩٩.

(٣) *Lane Pool, Cairo, P, 163.*

(٤) الوشم: وهو أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك حتى يسيل الدم ثم يحشـــى ذلك الموضع بالكحل ونحوه فيخضر، وقد ذكر الحموي أن الوشم حرام فعله وفاعله وطالبه ملعون لقوله عليه السلام:"لعن الله الواشمات والمستوشمات". الحموي، نسمات الأسحار، ص ٣٣٥.

(٥) طرف بنانه: خضب أطراف أصابعه بالحناء. الحموي، المصدر السابق، ص ٥٣٥، هامش (٢).

(٦) الحموي، المصدر السابق، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٧) ابن دانيال، خيال الظل، ص ١٧٤.

(٨) الحموي، المصدر السابق، ص ٣٣٦. *Lane Pool, Cairo, P, 163*

(٩) *Lane Pool, Op, Cit, P, 163.*

(١٠) الجلـــى: ضـــد الخفي، أي وضح وكشف، وجلا العروس يجلوها جلاء، بمعنى نظر إليها فجلوه. الرازي، مختار الصحاح، ص ١٠٨.

(١١) الحموي، المصدر السابق، ص ٣٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيتناولـــه العريس من مقبضه "فيأخذ السيف منها، ويضربها ببطنه على رأسها ثلاث ضربات" علامة الخضوع[١]. وغالباً ما كان العرس يقام في دور خصصت للأفراح يستأجرها أصحاب الفرح من أصحابها لإقامة العرس فيها، وأطلق عليها الحموي اسم "مرسحاً"[٢]، وقد ذكرت أم رشـــيد الخاطـــبة إنهـــا استأجرت "قاعة المهتار بالبرقية" ليكون عرس الأمير وصال فيها[٣]. ويســـتأجر كذلك المغنيات لإحياء حفلة الزفاف ويجلس العروسان على كرسي مرتفع وتضاء حولهمـــا الشـــموع، وينشـــغل من حولهما بالغناء والرقص وتقديم النقوط[٤]، ويستمر الغناء والطرب والرقص حتى أواسط الليل وأحياناً حتى الصباح[٥]. وفي نهاية المطاف وعند توجه العروســـين إلـــى غرفتهما الخاصة، فالعادة أن أم العروس تحول بينهما وبين الدخول، إلا أن يمـــرا من تحت رجليها، علامة الخضوع[٦]. وبعد أن يستقر الزوجان في غرفتهما، تراقبهما النســـاء من كوات[٧] أعدت لهذا الغرض، وتستمر المراقبة حتى الصبح. فإذا لم يسمعن لهما صـــوتاً، طرقـــن الـــباب عليهما، وحركن عزمهما، هذا وقد علمن الزوجة-مسبقاً- الممانعة والبسنها سروالا عقدن عليه كذا وكذا عقدة، ولا يغادرن أماكنهن إلا بعد نجاح الزوج والتيقن من عفاف الزوجة[٨].

ومن التقاليد المألوفة في الأفراح، والتي ما زالت موجودة حتى أيامنا وخاصة في الريف "لـــيلة الحـــنة" أو ليلة النقش، فقبل ليلة أو ليلتين من الزفاف يدعو أهل الزوجة إليهم أقاربهم وأحـــباءهم من النسوة ويفرقون عليهم الحناء، ويكون المدعون قد أرسلوا هداياهم على حسب أقدارهم إما أرزاً، أو سكراً، أو شاة، أو ثوباً، وغير ذلك[٩].

أما الفلاحون فاعتادوا أن يطوفوا بالعريس في أنحاء القرية وسط ضرب الطبول ومدح المنشـــدين وحوله الجدعان تخبط بالنبابيت، ولا يزالون به حتى يصل إلى بيت العروس حيث يقام حفل صاخب يشترك أصحاب الرباب والنساء يزغردن وينثرن الملح على العروس خوفاً عليها من الحسد[١٠].

---

(١) الحموي، نسمات الأسحار، ص ٣٣٦. العلبي، دمشق، ص ١١٣.

(٢) وقد شاع في أيامنا هذه تقديم حرف السين على الراء. الحموي، المصدر السابق، ص ٣٣٧.

(٣) ابن دانيال، خيال الظل، ص ١٧٤.

(٤) الحموي، المصدر السابق، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٥) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ٢٠٠.

(٦) الحموي، المصدر السابق، ص ٣٣٦.

(٧) كوات: جمع كوة، وهو ثقب البيت. الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٨٥.

(٨) الحموي، المصدر السابق، ص ٣٣٦-٣٣٧.

(٩) الغزي، نهر الذهب، ج١، ص ١٩٩.

(١٠) عاشور، المجتمع المصري، ص ١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك وجد في القصص الشعبي المعاصر بعض إشارات لأفراح الأعراب، عندما ترقص الجارية وسط مجموع الرجال، ثم تطوف عليهم وفي يدها الرق لتجمع "عوايدها من العرب"[١]، وقد انحدرت منزلة المرأة البدوية في هذا العصر إلى حد الهوان في بعض مجتمعات البدو، إذ كانوا يعاشرون النساء دون زواج ولا يورثون البنات. ويستنكر السبكي ذلك أشد الاستنكار في سياق حديثه عن أمراء العرب في عهده فيقول:"وكثيراً من العرب لا يتزوجون المرأة بعقد شرعي، إنما يأخذونها باليد، وربما كانت في عصمة واحد فنزل عليها من هذه؟ لا جرم أنهم يلدون إلا فاجراً، ومن قبائحهم أنهم لا يورثون البنات ولا يمنعون الزنا في الجواري، بل جواريهم يتظاهرن بالزنى مع عبيدهم، وكل ذلك من الموبقات العظام"[٢].

ضمان المغاني

كان المماليك يحبون الاستمتاع بالحياة بسبب ما تمتعوا به من ثراء وخصوصاً في دولة المماليك الأولى، لذا أقبلوا على الملاهي، وأحاطوا أنفسهم بأصحابها[٣]. وقد شهد المجتمع المصري ازدهار فنون الطرب والغناء وضروب اللهو نتيجة للرواج الاقتصادي الذي عم البلاد من جراء مرور تجارة الشرق بها[٤]. وكانت دنياهم تموج بالطرب والعطاء والشهوات والإسراف فيها ليلاً ونهاراً، وأصبح الغناء ضرورة من ضروريات حياتهم، ولا يرون الحياة إلا على ضرب الدفوف والأعواد وترنيم الأشعار وألحان الغناء[٥]. وقد اشتهر عن السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، أنه كان يحب اللهو والطرب، ويميل إلى سماع الآلات، ويقرب المغاني، ويحب أرباب الفن من المغاني قاطبة[٦]. وكانت مجالس الغناء تقام في قاعات خاصة بالقصر مثل قاعة الدهيشة، التي عمرها السلطان الملك الصالح إسماعيل، فقد كان محباً للهو مقبلاً عليه وعلى النساء والمطربين، واتخذ هذه القاعة مكاناً للهو وسماع الغناء والاستمتاع بمشاهدة الرقص وسماع الموسيقى. وعندما أنجب السلطان الملك الصالح ولداً ذكراً من المغنية السمراء "اتفاق" عمل لها فيها حفلاً بلغ الغاية التي لا توصف[٧].

---

(١) عاشور، المجتمع المصري ، ص ١٢٢.

(٢) السبكي، معيد النعم، ص ٤٨.

(٣) ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك، ص ١٦٤.

(٤) محمود، الجواري، ص ٨٠.

(٥) المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٦) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٥٧٧-٥٧٩.

(٧) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٦٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استأثرت النساء بالحظوة في مجال الطرب، وإن كثيرات منهن برعن في العزف على آلاته المختلفة، فهناك من أتقنت العزف على العود وهناك من أتقنت عزف المزمار، وهناك ضاربة الدف إلى غير ذلك[1]. وكل ذلك نراه فيما نقرأه من شعر هذا العصر، فهذا سيف الدين المشد يصف تلك العوادة التي تحتضن عودها في حنان، وتضبط أوتاره في مهارة:

(بحر المتدارك)

وحاضنةُ جنيناً ناطقاً ... وتكرمُ مثواهُ مثلَ الولدِ
تدغدغُ أحشاءَه صالحاً ... وتفركُ آذانه إنَ فسد[2]

ويقول في جارية تغني وتضرب على الدف:

(بحر المتقارب)

وجاريةٌ قرعتْ طارها ... وغنتْ عليه بصوتٍ رخيمِ
فعاينَتْ شمسُ الضحى أقبلتْ ... وبدراً تقدمَها لا يريمْ[3]

ويقول ابن نباتة في مجموعة من الغواني يضربن الدفوف والعيدان:

(بحر الخفيف)

وغوانٍ تُغنى عن الطيبِ والحلى ... لهذا تسمى الحسانُ غواني
ضارباتُ الدفوفِ في جيشِ لهوٍ ... طاعناتُ الهمومِ بالعيدانِ[4]

وفي هذه المجالس يكون للجمال نصيبه في إحداث اللذة إلى جانب الصوت الحسن، وتمتزج لذة السماع بلذة النظر. ولعل هذا الامتزاج يظهر بوضوح في أبيات ابن نباتة، فاللذة ليس مبعثها الغناء أو العزف وحده، وإنما هي أيضاً ناشئة عن جمال الخلقة وفي تلك المغنية ذات الدلال وفي ذلك يقول الشاعر:

(بحر الطويل)

بروحي هيفاءُ المعاطفِ حلوةٌ ... تكادُ بألحاظِ المحبين تشربُ
لقد عذبتْ ألفاظها وصفاتُها ... على أنَ قلبي في هواها معذبُ[1]

---

(١) أمين، أدب العصر المملوكي، ص ٣٧١.
(٢) ابن المشد، ديوانه، ص ٧٥.
(٣) ابن المشد، المصدر السابق، ص ١٤٣.
(٤) ابن نباتة، الديوان، ص ٥١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول أيضاً:

(بحر مجزوء البسيط)

تحـــثُّها بالغـــناءِ غانـــيةٍ ... تعـــربَ عـــن لحـــنِ الخلـــودِ
إن شـــئتَ كالغصـــنِ ذاتِ مـــنعطفٍ ... أو شـــئتَ كالطـــيرِ ذاتِ تغـــريدِ
تكـــادُ إن مـــسَ عودهـــا يدَهـــا ... تجـــري مـــياهُ الـــدلالِ فـــي العـــودِ[٢]

ومـــن أشهر المغنيات في هذا العصر خوبي العوادة، نسبت إلى العود لفنها في الضرب على العود، فقد كانت مغنية بارعة في ضرب العود، اشتراها بكتمر الساقي بعشرة آلاف دينار مصرية، ولما مات في طريق الحجاز كسرت عودها لحزنها عليه[٣]، والمغنية "زهرة" شغف بها الأمير أنوك ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون حتى بلغ السلطان ذلك، فأسر السلطان للأمير أقبغا عبد الواحد أن يلزم شاد المغاني بالإنكار على المغاني حضورهن مجالس الخمر وإقامـــة الفتن، وإلزامهن بمال يقمن به عقوبة لهن على ذلك، من غير أن ينسب إلى السلطان أنه أمر به رعاية لانوك. ونتيجة لذلك امتنعت الزهرة عنه عدة أيام، وما زال حتى أتته سراً، ولهـــي بهـــا عـــن زوجـــته ابنة الأمير بكتمر الساقي فنم بعض المقربين للسلطان إليه بذلك، فاستدعى الأمير أنوك وهم بقتله بالسيف، لولا زوجته أم الأمير أنوك وجواريه منعنه من ذلك، فخـــاف الأمير أنوك ولزم الفراش أما السلطان فرسم ببيع الدار التي عمرها الأمير أنوك لتلك المغنية ببركة الحبش، ومنعه من الاتصال بتلك المغنية[٤].

ونذكـــر كذلـــك المغنـــية "بياض" التي اشتهرت بالعزف على العود، وكانت تجيد الغناء وشـــهرتها بيـــن الـــناس كبـــيرة، وكان للناس بها اجتماعات في مجلس أنسهم، فلما سمع بها السلطان الناصر محمد بن قلاوون طلبها واختص بها وحظيت عنده وولدت له الملك الناصر شهاب الدين أحمد[٥]. ويذكر أيضاً أن مغنية من الكرك ذاعت شهرتها في تلك المدينة فانتقلت إلـــى القاهـــرة وعرفت هناك باسم الكركية، استأثر بها السلطان المظهر حاجي وهام بها[٦]. وعزيـــزة بنـــت الســـطحي وكانت من أعيان مغاني مصر وتميزت بحسن الصوت وفصاحة بإعـــراب الشـــعر، ورأت من الأعيان وأصحاب الدولة غاية العز والعظمة، وكان لها شهرة

---

(١) ابن نباتة، الديوان، ص ١٦٠.

(٢) ابن نباتة، الديوان، ص ١٦٠.

(٣) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٢، ص ١٨٤.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٥٩٣-٥٩٤.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٥٩٣-٥٩٤.

(٦) غوانمة، تاريخ شرقي الأردن، ص ١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زائدة (ت سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م) [١]. ويبدو أنه نتيجة لازدهار فنون الغناء والطرب أن تألق نجم كثير من كبار أهل هذه الفنون بدليل ما يذكره ابن اياس عن وفيات سنة ٩١٧هـ/١٥١١م فيقول: توفيت في هذه السنة الريسه انعام وكانت من أعيان مغاني البلد، ولا بأس بها. وفي نفس السنة توفيت الريسه خديجة أم خوخة وكانت من أعيان المغاني ولها في هذا الفن اليد الطويلة، وقبل ذلك بأيام قلائل توفيت الريسة بدرية بنت جريعة وكانت من أعيان المغاني ولها شهرة كبيرة وغيرهن كثير[٢].

ولم يكن مستغرباً أن يتزوج السلاطين من الجواري المغاني، وذلك بعد عتق الجارية منهن، وأشهر هؤلاء على الإطلاق "اتفاق" العوادة التي دخلت بيت السلطان الناصر محمد بن قلاوون فحظيت عند ابنه الصالح إسماعيل، فولدت له ولداً ذكراً فاختصها بنفيس الجوهر[٣]. وبعد وفاة الملك الصالح، باتت اتفاق عند أخيه الملك الكامل شعبان من أول ليلة لسلطنته، لما كان في نفسه منها أيام أخيه، ونالت عنده من السعادة والحظ ما لا عرف في زمانها لامرأة غيرها حتى أن الكامل عمل لها داير بيت طوله اثنان وأربعون ذراعاً وعرضه ستة أذرع بما قيمته خمس وتسعون ألف دينار وهذا خارجاً عن البشخاناه والمخاد والمساند[٤]. وكان لها أربعون بذلة ثياب مرصعة بالجواهر واللآلى، وثمانون مقنعة أقلها بمائتي دينار، وستة عشر مقعد زركش[٥]، وبعد مقتل الملك الكامل وتولية أخيه الملك المظفر حاجي ما لبث أن طلبها، فطلعت إلى القلعة بجواريها وخدامها وتزوجها السلطان وفرش تحت رجليها ستين شقة أطلس، ونثر عليها الذهب. ثم ضربت بعودها وغنت فأنعم السلطان عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات ثمنها أربعة آلاف دينار[٦]. كما أعطاها أضعاف ما كان يعطيها أخواه، وهام بها فأفرط[٧]. وهذا ثالث سلطان يتزوج بهذه الجارية السوداء، وحظيت عنده مما جعل المؤرخ ابن تغري بردي يعد ذلك من الغرائب فقال:"على أنها سوداء حالكة، لا مولدة، فإن كان من أجل ضربها بالعود وغنائها فيمكن من تكون أعلى منها رتبة في ذلك وتكون بارعة الجمال بالنسبة إلى هذا فسبحان الله"[٨]. أما نهاية حياتها، فقد أخرجت في أيام الناصر حسن من

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٨.

(٢) ابن اياس، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٣٠.

(٣) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٨٣.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢٠. انظر:

Irwin, Mamluk Sultanate, P, 130

(٥) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٨٣-٨٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢٠.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٣، ص ٧٢٠-٧٢١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢٣.

(٧) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٨٤.

(٨) النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢٣. انظر: *Irwin, Op, Cit, P, 133*

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصر وقطعت رواتبها وتزوجها الوزير موفق الدين هبة الله بن السعيد إبراهيم ورتب لها في السنة سبعمائة ألف درهم إلى أن مات عنها وتنقلت بها الأحوال إلى أن ماتت[١]. ومن هؤلاء "ياسمين" والدة الأمير علي نوري ابن الأمير علي باني قشتمر الناصري، المعروفة بجارية جميل، كانت مغنية مشهورة، تزوجها الأمير شرف الدين علي بن قشتمر (ت سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) بعد أن اعتقها وكتب لها صداقاً ألف دينار[٢]، وقد حاكى كبار رجال الدولة والأعيان السلاطين والأمراء بالزواج من المغنيات، فالقاضي عبد الرحيم بن أحمد الحلبي (ت سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) ذكر السخاوي أنه تزوج المغنية ابنة السطحي[٣]. أما المغنية "خديجة الرحابية" فكانت بارعة في فن الغناء والإنشاد، وتزوجت الشريف علي بن بركات (ت سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م) [٤].

وكان من العادات المألوفة أن يقتني السلاطين والأمراء والأكابر بعض الجواري الحسان، ذوات الدلال. واقتضى ذلك أن يمتلك كل واحد في داره جوقة كاملة من المغاني، فالسلطان المنصور حاجي بن الناصر محمد بن قلاوون كان عنده جوقة مغاني نحو عشر جوارٍ، يزفون بالطارات عند الصباح، وعند المساء. كما كانت عادة الملوك والأمراء في تلك الأيام، أن يكون عندهم الجواري المغاني، وآخر من فعل ذلك الأمير جمال الدين محمود الاستادار، ثم بطل ذلك من مصر جملة ما بطل من محاسن عيشة الأكابر. ولأجل ذلك اتخذوا المغنيات التي تشرف على الدور وجعلوها برسم الجوار المغاني، التي يزفون عند المساء وعند الصباح. ولما مات الملك المنصور، استمرت جواريه المغاني يعملن الأفراح للناس، وكن يعرفن بجوقة المنصور[٥]، وذكر المقريزي لما تزوج الأمير أرغون النائب ابنة السلطان الناصر أحيا الحفل ثماني جوق من مغاني القاهرة، بالإضافة إلى عشرين جوقة من جواري السلطان والأمراء[٦].

وكان يتم الحصول على جواري المغاني بالإضافة إلى المهاداة عن طريق ضامنات المغاني، اللاتي كن يشترين الجواري اللاتي يتمتعن بصفات معينة مثل الظرف، وجمال الصوت وحسن الأداء، والجمال وصغر السن، ويعهد بهن إلى نساء ماهرات في تربية أمثالهن على أسرار الفنون، ولا يفارقن معلماتهن إلا بعد أن يحذقن جميع ما يحتجن إليه في حياتهن

---

(١) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٨٤.

(٢) الملطي، نزهة الأنام، ص ١٨٩-١٩٠.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص ١٦٩.

(٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص ٣٣.

(٥) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص ٥٩٣.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٢، ق١، ص ٢٤٧. المقفى، ج٥، ص ٤٥٥. الخطط، ج٢، ص ٦٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقـــبلة بعد ذلك[١]. وعلى أيدي المعلمات والمعلمين، نشأ العديد من الجواري المغنيات، مثال ذلـــك المغنية "اتفاق" اشترتها ضامنة بدون الأربعمائة درهم من ضامنة المغاني بمدينة بلبيس، ثـــم انتقلت إلى مصر فعلمتها ضرب العود على الأستاذ عبد علي العواد فمهرت فيه، فقدمتها لبيت السلطان الناصر محمد فاشتهرت فيه، حتى شغف بها وتزوجها ثلاثة سلاطين[٢]. وكان لغنائها وحلاوة صوتها وما اشتهرت به من الضرب على العود، أن ثلاثة أخوه من السلاطين شغفوا بها.

والجديـــر بالذكـــر أن كل ضامنة من ضامنات المغاني كانت تدفع عن نفسها وعن كل جاريـــة في حوزتها من الجواري المغاني أو الراقصات مبلغاً من المال":وهو عبارة عن مال كبـــير، مقـــرر على المغاني، من رجال ونساء، يردونه في كل سنة إلى الديوان"[٣]، ويسمى "ضـــمان المغانـــي"، وهـــذا الديوان كان له "شاد" أي مسئول عنه يقوم بجمع المال ورده إلى الديوان[٤]، بحيث لا تستطيع واحدة منهن أن تضرب بدف في عرس أو ختان أو نحو ذلك إلا بـــإطلاق وتصريح، وعلى كل إطلاق فريضة مقررة من مال ترد إلى الديوان المفرد، وكان على كل مغنية مال مقرر تحمله إلى الضامنة[٥]. فإن باتت في غير بيتها قامت بمال للضامنة وفـــي كـــل لـــيلة يدور على بيوت المغاني جماعة من جهة الضامنة لمعرفة من باتت خارج بيتها[٦]. وعن ضمان المغاني يقول العسقلاني"وكان ضمان المغاني من القبائح الشنيعة ما كان أحـــد يقـــدر أن يعمـــل عرساً حتى يغرم قدر عشرين إلى ثلاثين مثقالاً ذهباً، وكانوا بمصر والقاهرة لا تغيب مغنية عن بيتها ولو إلى زيارة أهلها إلا أخذ الضامن منها رشوة"[٧]. ويذكر المقريزي أن العرس ما كان يتهيأ حتى يغرم أهله للضامنة خمسمائة درهم فما فوقها، بحسب حـــال أهل العرس[٨]. وأما في بلاد الصعيد والوجه البحري فإنه يفرد حارات للمغاني والبغايا تقوم كل واحدة منهن بمال مقرر، فيكون هناك من التجاهر بالزنا وشرب الخمر، حتى لو مر غريب بتلك المواضع من غير أن يقصد الزنا لألزم بأن يأتي بغياً من تلك البغايا، ويكره على ذلـــك أو يفتدي نفسه بمال يدفعه إليها، حتى تقوم به مما عليها من الضريبة المقررة عليها في

---

(١) محمود، الجواري، ص ٨٨.

(٢) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص ٨٣-٨٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص ١٢٢-١٢٣.

(٣) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ١٦٦. انظر: غوانمة، تاريخ شرق الأردن، ص ١٢١.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٩٢.

(٥) ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ٦٦٠.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ٢٦٦.

(٧) العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص ١٩١.

(٨) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ٢٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كل يوم[١]. فاعتبرت المغنيات موظفات وكان عليهن الحصول على ترخيص لممارسة عملهن، وبذلك كانت تُسجّل أسماؤهن عند الضامنة لهذه الضريبة أو المكس؛ لأنه توجب على المغنية دفع مبلغ من المال عن كل حفلة تؤديها، وكان على كل من يقيم حفلة أن يدفع للضامنة مبلغاً مقرراً.

وقد جرت عدة محاولات لإلغاء هذا المبلغ الذي أطلق عليه الضمان، ولكن سرعان ما كان يتجدد لسوء الأحوال المادية التي أخذت تعاني منها البلاد ولكثرة ما يتحصل منه من المال الكثير. مثال ذلك ففي سنة (٧٦٢هـ/١٣٦٠م) أبطل الأمير سيف الدين بيدمر نائب السلطنة مكس الأفراح، وأبطل أن لا تغني امرأة لرجال، ولا رجل لنساء[٢]. وفي سنة (٨٧١ هـ/١٤٦٦م) قام الأمير يشبك بن مهدي الظاهري جقمق كاشف الصعيد ونائب الوجه القبلي بابطال أجواق مغاني العرب[٣]. وقد ذكرت المصادر المعاصرة في سنة (٧٧٨هـ/١٤٧٢م) أن السلطان الأشرف شعبان رسم بابطال ضمان المغاني، ووردت المراسيم بابطال ذلك إلى ضواحي مصر وأعمالها، وكان قد بطل ذلك في الزمن القديم، وأعاده وزراء السوء لكثرة ما يتحصل منه من المال الجزيل[٤]، وفي سنة (٧٨٢هـ/١٣٨٠م) أبطل السلطان الظاهر برقوق ضمان المغاني بمدينة حماة، ومدينة الكرك، ومدينة الشوبك ومصر والقاهرة[٥]، وكان لبعض المغنيات ممن حظين عند السلاطين دور في إسقاط هذا المكس لبعض الوقت ومن هؤلاء المغنية الدمشقية "دنيا بنت الأقباعي" توفيت سنة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م) وقد اشتهرت بالتقدم في صناعتها فاستدعاها الملك الناصر حسن على البريد فأكرمها، ثم وفدت على الملك الأشرف فحظيت عنده ويذكر العسقلاني أنها كانت من أعظم الأسباب في إسقاط مكس الأغاني سألت السلطان ذلك فأجاب[٦].

ويبدو أن الكثير من هؤلاء الجواري وضامنات المغاني كانت لهن ثروات طائلة، فقد ذكر ابن اياس ما حدث لضامنة المغاني "هيفة اللذيذة" فقد رافعها بعض أعدائها بأن لها دائرة كبيرة من المال، فلما سمع السلطان قانصوه الغوري ذلك قبض عليها وأقامت في الترسيم،

---

(١) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ٢٦٦-٢٦٧. ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ١٦٦-١٦٧. العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص ١٩١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٢٨١.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص ٢٧٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ٢٦٦. ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص ١٦٦. العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص ٢٧٢.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ق١، ص ٤٠٥. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص ١٢. ابن قاضي شهبة، تايخه، ج٣، ص ٣٩. العسقلاني، أنباء الغمر، ج٢، ص ١٦. انظر: غوانمة، المرجع السابق، ص ١٢١.

(٦) العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص ٢٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرضت للضرب أكثر من مرة وقرر عليها خمسة آلاف دينار[١]. أما مصدر تلك الثروات، فكان مما يغدقه هؤلاء السلاطين والأمراء على المغاني في المناسبات السعيدة، وأهمها احتفالات الزواج التي تميزت بالمبالغة والإسراف، فقد كن يحصلن على النقوط والخلع من أموال نقدية وعينية من أصحاب الفرح ومن الحضور ككبار الأمراء ورجال الدولة ونسائهم[٢]. أو المناسبات الاجتماعية الأخرى كالاحتفال بالمولود والأم وخاصة إذا كان المولود ذكراً، ومن الأمثلة على ذلك ما يرويه المقريزي أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) من أنه ولد للسلطان ابنه الصالح من زوجته ابنة الأمير تنكز نائب الشام، وعمل لها الفرح سبعة أيام وحضرت نساء الأمراء والعيان، فحصل للمغاني شيء كثير، حتى أن مغنيات القاهرة جاء قسم كل واحدة منهن عشرة آلاف درهم، سوى التفاصيل الحرير والمقانع[٣]. ويذكر أنه عندما قدم الأمير تنكز إلى مصر بناء على طلب السلطان أنعم السلطان على مغنية قدمت معه من دمشق بعشرة آلاف درهم، وحصل لها من الدور السلطانية ثلاث بدلات زركش، وثلاثون تعبية قماش، وأربع مقانع وخمسمائة دينار، فبلغ متحصلها نحو سبعين ألف درهم[٤].

وقد جرت العادة لديهن على أنه متى انتهت إحداهن من الغناء أو الرقص قامت إحداهن والدف بيدها لجمع النقوط من الحاضرين، وذكر ابن تغري بردي عندما حضر الأمير جمال الدين ايدغدي بن عبدالله وهو من أكابر الأمراء (ت سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م) أحد الاحتفالات، فلما غنت المغاني قام أحدهم والدف بيده لينقطوه، وأشار إلى خانداره، فوضع في الدف كيساً من ألف درهم، كذلك فعل سائر مماليكه، فقد حصلت حسان المغاني منه ومن غلمانه على نحو ستة آلاف درهم[٥]، وكان للمغنين والمغنيات رواتب من قبل الدولة، عرفت برواتب الغاني[٦].

---

(١) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص ٣٨٥.

(٢) انظر: احتفالات الزواج عند الخاصة من السلاطين والأمراء في الصفحات السابقة.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٣٢.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٢، ق٢، ص ٤٦٢.

(٥) ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص ١٦٠-١٦١.

(٦) العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٥، ص ١٣٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

لـم يكـن العرب قبل الإسلام يسيرون على طريقة واحدة في الزواج، بل عرفوا أنواعاً وأشكالاً مختلفة، منها المخادنة، والمضامدة، ونكاح المقت أو الضيزن، والاستبضاع والشغار، والمـتعة. بالإضافة إلى بعض الظواهر الاجتماعية منها، ظاهرة البغاء أو الزنا، والجمع بين الأختيـن، وتعدد الزوجات وغيرها، أما الزواج الأكثر انتشاراً فقد كان "زواج البعولة"، وهو الـذي يقـوم على الخطبة والمهر، إذ كانوا يخطبون الفتاة من أبيها أو وليها، ثم يقدم الزوج المهـر وبعدهـا يتم الزفاف والاحتفال بالعرس بإقامة الولائم والغناء والضرب على الدفوف، وتزف الزوجة إلى زوجها بموكب مولفاً من الرجال والنساء على الإبل المزينة.

وعـندما جاء الإسلام، حث على الزواج، لما له من أثر بالغ في حياة الفرد والمجتمع، ورغـب فـيه وبين مزاياه، ووضع الشرع له أحكاماً وأركاناً، فوصف للرجل ممن يبتغي من النسـاء وبيـن قواعد الخطبة، ثم وضع شروطاً لعقد الزواج، ودعا الرسول ﷺ إلى إعلان الـزواج بإقامـة الولـيمة والغناء والضرب على الدفوف، وأوجب الإسلام المهر أو الصداق للـزوجة، أمـا قيمته، فلا يوجد حد أدنى للمهر، ولا حد أعلى لأكثره، إلا أن الإسلام خفضه وجعلـه رمزياً وجرده من عنصر الثمن والمادية تيسيراً للزواج، ويجب المهر للزوجة شرعاً بمجـرد العقد، حيث لا يجوز الزواج بلا مهر، ولم يزد مهر أو صداق الرسول ﷺ لأزواجه أكثر من خمسمائة درهم.

أما مراسيم الزواج في عهد الرسول ﷺ وأصحابه فقد تميزت بأنها سهلة وبسيطة خالية مـن أي نـوع من أنواع الترف والبذخ، وكانت المهور قليلة جداً إذا ما قورنت بالمهور التي قدمـت للمرأة في العصور اللاحقة، وعلى الرغم من ذلك كانت المرأة تتمتع بمكانة عالية في المجتمع الإسلامي.

تمتعـت المرأة بمكانة لائقة في المجتمع الإسلامي في مختلف العصور الإسلامية، تمثل ذلـك بـتقديم المهـر أو الصداق ذا القيمة الكبيرة لها، وحيازة النساء للثروات الطائلة، ومنح المـرأة الألقـاب العديدة، ولم يقتصر ذلك على نساء الفئة الحاكمة، وإنما تعدى ذلك إلى نساء العامـة مـن الناس، وكان للمرأة نصيب كبير في الحياة العامة، فلعبت دوراً كبيراً ي الحياة السياسـية فـي الدولـة، تمثل ذلك بظهور شخصيات نسائية بارزة تدخلت في شؤون الحكم وصـارت تدبر أمور الدولة من ولاية وعزل وغيره، ومن الأمثلة على ذلك "ست الملك" في العصر الفاطمي، و"عصمة الدين ضيفة خاتون" ابنة الملك العادل في العصر الأيوبي و"شجر الدر" و "خوند زينب" في عصر دولة المماليك وغيرهن الكثير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشـــاركت المـــرأة في الحياة الاجتماعية والعلمية والدينية، وقامت بمشاريع تتسم بطابع البر والإحسان، فقامت ببناء المدارس والمساجد والخانقاوات والربط، وحبس الأوقاف الكثيرة على هذه المنشآت.

ومـــن الأمـــور الوثيقة الصلة بالترف والرفاهية أدوات الزينة، فاهتمت المرأة المسلمة بأدوات الزينة وبكل ما يبرز جمالها ومن أدوات الزينة الملابس والمصاغ والمكاحل والعطور والمرايا.

وكانت ملابس المرأة الفاطمية من الأقمشة الغالية الثمن منها الديباج والحرير والشرب، وتـــتكون تلك الألبسة من أغطية الرأس والوجه بأشكالها المتنوعة، مثل: العصابة، والخمار، والمعجـــر، والبخنق، والبرقع وغيرها، ومن الملابس الداخلية: الغلالة، والسروال، والقميص، والـــثوب. أمـــا الملابـــس التـــي استعملتها المرأة عند الخروج من المنزل فهي كثيرة ومنها: المـــلاءة، والازار، وقـــد أقبلـــت المرأة على التحلي بالحلي والمصاغ من الأساور والأقراط، والقلائد والخواتم، والخلاخيل، إذ كانت تصنع من الذهب والفضة المطعمة بالأحجار الكريمة واللؤلؤ. كما استخدمت المرأة المكاحل والمرايا، واهتمت بالعطور والبخور والطيب، ولبست النساء بأرجلهن أنواعاً من الخفاف.

أمـــا فـــي عصر دولة المماليك فقد تفننت المرأة في مختلف الوسائل التي تبرز جمالها وفتنتها، فإلى جانب اهتمامها بتزيين الوجه والعيون، اهتمت بطلاء الأظافر، والوشم، واهتمت بتزيين شعرها، واهتمت بالحلي والمجوهرات، وظهرت أنواع جديدة من الملابس، إضافة إلى مـــا كـــان معـــروفاً في العصور السابقة، فقد ظهر في هذا العصر نوع خاص من القمصان انتشـــرت موضته بين النساء وأطلق عليه اسم "البهطلة" والقمصان الكمشبغاوية، والسراقوش والعصائب المقنزعة، والشاش، والشربوش، وهي من أغطية الرأس، والطرحة والمقنعة وهي مـــن أنـــواع الحجـــب، ولبســـت النساء بأرجلهن، بالإضافة إلى الخفاف، الأخفاف المثمنة أو السراموزة، والمداس، والأوطية المرصعة، والقبقاب وغيرها.

وقد أباح الإسلام التسري بملك اليمين دون تحديد، فأصبح اقتناء الجواري والتسري بهن يعـــد مـــن مظاهر الترف في المجتمع الإسلامي، لذا جلبت الجواري من عناصر مختلفة إلى المجـــتمع الإسلامي، وفي أحيان كثيرة تزوج السيد جاريته، وكان للجواري تأثير واضح على الحـــياة الاجتماعية والسياسية، فتدهورت مكانة المرأة اجتماعياً، وتبدلت النظرة إليها تدريجياً، حتى صارت مجرد سلعة تباع وتشرى، ونظر إليها نظرة استخفاف وازدراء في نهاية عصر دولة المماليك.

كانـــت الفتوحات الإسلامية، وسيطرة العرب والمسلمين على طرق التجارة من العوامل الهامـــة التـــي أدت إلـــى تكويـــن الثروات والأموال، مما أدى إلى ظهور الترف في الحياة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاجتماعية عامة، وما يتعلق بأمور الزواج خاصة، فارتفعت المهور وغالى الناس فيها وخاصة الخلفاء والأمراء والولاة. فقد أسرف هؤلاء في بذل المهور، وقيمة الجهاز والاحتفالات بالعرس، ومن الأمثلة على ذلك جهاز قطر الندى الشهير ابنة خمارويه بن طولون، فالإسراف في جهازها أدى إلى خراب الدولة الطولونية في مصر، كما تذكر بعض المصادر.

إن مراسيم الزواج من الخطبة والمهر وعقد الزواج والجهاز والاحتفال بالعرس، فلم يطرأ عليها أي تغيير يذكر منذ عهد الرسول ﷺ، بل وقبل ذلك أي في العصر الجاهلي. فمن المعروف أن التغيرات الاجتماعية بطيئة التغير. فقد كانت المرأة تخطب من وليها، ويتم عقد الزواج بعد أن يقدم الزوج قيمة المهر للزوجة، ثم تقوم العروس بتحضير الجهاز الذي يشتمل على الملابس والحلي والفرش وغيره، ويتم نقله إلى بيت الزوجية، ثم تقام الاحتفالات بالعرس، ويكون ذلك بإقامة الولائم والغناء والضرب على الدفوف، ثم تزف الزوجة إلى زوجها.

إن هذه المراسيم، لم تختلف باختلاف الفئات المختلفة في المجتمع عند الخاصة، أو عند العامة وأواسط الناس في المجتمع، وقد كان الاختلاف بالتكاليف الباهظة والمبالغة في الإسراف والتبذير عند الفئة الخاصة، فلقد اعتادت هذه الفئة من الخلفاء والسلاطين والأمراء والأكابر أن تدفع مبالغ باهظة للصداق أو المهر. بالإضافة إلى مبالغ كبيرة في قيمة الجهاز، مع الأطناب في خطب الصداق، والمبالغة في الاحتفال بالعرس، إضافة إلى العادات والتقاليد المصاحبة لهذه المراسيم المتمثلة بكيفية نقل الجهاز وعرضه، واستقبال العروس، وزفة العروسين، وكانت قيمة المهر كبيرة عند هذه الفئة، ففي العصر الفاطمي، تزوج الخليفة العزيز بالله ابنة عمه وأمهرها مائتي ألف دينار ذهباً، وتزوج معز الدين قيصر من ابنة الملك العادل على صداق قيمته مائة ألف دينار في العصر الأيوبي. أما في عصر دولة المماليك، فقد تزوج الأمير انوك ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون من ابنة الأمير بكتمر الساقي، على صداق مبلغه من الذهب اثنا عشر ألف دينار بالإضافة إلى المواد العينية المرافقة للمهر وهي: مائة وخمسون ثوباً من الحرير، ومائة نافجة مسك، وألف مثقال عنبر، ومائة شمعة، وثلاثة رؤوس من الخيل مسرجة، وخمسة مماليك على يد كل مملوك بقجة. وكان الزوج يدفع جزءاً من الصداق كمقدم والباقي يؤجل إلى أجل معلوم، ومن الملاحظ أن قيمة المهر المؤجل أكبر من قيمة المقدم. ففي العصر الفاطمي، عندما تزوج الخليفة الفاطمي الآمر السيد "علم الآمرية" كتب صداقها وجعل المقدم منه أربعة عشر ألف دينار، وعند زواج الملك السعيد بركة خان من "غازية خاتون" كان الصداق خمسة آلاف دينار، المعجل منها ألفا دينار، والمؤجل ثلاثة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آلاف دينـــار. وعندما تزوج السلطان الناصر محمد بن قلاوون "خوند طولوبية" كان الصداق ثلاثين ألف دينار المعجل منها عشرون ألفا، والمؤجل عشرة آلاف دينار.

أما خطب الصداق فقد تميزت بالطول والاطناب عند الفئة الخاصة، ففي العصر الأيوبي ذكر ابن واصل خطبة عقد الملك العزيز على ابنة عمه الملك العادل، والتي انشأها عماد الدين الكاتب، وتكونت من أكثر من أربعة عشر سطراً. وفي عصر دولة المماليك، عند زواج الملك السعيد، كتب القاضي محي الدين خطبة الصداق والتي تكونت من خمسين سطراً أو أكثر، وقد احتوت هذه الخطب على الحمد والتشهيد وبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث علـــى الزواج وتبين فضائله بالإضافة إلى مزايا العروسين ونسبهما، وهذا مع ما يتناسب مع المكانة الاجتماعية الخاصة بهذه الفئة.

أمـــا قيمة الجهاز فقد كانت المرأة تجهز بمبالغ كبيرة عند الخاصة، ويعود ذلك للمباهاة والمفاخـــرة وإظهار النفوذ ما بين أفراد هذه الفئة. فقد جهز الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس ابنـــته بحوالي مائتي ألف دينار. وفي العصر الأيوبي، عندما تزوجت ضيفة خاتون ابنة لملك العـــادي الملـــك الظاهر، قدم معها من القماش والالات وأنواع المصوغات ما يحمله خمسون بغلا وثلثمائة جمل ومائة بختي، بالإضافة إلى الجواري وأدوات المطبخ والأثاث وغيره.

وقد أشارت المصادر في عصر دولة المماليك أن قيمة الجهاز تبلغ في كثير من الأحيان آلاف الدنانـــير عـــند أفراد الفئة الخاصة. فقد جهز السلطان الناصر محمد بن قلاوون إحدى عشرة ابنة له بالجهاز الكبير، فكان أقلهن جهازاً بثمانمائة ألف دينار. ولما تزوج الأمير مظفر الدين ابن السلطان المنصور من ابنة الأمير سلار جهز ابنته جهازاً يقال أن قيمته مائة وستون ألف دينار.

أمـــا عـــند فئة العامة، فقد كانت قيمة المهر والجهاز قليلة جداً إذا ما قورنت بما أمهره أفراد الفئة الخاصة. فقد كانت قيمة المهور في العصر الفاطمي والأيوبي تتراوح ما بين دينار واحد إلى أربعة دنانير، وأحياناً إلى أربعين ديناراً عند الفئة العامة والمتوسطة من الناس. أما فـــي عصـــر دولة المماليك فقد كانت قيمة المهر تتراوح ما بين مائة إلى خمسمائة درهم أي حوالـــي خمســـة وعشرين ديناراً. وقد كان جزء من الصداق يدفع حالا ويسمى معجلا وجزء يؤخر ويسمى مؤخراً، وغالباً ما يحدد في عقد الزواج المدة التي يدفع فيها الزوج هذا المؤخر، وقد تحدد بأيام أو عدة سنوات. ففي العصر الفاطمي تضمن أحد عقود الزواج أن يدفع الزوج المؤخر بعد خمس ليال من العقد. أما في عصر دولة المماليك، ففي إحدى عقود الزواج تعهد الزوج بتقسيط المؤخر وهو أربعمائة درهم بواقع أربعين درهماً في نهاية كل سنة اعتباراً من تاريخ الزواج.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمـــا عن قيمة الجهاز عند العامة، فرغم ثراء الدولة العريض فإن العامة كانوا يعيشون عيشة الكفاف ولا يستطيعون سد حاجاتهم الضرورية، وعدم القدرة على تجهيز بناتهم للزواج. ففـــي العصـــر الفاطمي فإن أحد أفراد هذه الفئة سرق قناديل فضة من المسجد، وذلك لتأمين شـــراء الحاجـــات الضـــرورية لجهاز بناته. وفي العصر الأيوبي يذكر البوصيري في إحدى قصـــائده، أن له بنتاً خطبت وتطالبه بإعداد الجهاز من متاع وغيره، وهو لا يملك في بيته إلا حصـــيراً. وفـــي عصـــر دولة المماليك، كانت مصاريف الزواج باهظة وغالباً ما تؤدي إلى اســـتهلاك جمـــيع أموال الزوج ولذلك امتنع بعضهم عن الزواج. وتذكر المصادر عن وجود أوقاف في دمشق لتجهيز البنات فقيرات الحال وهن اللاتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن. أما عـــن نقل الجهاز إلى بيت الزوجية، فيتم بواسطة قوافل من الدواب والجمال ومئات الحمالين عـــند الخاصـــة. أما إذا كان أصحاب الفرح من عامة الناس فإنه يحتفل بنقل الجهاز في حفل يشترك فيه الأقارب والمعارف.

أما عن احتفالات الزواج فقد كانت في العصر الفاطمي تقام في دور أو قاعات خصصت للأفـــراح في العصر الفاطمي، أما الفئة الخاصة فكانت احتفالاتهم تقام في القصر، ويذكر ابن دانيال عن أسماء أطلقت على قاعات الأفراح كقاعة المهتار بالبرقية وغيرها من القاعات في عصر دولة المماليك.

أما عن استعداد العروس في ليلة الزفاف فقد كانت تزين من قبل الماشطة وتلبس أجمل الملابس وأغلاها وتحلى بأنواع مختلفة من الجواهر، وغالباً ما يتم ذلك في الحمامات الخاصة بالنســـاء. فقـــد كانـــت تلك الحمامات تعد كمعاهد للتجميل في الوقت الحاضر، وكانت المرأة تقضي فيها الساعات الطوال من وقتها، وكان يرافق الاحتفالات الغناء والضرب على الدفوف والرقص وتقديم الهدايا والنقوط والتهاني للعروسين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر

١. ابـــن الأثير، الشيخ العلامة عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ١٢ مجلد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥.

٢. ابن الاخوة، محمد بن محمد أحمد القرشي، معالم القربة في أحكام الحسبة، عني بنقله وتصحيحه دار الفنون بكيمبرج، ١٩٩٧.

٣. الادفـــوي، الشـــيخ الإمـــام أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٦م)، الطـــالع الســـعيد الجـــامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٩٦٦.

٤. الاربلـــي، عبد الرحمن قنيتو الاربلي (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م)، خلاصة الذهب المسبوك "مختصر من سير الملوك"، تحقيق: مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٤.

٥. الاســـيوطي، شـــمس الدين محمد بن أحمد المنهاجي (عاش في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر المـــيلادي)، جواهـــر العقـــود ومعين القضاة والموقعين والشهود، ٢ جزء، مطبعة السند المحمدية، السعودية، ١٩٥٥.

٦. الأصفهاني، أبو عبدالله بن صفي الدين أبي الرجاء حامد بن محمد بن عبدالله بن علي بن محمود بن هبة الله القرشي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، الفيح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٠.

٧. الانطاكـــي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، تاريخه المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس، ١٩٩٠.

٨. ابـــن ايـــاس، محمد بن أحمد (ت ٧٧٤هـ/١٣٤٦م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ٥ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤.

٩. الـــبخاري، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله عليه السلام وسننه وأيامه. تحقيق: محمد نزار رستم، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٥.

١٠. ابن بكار، الزبير (ت ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، الأخبار الموفّقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦، ط٢.

١١. البوصـــيري، شـــرف الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، ديوانه. تحقيق: سيد كيلاني، القاهرة، ١٩٥٥.

١٢. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، الـــنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ٦ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٢.

١٣. ـــــــالمـــنهل الصـــافي والمســـتوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد أمين، ٧ أجزاء، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٤.

١٤. ابن تيمية، تقي الدين (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، تحقيق: أحمد عبد القادر عطا، ٤ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥. الجـاحظ، عمـرو بـن بحر (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ٤ أجزاء، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ١٩٧٥، ط٤.

١٦. ابن جبير، أبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، الرحلة، دار الهلال، بيروت، ١٩٨١.

١٧. الجرجاني، علي بن محمد السيد شريف (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م)، كتاب التعريفات. تحقيق: عبد المنعم الخفي، دار الرشيد، القاهرة، ١٩٩١.

١٨. الجـزري، شـمس الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر القرشي (ت ٧٣٨هـ/١٣٣٧م)، حـوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أنبائه المعروف بتاريخ الجزري. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ٣ مجلدات، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨.

١٩. ابـن الجـوزي، الحافظ عبد الرحمن بن علي الجوزي الفقيه الحنبلي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، أحكام النسـاء، تحقـيق: علـي بن محمد بن يوسف المحمدي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ١٩٩٣.

٢٠. ابـن حبيب، أبي جعفر محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م)، المحبر، تحقيق: إيليزة ليختن شتيز، دار الآفاق، بيروت، د.ت.

٢١. ـــــــ المنمق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه، خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥.

٢٢. ابـن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد أمين أمين، ٢ جزء، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٦.

٢٣. الحداد، ظافر بن القاسم بن منصور بن عبدالله (ت ٥٢٩هـ/١١٣٤م)، ديوانه. تحقيق: حسين نصار، دار مصر للطباعة، ١٩٦٩.

٢٤. ابـن حـزم، أبـو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، المحلى بالآثار. تحقيق: عبد الغفار البنداري، ١٠ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨.

٢٥. ـــــــ، جمهرة انساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٢.

٢٦. ابن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق: حمزة أحمد الزين، ٢٠ جزء، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥.

٢٧. الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت ٨٧٦هـ/١٤٧١م)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب. تحقيق: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٦٦.

٢٨. الحنبلـي، قاضي القضاة أبو اليمن مجير الدين (ت ٩٢٨هـ/١٥٢١م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢ جزء، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣.

٢٩. الحلبـي، سـبط ابـن العجمي (ت ٨٨٤هـ/١٤٤٤م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق: شوقي شعث، فالح البكور، ٢ جزء، دار القلم، حلب، ١٩٩٦.

٣٠. الحمصـي، شـهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت ٩٣٤هـ/١٥٢٧م)، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ٣ مجلدات، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣١. ابـــن خلـــدون، عبد الرحمن بن خلدون المغربي (ت ٨٠٨هـــ/١٤٠٥م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخـــبر فـــي أيـــام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ١٤ جزء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.

٣٢. ابـــن خلكـــان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـــ/١٢٦٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ٧ أجزاء، بيروت، ١٩٦٩.

٣٣. ابن دانيال، شمس الدين بن دانيال (ت ٧١٠هـــ/١٣١٠م)، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، تحقيق: إبراهيم حمادة، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦١.

٣٤. الدواداري، أبي بكر بن عبدالله بن آربيل (ت بعد سنة ٧٣٦هـــ١٣٣٥م)، كنز الدرر وجامع الغرر، ٩ أجـــزاء، ج٦، المعـــروف بـــ "الدولة المضية في أخبار الدولة الفاطمية" تحقيق: صلاح الدين المـــنجد، مطـــبعة لجـــنة التأليف، القاهرة، ١٩٦١، ج٧، المعروف بـــ"الدر المطلوب في أخبار بني أيوب" تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٢، ج٨، المعروف بـــ "الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية"، تحقيق: اوليرخ هارفان، القاهرة، ١٩٧١، ج٩، المعروف بـــ "الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر"، تحقيق: هانس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٦٠.

٣٥. ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت ٨٠٩هـــ/١٤٠٦م)، نزهة الأنام في تـــاريخ الإســـلام (٦٢٨-٦٥٩هـــ) (١٢٣٠-١٢٦١م)، تحقـــيق: سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩.

٣٦. الذهبي، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـــ/١٣٤٧م)، تاريخ الإســـلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩.

٣٧. ـــــــذيول العبر في خبر من عبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

٣٨. الـــرازي، الشـــيخ الإمـــام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، عني بترتيبه: محمود خاطر، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨.

٣٩. السبكي، الشيخ الإمام قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـــ/١٣٦٩م)، معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٦.

٤٠. الســـخاوي، المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـــ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تحقيق وطبع اوفست كونروغراميز، ١٢ جزء، بيروت، د.ت.

٤١. ـــــــالتبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

٤٢. ـــــــالذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق: حسن إسماعيل مروة، ٤ أجزاء، دار العروبة، الكويت، دار ابن العماد، بيروت، ١٩٩٢.

٤٣. الســـيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـــ/١٥٠٥م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢ جزء، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٨.

٤٤. الشافعي، الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـــ/٨١٩م)، الأم. تحقيق: محمود مطرجي، ٥ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٥. الشافعي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العاصمي المكي، (ت ١١١١هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض، ٤ اجزاء، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

٤٦. أبو شامة، شهاب عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، كتاب الروضتين في اخبار الدولتين. تحقيق: إبراهيم الزيبق، ٥ أجزاء، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧.

٤٧. ـــــــ تراجم رجال القرنين السادس والسابع (المعروف بالذيل على الروضتين)، تحقيق: محمد زاهد حسن الكوثري، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٧٤.

٤٨. ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهري (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق، خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

٤٩. ابن شداد، عز الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، تاريخ الملك الظاهر، باعتناء أحمد حطيط، فرانز شتايز، فيسبادن، ١٩٨٣.

٥٠. الشوكاني، العلامة الشيخ محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/١٨٧٤م)، البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، تعليق: المؤرخ يحيى زبارة اليمني، مجلدين، دار المعرفة، مصر، ١٩٣٨.

٥١. الشيزري، عبد الرحمن بن نمر (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عني بنشره السيد الباز العريني، القاهرة، ١٩٤٦.

٥٢. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب. تحقيق: إحسان بن سعيد خلوصي، زهير حميدان الصمصام، ٢ جزء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢.

٥٣. ـــــــ أعيان العصر وأعوان النصر. تحقيق: علي أبو زيد، نبيل أبو عمشة، محمد موعد، محمود سالم محمد، ١٥ جزء، دار الفكر، بيروت، دمشق، ١٩٩٨.

٥٤. ـــــــ الوافي بالوفيات، ٢٤ جزء، محققون مختلفون:

- ج٢. تحقيق: محمد بن إبراهيم بن عمر، محمد بن الحسين بن محمد، فرانز شتايز، فيسبادون، ١٩٩٠ (ج٣+ج٤)، باعتناء س، ديدرينغ، فرانز، ١٩٧٤، ط٢، ج١٠. باعتناء جاكلين سوبلة، وعلي عمارة، فرانز شتايز، فيسبلون، ١٩٨٣. ج١٣. باعتناء محمد الحجيري، فرانز شتايز، فيسباون، ١٩٨٤. ج١٦. باعتناء داود القاضي، ١٩٨٢. ج٢١. تحقيق: علي بن الحسين المسعودي، عي بن محمد بن الرضا، باعتناء محمد الحجيري، فرانز-فيسباون، بشتوتغارت، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨. ج٢٤. تحقيق: فرقد العجلي الربعي، أبو الليث الزاهد الحموي، باعتناء محمد عدنان البخيت، مصطفى الحياري، فرانز شتايز، شتوتكارت، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣.

٥٥. الصيرفي، الخطيب الجوهري علي بن داود (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، ٣ أجزاء، دار الكتاب، القاهرة، ١٩٧٠.

٥٦. ـــــــ أنباء الهصر بأبناء العصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٠.

٥٧. ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٣م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان "تاريخ مصر والشام"، تحقيق: محمد مصطفى، ٢ جزء، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٦٢.

٥٨. ـــــــ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ٢ جزء، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٩. ـــــــأعـــلام الورى فيمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، ١٩٨٤، الطبعة الثانية.
٦٠. ـــــــفص الخواتم فيما قيل في الولائم، تحقيق: نزار أباضة، دار الفكر، ١٩٨٣.
٦١. ابـــن الطويـــر، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت ٦١٧هـــ/١٢٢٠م)، نزهة المقلتيـــن فـــي أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٩٢.
٦٢. ابن عابدين، محمد أمين، حاشية المختار لخاتمة المحققين ابن عابدين على الدر المختار، شرح تنوير الأبصـــار فـــي فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، ٨ أجزاء، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩، الطبعة الثانية.
٦٣. ابـــن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (ت ٦٦٢هـــ/١٢٦٣م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد البجاوي، ٤ أجزاء، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠
٦٤. ابن عبد ربه، الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـــ/٩٣٩م)، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، ٧ أجزاء، القاهرة، ١٩٥٢، ط٢.
٦٥. العـــبدري، أبـــي عـــبدالله محمد بن محمد المالكي الفاسي (ت ٧٣٧هـــ/١٣٣٦م)، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها. تحقيق: توفيق حمدان، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥.
٦٦. ابـــن العديـــم، عمـــر بن أحمد بن أبي جرادة (ت ٦٦٠هـــ/١٢٦١م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب. تحقيق: سهيل زكار، ٢ جزء، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٩٧.
٦٧. ابـــن العراقي، ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٢٦هـــ/١٤٢٢م)، الذيل علـــى العـــبر فـــي خبر من عبر، تحقيق: صالح مهدي عباس، ٣ أجزاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.
٦٨. العســـقلاني، الإمـــام الحافظ الحجة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر(ت ٨٥٢هـــ/١٤٤٨م)، أنباء الغمر بأبناء العمر، ٩ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، الطبعة الثانية.
٦٩. الـــدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ٥ أجزاء، دار الكتب، مصر، ١٩٦٦، الطبعة الثانية.
٧٠. العســـقلاني، شافع بن علي الكاتب (ت ٧٣٠هـــ/١٣٢٩م)، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨.
٧١. ابـــن العمـــاد، الإمـــام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن عبد الحي بن أحمد بن محمد العكبري الحنبلـــي الدمشـــقي (ت ١٠٨٩هـــ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، ٨ أجزاء، بيروت، ١٩٦٦.
٧٢. عمارة اليمني، نجم الدين أبي محمد بن أبي الحسن الحكمي (ت ٥٦٩هـــ/١١٢٣م)، النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية. تحقيق: هرتديغ درنبرغ، شالون، باريس، ١٨٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٣. العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان،(جـ٢+جـ٤)، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨، (جـ١+ج٣)، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٩.

٧٤. الغزي، الشيخ نجم الدين (ولد ٩٧٧هـ/١٥٦٩م)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، ٣ أجزاء، دار الآفاق، بيروت، ١٩٧٣، الطبعة الثانية.

٧٥. السيف المهند في سيرة الملك المؤيد "شيخ المحمودي"، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

٧٦. أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمود ابن عمر بن شاهنشاه أيوب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، تاريخ أبي الفداء "المختصر في أخبار البشر"، تعليق: محمود أيوب، جزئين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.

٧٧. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم تاريخه (٨٠٧هـ/١٤٠٤م). تاريخه، ٩ مجلدات. تحقيق: حسن محمد الشماع، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ١٩٦٩، (مج١+مج٥)، تحقيق: حسن محمد الشماع، البصرة، ١٩٧٠ (مج٧+مج٨) تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت، ١٩٤٢، م٩، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت، ١٩٣٦.

٧٨. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "دولة المماليك الأولى"، دراسة وتحقيق: دوريتا كرافولسكي، المركز العربي الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٦.

٧٩. ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي، تاريخه (٧٧٩-٨٥١هـ) (١٣٧٧-١٤٤٨م). تحقيق: عدنان درويش، ٤ مجلدات، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٩٧.

٨٠. ابن القاضي، أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ١٦١٦م)، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، تونس، ١٩٧٠.

٨١. ابن قتيبة، أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٧٧٦هـ/٨٨١م)، عيون الأخبار، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٨٢. ابن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م)، المغني، تحقيق: عبدالله الحسن التركي، عبد الفتاح الحلو، ٥ أجزاء، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢، الطبعة الثانية.

٨٣. القرشي، إدريس عماد الدين القرشي (ت ٨٢٢هـ/١٤٧٧م)، عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ١٩٧٣.

٨٤. القضاعي، الشيخ الإمام أبي عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، تحقيق: عبد الرحيم محمد عبد الحميد علي، دار الينابيع، عمان، الأردن، ١٩٩٧.

٨٥. ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)، تاريخ دمشق المعروف بذيل تاريخ دمشق. تحقيق: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٦. القلقشـــندي، أحمـــد بن علي (ت ٨٢١هـــ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ٤ أجزاء، دار الفكر، مصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

٨٧. القيروانـــي، أبي اسحاق المصري (ت ٤٨٨هـــ/١٠٩٥م)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، ٣ أجزاء، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٠٠.

٨٨. ابـــن قيم الجوزية، الفقيه شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـــ/ ١٣٥٠م)، زاد المعـــاد فـــي هدى خير العباد. تحقيق: شعيب الانؤوط، ١٥ جزء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩.

٨٩. الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـــ/١٣٦٢م)، فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، ٥ مجلدات، دار صادر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.

٩٠. ابن كثير، الإمام الحافظ المورخ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـــ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، ١٤ جزء، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٦.

٩١. ابـــن كـــنان، محمـــد بـــن عيسى (ت ١١٥٣هـــ/١٧٤٠م)، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، ١٩٥١.

٩٢. ـــــــ المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، تحقيق: حكمت إسماعيل، ٢ جزء، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٢٠.

٩٣. الكـــندي، أبـــي عمـــر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـــ/٩٩١م)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تصحيح وتهذيب، رفن كست، بيروت، ١٩٠٨.

٩٤. المالقـــي، أبـــي الحســـن علي بن محمد المعافري خطيب المسجد الأقصى (ت ٦٠٥هـــ/١٢٠٨م)، الحدائق الغناء في أخبار النساء، تحقيق: عائدة الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٥.

٩٥. المالقي، ابن البيطار ضياء الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد الأندلسي (ت ٦٦٤هـــ/١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

٩٦. مالك، عبدالله مالك بن أنس الأصبحي (ت ١٧٩هـــ/٧٩٥م)، الموطأ. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٤ أجزاء، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٩٢، الطبعة الثانية.

٩٧. المســـبحي، الأمـــير المخـــتار عز الملك محمد بن عبيدالله بن أحمد (ت ٤٢٠هـــ/١٠٢٩م)، الجزء الأربعون من أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، تياري بيانكي، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٨.

٩٨. المســـعودي، أبـــي الحســـن علي بن الحسين بن علي بن علي (ت ٣٤٦هـــ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: شارل بلا، ٧ أجزاء، الجامعة العربية، بيروت، ١٩٧٠.

٩٩. مسلم، الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـــ/٨٧٤م)، صحيح مســـلم المســـمى المســـند الصحيح المختصر من السنن. تحقيق: محمد وهيثم بن نزار بن تميم، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٩.

١٠٠. ابن المشد، سيف الدين علي بن عمر بن قزل (ت ٦٥٦هـــ/١٢٥٨م)، ديوانه. تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٩.

١٠١. ابن المعز، تميم لدين الله الفاطمي (ت ٣٧٥هـــ/٩٨٥م)، ديوانه. تحقيق: محمد حسن الأعظمي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠٢.المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٧٠.

١٠٣._____المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ٨ أجزاء، دار العرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١.

١٠٤._____اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، ٣ أجزاء، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧١.

١٠٥._____المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، ٣ أجزاء، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨.

١٠٦.المكي، عبد الملك بن حسن بن عبد الملك الشافعي العاصمي (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد بن عبد الموجود، علي محمد معوض، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

١٠٧.الملطي، عبد الباسط بن خليل بن شاهين (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م)، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين. تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، مكتبة الثقافة، القاهرة، ١٩٨٧.

١٠٨.المنصوري، بيبرس المنصوري نائب السلطنة في مصر (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، مختار الأخبار. تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣.

١٠٩.المنصوري، بيبرس نائب السلطنة في مصر (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، التحفة الملوكية في الدولة التركية، تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة (٦٤٨-٧١١هـ) (١٢٥٠-١٣١١م)، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٨٧.

١١٠.ابن منظور، الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ١٥ جزء، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠.

١١١.ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب، اخبار مصر، انتقاه تقي الدين المقريزي. تحقيق: أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ١٩٨٤.

١١٢.ناصر خسرو، أبو معين الدين القبادياني المروزي (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)، سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، الطبعة الثانية.

١١٣.ابن نباتة، جمال الدين المصري الفاروقي، (ت ٧٦٨هـ/١٣١٦م)، ديوانه، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٠.

١١٤.النعيمي، عبد القادر بن محمد النعيمي، (ت ٩٧٨هـ/١٥٧٠م)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ٢ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.

١١٥.النووي، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، روضة الطالبين، ١٢ جزء، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٩٦٦.

١١٦.النويري، شهاب أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢١ جزء، ج٢٨، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٥، ٢٩، تحقيق: محمد ضياء الدين الريس، محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ج٣٠، تحقيق: محمد عبد الهادي شعيرو، محمد مصطفى زيادة، مركز تحقيق التراث، ١٩٩٠، ج ٣١، تحقيق: الباز العريني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٧.ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥ أجزاء (ج٢+ج٣)، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٨٠، ج٥، تحقيق: حسنين محمد ربيع، لقاهرة، ١٩٨٠.

١١٨.ابـــن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، تاريخ ابن الوردي، ٢ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

١١٩.وكيع، محمد بن خلف بن حيان (ت ٣٠٦هـ/٩١٨م)، أخبار القضاه، ٣ أجزاء، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣.

١٢٠.يـــاقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٥ مجلدات، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع العربية

١. أحمد، نريمان عبد الكريم، المرأة في مصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٣.

٢. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ٣ أجزاء، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، الطبعة السابعة.

٣. ـــــ ظهر الإسلام، ٣ أجزاء، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦.

٤. أمين، فوزي محمد، أدب العصر المملوكي الأول، قضايا المجتمع والفن، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٣.

٥. أيوب، إبراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، ١٩٩٧ .

٦. الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة، القاهرة، ١٩٧٨.

٧. بلال، ثناء عبد الرحمن، الملابس في العصرين القبطي والإسلامي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣.

٨. بهيّم، محمد جميل، المرأة في حضارة العرب والعرب في حضارة المرأة، بيروت، ١٩٦٢.

٩. بيطار، أمينة، تاريخ العصر الأيوبي، دار الطباعة، دمشق، ١٩٨٢.

١٠. الترمانيني، عبد السلام، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام، دار القلم، حلب، ١٩٨٩.

١١. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية في مصر، سورية، وبلاد المغرب، دمشق، الجيزة، ١٩٥٨.

١٢. حسين، محمود إبراهيم، الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي، ٢ جزء، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٠.

١٣. خريسات، محمد عبد القادر، المرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة الاسلامية، الجامعة الاردنية، عمان، ١٩٩٧م.

١٤. الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٦٦.

١٥. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠.

١٦. الرواشدة، آمنة محمود سليمان، حيوات المرأة في الدولة المملوكية في مصر والشام (٦٤٨-٩٢٣هـ) (١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٧م.

١٧. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ١٠ أجزاء، بيروت، ١٩٧٩، الطبعة الثالثة.

١٨. أبو زهرة، محمد، محاضرات في عقد الزواج وآثاره، دار الفكر، بيروت، ١٩٧١.

١٩. زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي. تعليق: حسين مؤنس، ٥ أجزاء، دار الهلال، القاهرة، د.ت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٠.سرور، محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٠.
٢١.____دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر، القاهرة، ١٩٨٠.
٢٢.سلطان، عبد المنعم، المجتمع المصري في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.
٢٣.الشافعي، أحمد محمود، الزواج في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، ١٩٨٠.
٢٤.الشيال، جمال الدين، الوثائق التاريخية لمصر الإسلامية، مجموعة الوثائق الفاطمية، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥، الطبعة الثانية.
٢٥.صالحية، محمد عيسى، من وثائق الحرم القدسي الشريف، كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٩٨٥.
٢٦.عاشور، سعيد عبد الفتاح، عبد الحميد، سعد زغلول، العبادي، أحمد مختار، دراسات في تاريخ الحضارة العربية، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦، الطبعة الرابعة.
٢٧.____مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٢.
٢٨.____المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢.
٢٩.العبادي، أحمد مختار ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٥.
٣٠.عبد الرازق، أحمد، المرأة في مصر المملوكية، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٩.
٣١.عتر، عبد الرحمن، خطبة النكاح، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥.
٣٢.عثمان، أحمد، آثار عقد الزواج في الشريعة الإسلامية، الرياض، ١٩٨١.
٣٣.العسلي، كامل جميل، وثائق مقدسية مع مقدمة حول بعض المصادر الأولية لتاريخ القدس، ٣ مجلدات، ١٩٨٣.
٣٤.العلبي، أكرم حسن، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين (٩٠٦-٩٢٢هـ)(١٥٠٠-١٥١٧ م)، الشركة العربية المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٢.
٣٥.علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ١٠ اجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، بيروت، ١٩٧٠م.
٣٦.الغزولي، علاء الدين علي بن عبدالله البهائي، مطالع البدور في منازل السرور، ٢ جزء، مكتبة الثقافة، بورسعيد، ٢٠٠٠.
٣٧.الغزي، كامل بن حسين بن مصطفى، (ت ١٣٥١هـ/١٩٣٣م)، نهر الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ١٩٩١م.
٣٨.غوانمة، يوسف درويش، إمارة الكرك الأيوبية، دار الفكر، عمان، ١٩٧٢.
٣٩.____تاريخ شرق الأردن في عصر دولة المماليك الأولى، القسم الحضاري، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٧٩.
٤٠.القاسمي، محمد سعيد، قاموس الصناعات الشامية. تحقيق: ظافر القاسمي، ٢ جزء، دار طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، ١٩٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤١.القرضاوي، يوسف، الحلال والحرام في الإسلام. تعليق: الشيخ حسن محمد تقي الجواهري، دار المعارف، بيروت، ١٩٩٣.
٤٢.كحالة، عمر رضا، دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، دمشق، ١٩٧٢.
٤٣.____أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ٥ أجزاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، الطبعة الرابعة.
٤٤.____الزواج، ٢ جزء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨، الطبعة الخامسة.
٤٥.ماجد، عبد المنعم، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، جزئين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٧.
٤٦.محمود، علي السيد، الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨.
٤٧.وافي، علي عبد الواحد، قصة الزواج والعزوبة في العالم، الجحالة، القاهرة، ١٩٨٧، الطبعة الثانية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع المعربة

١-بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ٢ جزء. ترجمة: نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٨.

٢-دوزي، رينهارت، تكملة المعاجم العربية (ج١-ج٩). ترجمة: محمد سليم النعيمي، وزارة الثقافة والفنون العربي، ١٩٧٨. (ج١٠+ج١١)، ترجمة: جمال الخياط، بغداد، ٢٠٠٠.

٣-ماير، الملابس المملوكية. ترجمة: صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٢.

المجلات العربية

١-عبد الرازق، أحمد، عقدا نكاح من عصر المماليك البحرية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، مج ٦، ع١، ٢٢، ١٩٨٦.

٢-هاشم، عبد الهادي، مخطوط نسمات الأسحار فصل عادات الأعراس في بلاد الشام في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، لمؤلفه الحموي، علي بن عطية، الشيخ علوان (ت ٩٣٦هـ/١٥٢٩م)، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، مج٣٢، ج٢، ١٩٥٧.

المراجع الأجنبية

1-Goitein, A Mediterranean Society, Col, 6, Los Angelos, London, 1978.

2-Irwin, Robert, The Middle East in The Middle Ages The Early Mamluk Sultanate (1250-1382) London and Sydney, 1986.

3-Lane-Poole, Stanley, Ahistory of Egypt in The Middle Ages, Frank Cass and Co. Litd, 1968.

4____Cairo, History, Monumunts and Social Life, New York, 1973.

5-Lewis, Bernard, Islam From The Prophet Muhmmad to the Capture of Constantinople, London, 1974.

6-Muir, William, The Mameluke Slave Dynasty of Egypt (1260-1517, A.D), London, 1896.

7-O'Leary, DeLacy, A short History of The Fatimid Khalifate, India, 1987.

8-Waddy, Charis, Women in The Muslim History, London, ad new York, 1980.

9-Willam Lane, Edward, Arabian Society in The Middle Ages, London, New Jerssey, 1987.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (١)

خطبة صداق الملك السعيد أحداث سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م

وفيها في يوم الخميس الثاني عشر من ذي الحجة عقد الملك السعيد على العست غازية خاتون ابنة المخدوم ورتب القاضي محي الدين بن عبد الظاهر الصداق بعد البسملة:

الحمد لله موفق الآمال لأسعد حركة، ومصدق الفال لمن جعل عنده أعظم بركة، ومحقق الآمال لمن أصبح نسيبه سلطانه وصهره ملكه الذي جعل للأولياء من لدنه نصيراً وميز أقدارهم باصطفاء تأهيله حتى حازوا نعيماً وملكاً كبيراً، وأفرد فخارهم بتقريبه حتى قاد شمس آمالهم ضياء وزاد قمرهم نوراً، وشرّف به وصلتهم حتى أصبح فضل الله بها عليهم عظيماً، وانعامه كبيراً، مهيء أسباب التوفيق العاجلة والآجلة، وجاعل ربوع كل أملاك من الأملاك بالشمس والبدور والأهلة، اهله، جامع أطراف الفخار لذوي الآثار حتى أصبحت لهم النعمة الشاملة حاصلة، وحلت عندهم البركة الكاملة، نحمده على أن أحسن عند الأولياء بالنعمة الاستيداع، وأجمل لتأملهم الاستطلاع، وكمل لاختيارهم الأجناس من العز والأنواع، وأتى آمالهم ما لم يكن في حساب أحسابهم من الابتداء بالتحويل والابتداع، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة حسنة الأوضاع، ملية بتشريف الألسنة وتكريم الأسماع، ونصلي على سيدنا محمد الذي أعلى الله به الأقدار، وشرف به الموالي والأصهار، وجعل كرمه داراً لهم في كل دار، وفخره على من المهاجرين والأنصار مشرق الأنوار، صلى الله عليه وعليهم، صلاة زاهية الأثمار، يانعة الثمار، وبعد: فلو كان اتصال كل شيء بحسب المتصل به في تفضيله لما استصلح البدر شيئاً من المنازل لنزوله، ولا القطر شيئاً من الرياض لهطوله، ولا الذكر الحكيم لساناً من الألسنة لترتيله، ولا الجوهر الثمين شيئاً من التيجان لحلوله، لكن ليتشرف بيت يحل به القمر، وتبت يزوره المطر، ولسان يتعوذ بالآيات والسور، ونضار يتجمل بالأنبياء والدرر، والمرتب على هذه القاعدة إفاضة نور يستمده الوجود، وتقدير أمر يقارن سعد الاخبيه فيه سعد السعود، وإظهار خطبة تقول الثريا لانتظام عقودها كيف، وإبراز وصلة تتجمل بترصيع جوهرها متن السيف الذي يعطيه على إيداع هذه الجوهرية كل سيف، ونسج مهارة تتم بها إن شاء الله كل أمر سديد، ويتفق بها كل توفيق يخلق الأيام وهو جديد، ويختار لها أبرك طالع، وكيف لا تكون البركة في ذكر الطالع وهو السعيد، وذلك بأن المراحم الشريفة السلطانية أرادت أن تخص المجلس السامي الأمير الكبيري السيفي بالإحسان المتكرر، وتفرده بالمواهب التي يرهف بها الحد المضيء ويعظم الحد المنتظر، وأن يرفع قدره بالصهارة مثل ما رفعه صلى الله عليه وسلم من أبي بكر وعمر، فخطب ابه أسعد البرية وامنح من يحميها السيوف المشرفية، وأعز من تسبل عليها ستور الصون الخفية، وتضرب دونها خدود الجلال الرضية، ويتجمل بنعوتها العقود، وكيف لا وهي الدرة الأنفية، فقال والدها وهو الأمير المذكور هكذا ترفع الأقدار وتزان، وهكذا يكون قران السعد وسعد القران، وما أسعد روضا أصبحت هذه المكارم له جميلة، وأشرف سيفاً غدت منطقة بروج سمائها له جميلة، وما أعظمها معجزة أتت الأولياء من لدنها سلطاناً، وزادتهم مع إيمانهم إيماناً، وما أفخرها صهارة يقول الافتخار والتوفيق لابرامها ليت، وأشرفها عبودية كرمت سلمانها بأن جعلته من أهل البيت، وإذا حصلت الاستخارة في رفع قدر المملوك، وتخصيصه بهذه المزية التي تقاصرت عنها آمال أكابر الملوك، فالأمر لمليك البسيطة في رفع درجات عبده كيف يشاء والتصدق بما يتفوه به هذه الأشياء، وهذا مفتتح الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب مبارك تحاسدت رماح الخط وأقلام الخط على تحريره، وتنافست مطالع النوار ومشارق الأنوار على نظم سطوره، فأضاء نوره بالجلالة وأشرق، وهطل نوره بالإحسان وأغدق وتناسبت فيه أجناس تجنيس لفظ الفضل، فقال: الاعتراف هذا ما يصدق، وقال: العرف هذا ما أصدق مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبي الفتح بيبرس الصالحي قسيم أمير المؤمنين الستر الرفيع الخاتوني غازية خاتون ابنة المجلس السامي الأميري السيفي قلاوون الألفي الصالحي، أصدقها ما ملأ خزائن الإحسان فخاراً وشجرة الأنساب ثماراً، ومشكاة الجلالة أنواراً، وأضاف إلى ذلك، ما لولا أدب الشرع لكان أقاليم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومدائن وأمصار فبذل لها من العين المصري ما هو باسم والده قد تشرف وبنعوته قد تعرف وبين يدي هباته وصدقاته قد تصرف[1].

ملحق رقم (٢)

عقدا زواج من عصر دولة المماليك(٦٧٧هـ/١٢٧٨م)

أولاً: نص العقد الأول

١- بسم الله الرحمن الرحيم ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً (سورة الفرقان، اية ٧٤).

٢- الحمد لله الذي أمر بالنكاح وحض عليه وضمن الغنا(كذا) لمن طلبه وسارع إليه الذي فرق فيه بين التحليل والتحريم القائل في كتابه الكريم على لسان نبيه عليه وعلى آله أفضل

٣- الصلاة والتسليم وأنكحوا الأياما(كذا) منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم (سورة النور، آية ٣٢) وكان من فضل الله السابق وقدره

٤- الموافق من سنقرأه عليكم في هذا الكتاب والله الموفق للصواب ويجعل الله فيه خيراً كثيراً إنه كريم وهاب وهو (كذا)

٥- بسم الله الرحمن الرحيم ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم

٦- هذا ما أصدق الفقيه المقرىء نجم الدين اسحق بن الفقيه برهان الدين أو اسحق إبراهيم بن الفقيه كمال الدين أبي محمد عبد الرزاق بن علي بن بركات البهنسي المعلبي عيال

٧- المرأة الكامل ابنة نصير بن عبد المنعم بن عبد الحاكم البهنسي وهي التي كانت زوجا لعلي بن جعفر بن النجاحي ودخل بها وأصابها وتوفي عنها إلى رحمة الله سبحانه من مدة تزيد على تسعة أشهر ونقضت(كذا)

٨- عدتها منه أربعة أشهر وعشر (سورة البقرة، آية ٢٣٤) ولم تتصل بعده بزوج إلى الآن وتزوجها به، أصدقها على بركة الله وعونه وحسن توفيقه ويمنه جملة مبلغها من الدراهم النقرة الجيدة الجايزة

٩- بالدينار المصرية خمس ماية درهم الحال من ذلك ماية درهم والمؤجل أربع ماية مقسطة لها عليه في سلخ كل سنة تمضي من يوم تاريخه

١٠- من الدراهم النقرة أربعون درهما يقوم لها بذلك من غير مطل ولا منع وعليه أن يتقي الله عز وجل في مدتها (كذا) ويحسن صحبتها ومعاشرتها بالمعروف كما أمر الله عز وجل في كتابه الكريم وسنة سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل

١١- الصلاة والتسليم وله عليها مثل الذي عليه من ذلك ودرجة زايدة لقوله تعالى وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم (سورة البقرة، آية ٢٢٨) وولي تزويجها اياه بذلك وعقد نكاحها منه أخوها شقيقها لأبويها

١٢- إبراهيم بن نصير المذكور بإذنها له في ذلك ورضاها بمحضر من شهوده (كذا) بعد أن أتضح خلوها من الموانع الشرعية بتعريف كل واحد من محمد بن البهنسي عبد الابقي بن أبي الطاهر بن مسرق وأسعد بن أبي بكر بن صحصام البياع

---

(١) الدوادار، زبدة الفكرة، ص ١٣٢-١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٥- قبولا صحيحا شرعيا بمخاطبة جرت بينهما على جميعه بمحضر من شهوده (كذا) وبجميعه شهد عليهم طوعا في صحة منهم أمر بتاريخ الليلة التي صبيحتها الثامن والعشرون من جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وستماية.

الشاهد الأول

١- حضرت

٢- العقد المذكور على ذلك وبه أشهد

٣- وكتب عبد الخالق بن عبد العزيز بن عبد الكريم

٤- في تاريخه

الشاهد الثاني

١- حضرت

٢- العقد المذكور على ذلك

٣- وشهدت على الزوج والأخ

٤- المزوج بما فيه كلهم (كذا) وكتب

٥- عثمان بن حمد بن محمد بن عبد الحميد

٦- في تاريخه

الشاهد الثالث

١- حضرت

٢- العقد المذكور على ذلك

٣- وبه أشهد وكتب علي بن

٤- عبد المنعم بن علي بن عبد العزيز

٥- في تاريخه

وعلى الجانب الأيمن لهذا العقد نجد العبارة التالية:

١-.....صحته الفقير إلى الله تعالى

٢- علي بن عبد الرحمن بن علي البهنسي الشافعي

٣- في تاريخه

ثانيا: نص العقد الثاني

١- بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

٢- هذا ما أصدق نجم الدين إسحق بن الفقيه برهان الدين لمهلبي وهو الزوج المذكور أعلاه عيال المراة الكامل ابنة نصير بن عبد المنعم

٣- ابن عبد الحاكم المذكور فيها بحالته وهي التي كانت زوجا لهذا لزوج والمذكور (ة) بانت منه بطلقة بائنة ثم رغبت في تزويجها بهذا العقد وتزوجها به

٤- أصدقها من الدراهم النقرة الجيدة ماية درهم واحدة نصفها خمسون مما اعترفت الزوجة بقبضها حسب الحال المذكور قبضا صحيحا وولى تزويجها إياه

٥- بذلك وعقد نكاحها منه القاضي الفقيه العالم الصدر الكامل وحيد الدين ابراهيم بن الشيخ الصالح مولانا أبو الفرج البهنسي الشافعي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- النائب في الحكم..للأشهاد بالنصف الباقي (من) صداقها بقولها بصريح نقطها وبغية عصمتها مسعود وأحمد ولدين (كذا) عيسى بن أبي عبدالله بن عبد الحاكم

٧- بالجهة الشرعية التي يجوز للحاكم تزويجها من بعلها وبعد أن اتضح بشهادة شهود خلوها من الموانع الشرعية عصمتها ...المذكورة

٨- وذلك بعد أن احلف النائب في الحكم القائم(كذا) الزوج المذكور ايمانه عن الطلقة المستوفاة إلى الزوجة ثم حجتها..بطلقة الجهر انه لم يصدر ذلك وهي

٩- طلقة بائنة خلعاً فلزم قدوم الطالق البائن (كذا) فحينئذ زوجها النائب في الحكم المذكور من هذا الزوج المذكور على الصداق المذكور تزويجا شرعيا وقبل

١٠- الزوج المذكور نكاحها على ذلك قبولا شرعيا بمحضر من شهود وذلك بتاريخ الثاني والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين وستماية.

الشاهد الأول

١- حضرت

٢- العقد المذكور على ذلك وبه

٣- أشهد وكتب عبد الخالق بن

٤- عبد الحميد بن عبد الكريم في تاريخه

الشاهد الثاني

١- حضرت

٢- العقد المذكور على ذلك وشهدت

٣- وكتب نجم الدين بن أحمد بن الفرج في تاريخه

الشاهد الثالث

١- حضرت

٢- العقد المذكور على ذلك

٣- وشهدت به وكتب

٤- أحمد بن عبد المجيد في تاريخه

وعلى الجانب الأيمن لهذا العقد أيضا نقرأ العبارة التالية:

١- حضرت شهد على ذلك

٢- كتبه علي بن عبد الرحيم بن نوع ٣- الشافعي في تاريخه[1]

---

(١) عبد الرازق، عقدا نكاح، ص ٧٠-٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم(٣)

وثيقة زواج من عصر دولة المماليك(٧٧٠هـ/١٣٧٥م)

الحمد لله على نعمه /	١- بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحابته ٢- الحمد (لله الذي أحل) النكاح وحرم السفاح ولأجل المنة وعظم النعمة وجعل من بعد عسر يسرا ٣- وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا هذا ما أصدق
عقده بينهما سليم بن أحمد سليم الحنبلي الحمد لله وحده أقر المحضر العالي السيفي ارمنجي الزوج المسلمي باعلاه ملأهما مختارا الذي صحة منه وسلامة امر مبلغ الصداق المعين باعلاه وهو مائة دينار باق في ذمته لزوجته خديجة المسماة معه باعلاه، ابرئت ذمته من ذلك...وزادها على ذلك مائتا دينار مصرية من بورى صحة الزيادة في الصداق بعد صدور العقد من ابرة العين وعلما المسلمين رضي الله عنهم لمعين والتزم ذمته بذلك الزاما شرعيا واقر المالزة والقدرة بجميع ذلك ووقعت باسمي على ذلك في يوم الثلثا المبارك تاسع عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة اربع	٤- المجلس السامي المولوي الأميري الكبيري السيفي سيف الدين ارمنجي بن عبدالله أحد رجال الجـ(بوش) ٥- المنصورة كثرهم الله تعالى وشهوده به عارفون مختلعة المصون خديجة المسماة الكامل بنت ٦- المرحوم بدر الدين حسين بن هندي الصوفي والدها كان تغمده الله بالرحمة والرضوان وهي ٧- معروفة على كتاب الله تعالى وبركته وعونه وحسن توفيقه ومنه وكرمه وسنة نبيه محمد صلى ٨- الله عليه وسلم وشرف وبجل وكرم صداقا جملته من الدينر العين؟المصري ٩- المحقق المختوم المتنفذ بالديار المصرية حرسها الله تعالى وحماها ماية دينر ١٠- مصرية حاله عقده بينهما بمحضر من شهوده واضع خطه فيه سيدنا ومولانا ١١- العبد الفقير إلى الله تعالى صدر المدرسين مفتي المسلمين حاكم المسلمين أقضى القضاة علم الدين أبي داود سليمان ١٢- ولد سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى صدر المدرسين شهاب الدين أبي العباس أحمد الحنبلي خليفة الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة و

١٢- بعد أن وضح خلوها من الموانع الشرعية ولا ولي لها سوي الحكم العزيز وهذه الزوجة

١٤- المذكورة كانت زوجا للمصدق أعلاه قبل تاريخه ودخل بها وأصابها وطلقه طلقه واحدة

١٥- أولى خلعا بحضرة شهوده ثم أعادها بصداق جديد إلى عصمته وعقد نكاحه ودخل بها وأصابها

١٦- واستولدها على فراشه ابنة تسمى عايشة الفطيم وتدعى كزل ثم اختلعها على مذهب الامام أحمد بن

١٧- حنبل رضي الله عنه وقلده في ذلك ثم اعيدت اليه بالاذن المشروح اعلاه على الصداق

١٨- المسمى اعلاه على حكمه اعلاه واقرت انها لا تستحق عليه صداقا ولا بقية من صداق ولا كسوة ولا

١٩- كسوة ولا نفقة ولا حقا من حقوق الزوجية لما مضى من الزمان والى تاريخه الذي يعين فيه سوى الصداق

٢٠- المسمى اعلاه بغير زيادة على ذلك وصدقها المصدق المذكور على ذلك التصديق الشرعي وقبله

٢١- للزوج وكيله أحمد بن موسى بن عبدالله المعروف بالصامت والقيم بالمدرسة الصالحية قبولا شرعيا حسب ما وكله في

٢١- ذلك التوكيل الشرعي بتاريخ السادس من ذي القعدة الحرام من شهور سنة سبعين وسبعماية وحسبنا الله ونعم الوكيل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حضره وشهد به وبالإذن والتوكيل والإقرار المشروح أعلاه في تاريخه أعلاه علي بن محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن	حضره وشهد به وبالإذن والتوكيل والإقرار في تاريخه اسمعيل بن محمد بن عبد العزيز المخزومي
تزوجت بعد وفاة الزوج المذكور أعلاه تزوجت .....احمد	٦٠٧٠٠٨ (توقيع)

في ليلة سلخ صفر احدى وثمانين وسبعماية ثم طلقها طلاقا باينا احتياطيا لعدم وقوع العقد وجريانه على الوجه الشرعي ولم يكتب بينهما كتاب لذلك وذلك في شهر ربيع الأول سنة احدى وثمانين وسبعمية

شهد بذلك
محمد بن محمد بن سليم

شهد بذلك
علي.....محمد[1]

(١) العسلي، وثائق مقدسية، مج١، وثيقة رقم (٤٧)، ص ٢٥٤، ٢٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملحق رقم (٤)

وثيقة جهاز من عصر دولة المماليك(٧٨٨هـ/١٣٨٦م)

الحمد لله على تعمايه

ليشهد ثبوته ما قامت البينة فيه والحكم بموجبه	١- بسم الله الرحمن الرحيم ٢- اقر الصدر الأجل ناصر الدين محمد بن المرحوم علا الدين علي الحموي أحد أعيان السادة ٣- التجار بالقدس الشريف وهو معروف عند شهوده اقراراً شرعياً في صحة عقله وتوعك جسمه أنه . ٤- جهز ابنته الست المصونة فاطمة زوج الفقير إلى الله تعالى كمال الدين أحمد بن المرحوم الشيخ الإمام ٥- القدوة سعد الدين محمد بن المرحوم الشيخ الصالح شمس الدين محمد الموعاني الأصل بما مبلغه من الدراهم ٦- الفضة الجارية في المعاملة الشامية عشرة آلاف درهم نصفها خمسة آلاف وان ذلك حوايج على ٧- عادة الجهاز وبه شهد عليه في يوم الفطر المبارك سنة ثمان وثمانين وسبعماية

شهدت على اقراره بذلك — شهدت على اقراره بذلك — شهد عليه بذلك — شهدت على اقراره بذلك

كتبه علي بن محمد بن حامد — كتبه عبد الرحمن — عبد الرحمن بن عمر — كتبه أحمد بن النقيب الحنفي

شهد عندي — شهد عندي بذلك

شهد عليه بذلك — شهد عليه بذلك — شهدت على اقراره بذلك

محمد بن علي الحموي — ابراهيم بن محمد الحنفي — كتبه النقيب الحنفي[1]

(١) العسلي، وثائق مقدسية، مج٢، وثيقة رقم (٤٤)، ص ١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراسيم الزواج منذ العصر الفاطمي في مصر وبلاد الشام حتى نهاية العصر المملوكي

إعداد الطالبة

فايزة محمود الزعبي

إشراف الأستاذ الدكتور

يوسف غوانمة

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن الأحوال الاجتماعية للمرأة عامة ومراسيم الزواج خاصة في الفترة التي تمتد من (٣٥٨-٩٢٢هـ) (٩٦٩-١٥١٧م)، عند الفئات المختلفة في المجتمع الإسلامي في هذه الفترة. وقد تمتعت المرأة بمكانة عالية، تمثل ذلك بتقديم المهر أو الصداق ذا القيمة العالية لها، وحيازة النساء للثروات الكبيرة، ومنح المرأة الألقاب المتعددة، وكان للمرأة نصيب كبير في الحياة العامة. ولعبت دوراً كبيراً في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية.

وقد جاءت هذه الدراسة في خمسة فصول، تحدثت في الفصل الأول عن عادات وأعراف وأنواع الزواج قبل الإسلام، ثم الحديث عن الزواج الإسلامي والمراحل الأساسية التي يمر بها الزواج من الخطبة، والمهر، وعقد الزواج، ثم ضرورة إعلان الزواج وذلك بإقامة الولائم والاحتفال بالعرس.

وتحدثت في الفصل الثاني عن مكانة المرأة ودورها السياسي والاجتماعي في العصر الفاطمي والأيوبي، ثم الحديث عن عناية المرأة بأدوات الزينة المختلفة، من حيث الملابس التي ارتدتها وأنواع الأقمشة المستخدمة في ذلك، والمصاغ والحلي والمجوهرات والمكاحل والمرايا وغيرها من أدوات الزينة.

أما الفصل الثالث، فيتناول مراسيم الزواج في العصرين الفاطمي والأيوبي، الخطبة، والمهر، وعقد القرآن، والجهاز، وعن كيفية الاحتفال بالعرس عند الخاصة، أي الطبقة الحاكمة، الخلفاء والسلاطين والأمراء والأكابر وعند الفئة العامة وأواسط الناس من الشعب.

والفصل الرابع، يتناول الأحوال الاجتماعية للمرأة في مصر والشام في عصر دولة المماليك، وإلقاء الضوء على الحياة الاجتماعية لنساء القصر "الزوجات، والحظايا والجواري" وعن مكانة المرأة العالية ودورها السياسي والاجتماعي، وأدوات الزينة وما استجد من أنواع الملابس المختلفة، وأدوات المصاغ والحلي وأسعارها، إلى جانب المكاحل والمرايا، وزيارة النساء للحمامات العامة، حيث كانت تعد بمثابة معاهد التجميل في العصر الحاضر، والحديث عن مقاييس الجمال ومعاييره، أي الشروط الواجب توفرها في المرأة لكي تعد من جميلات هذا العصر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الفصل الخامس، فيتناول الحديث عن مراسيم الزواج في عصر دولة المماليك عند الخاصة والعامة، الخطبة، والمهر، وعقد الزواج، والجهاز وأقسامه الرئيسية، ثم عن مظاهر الاحتفال بالعرس، وذلك بإقامة الولائم وتزيين وزفاف العروسين، والأماكن المخصصة للأفراح، ثم الحديث عن ضمان المغاني، وهو عابرة عن قيمة من المال مقرر على المغاني، من رجال ونساء يردّونه في كل سنة إلى الديوان من أجل منح هؤلاء ممارسة هذه المهنة، والحديث عن المحاولات التي جرت لابطال هذه الضريبة أكثر من مرة.

وبشكل عام فقد تمتعت المرأة بمكانة عالية في المجتمع، وكان لها نصيب وافر في الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية في هذه الفترة، وكانت مراسيم الزواج، الخطبة، والمهر، وعقد الزواج والاحتفال بالعرس، لا تختلف عند الفئتين الخاصة والعامة، ولقد كان الاختلاف في الإسراف والتبذير والتكاليف الباهظة في قيمة المهر، والأطناب في خطب الصداق، وقيمة الجهاز، والمبالغة بالاحتفال بالعرس عند الفئة الخاصة أو الحاكمة، مما يدل على الثروة الكبيرة التي حازتها هذه الفئة، مما انعكس على الحياة الاجتماعية عامة وعلى مراسيم الزواج خاصة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Marriage Rituals In Egypt And Belad El-Sham (From The Beginning of The Fatimi Until The End of The Momluke E...

preparation by:
Faizah Al-Zoubi
Supervisor Prof.Dr
Yousef Ghawanmeh

Abstract

This study aimed at revealing the social conditions of women in general and the rites of marriage in particular from the period (358-922A.H)(969-1517A.D) among the various classes of Muslim society at that time. Women it may be noted enjoyed a high status which was evidenced by giving her a large dower, possession of big fortunes by women and bestowal of varicose titles on women. Women also had their consideralace share in poultice life. They played a significant role in political, social, scientific and religious life.

This study comprises five chapters. In chapter One I dealt with the customs, conventions and types of marriage before Islam. Then I dealt with Islamic marriage and the main stages it passes through from betrothal, dower, marriage contract and the necessity of announcement of marriage through giving banquet and wedding celebration.

In chapter Two I gave an account of the women's position and political and social role during the Fatimid and Aiyyubad period. Then I tallied about women's care for deferent types of cosmetics and embellishments in terns of dresses, kinds of cloth used in that, jeullry, kohl containers and other ornaments.

Chapter Three addresses the marriage ceremonies in the Fatimd and Ayyubid eras such as betrothal, dower, contraction of marriage, trousseaus, and marriage is celebrated amid the higher i.e. ruling class such as caliphs, sultans, princes and dignitaries in addition to the common and middle class, members.

Chapter Four is about the social conditions of women in the Mamluk period and sheds light on the social life of the palace women including wines, concubines and slave girls over and the high status of women and their political and social roles, cosmetics, new styles of dress, jeulry and their prices in addition to kohl jars, and mirrors and women's visits to public baths which were viewed as the beauty salons of that time today. Another point discussed in this chapter in the criteria and standards of beauty i.e the conditions that should be fulfilled in a woman to quality as a beauty of that.

Chapter Five deals with marriage ceremonies and rituals during the Mamluk period among the higher class and common people, betrothal, dower, contraction of marriage, the trousseau and main parts thereof. Then it describes the aspects of celebrating the bridegroom through giving banquets and the wedding couple's embellishment and wedding ceremony, the places earmarked for the celebration. Then comes an account of the singers' tax which is a sum of money fixed to be yearly paid by male and female singers to the government in return for giving then a licence to practise this profession then I mentioned some attempts which were made more then once to cancel this tax.

On the whole, women enjoyed a high status in society and played a significant role in social, political and academic life during this era. The ceremonies of marriage, betrothal, contraction of marriage and celebration of the bridegroom among the higher class did not differ from those of the common people. The difference lay only in extravagance, wastage and high costs and dowers, lengthiness of the dower speech, the cost of the trousseau and the exaggerated wedding celebrations among the higher or ruling class, which shows the large wealth they possessed. This in turn was reflected on social life in general and on marriage ceremonies and rituals in particular.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit